تحت الرّعاية السّامية لشبكة " سما " العالميّة

جهاز " أنسام الصّباح " للتربية الفنيّة بالاشتراك مع شبكة المجرة الإخبارية يقدمان



بطـــاقة تقنيـــة

العنوان : **متابعات في الثقافة الإنشاديّة.**
سلسلة : **شرفات على بحور المعرفة.**
إنتاج : **جهاز أنسام الصباح للتربية الفنية بالاشتراك مع شبكة المجرة الإخبارية.**
تاريخ : **جوان 2012.**
تصميم الغلاف : **جهاز نبض الضوء للخدمات الإنشاديّة. (04 نسخ).**
مراجعة و تدقيق : **جهاز نبض الضوء للخدمات الإنشاديّة.**
رعاية إلكترونية : **شبكة سما العالميّة.**
هذا الكتاب : **يؤدّي الشعور بضرورة وجود الآخر إلى محاولة الحصول على هيكل معلوماتي يؤسّس لكيان خاصّ به، يدخل ضمن الوظائف العليا للكائن البشريّ، و تلك الفكرة تمثل ميلا طبيعيًا نحو اكتساب ثقافة حول الآخر، أي محاولة احتواء كينونة لم يشهدها من قبل، و هذا ما يعتبر نيّة مسبقة بالاعتراف بوجود ثقافي جديد، يحاول الإنشاديّون أن يضعوه موضع الحسبان، حيث تحضر النزعة التثقيفيّة كحتميّة؛ بعدما كانت ضرورة قابلة مع هذا للاستغناء عنها.**

الفهرس :

توطئة :

... إنّه لمن غير الممكن حراسة كلّ شيء في هذا الوجود ... من غير المنطقيّ حراسة كلّ شيء في الطّبيعة، و لكن هناك أفراد منّا يؤكّدون على أنّ هناك حارسا أمينا كلّ الأمانة إذا عاملناه جيّدا كما ينبغي؛ حرص على تثبيت ما يجب تثبيته، و تغيير ما يجب تغييره، فهل أنت في شوق لمعرفة هذا الممتاز ؟.

ربّما يأتي إلى ذهنك أنّه الثقافة، نعم و هو كذلك، بيد أنّنا ملزمون على التّنبيه إلى قضيّة خطيرة منذ البداية؛ فقد يقول البعض : إذا كانت الثقافة هي سرّ الحفاظ على الفرد و المجتمع؛ فما بيان العلاقة بينها و بين الدّين ؟.

هل الثقافة تعكس الدّين ؟ ... أم الدّين هو الثقافة برؤية أو بأخرى ؟.

هل توجد مقاربة من نوع ما بين الدّين و الثقافة ؟.

إذا كانت الثقافة مرآة الدّين، و جزءاً لا يتجزّأ من التربية، و جوهر الاتصال؛ فما هو كنهها بالضّبط ؟.

نتفهّم أنّك لا تتفهم ثقافة غير ثقافتك المعتاد عليها و عظيم بذلك أمر الثقافة، و لو قلنا أنّها تتحكّم في الحضارة لما بخسناها حقها، و باعتبارها خليطاً مشبعا بالعادات و التّقاليد و الأعراف و ما سوى هذا من موادّ لها أمر الملك على رعاياه؛ و لكنّها - كما سنرى في هذا الكتاب - قضيّة خطيرة لا يبدو خطرها للجميع، فالثقافة و الخبرة و الاحترافيّة و غيرها من الكلمات ذات الحمولة ... بعضها فوق بعض؛ بعضها إلى جانب بعض، مفاهيم مبنيّة على أفكار، يجب أن تكون كلّ واحدة منها في مكانها المناسب، أو سيذهب الجميع إلى الجحيم.

هذا الكتاب سلسلة من المتابعات تخصّ الشّأن الثقافيّ الإنشاديّ، أردناه كذلك باعتباره ملمساً حسّاساً في الدّعوة الفنيّة، إضافة إلى أنّ بناء أيديولوجيا معيّنة يمرّ حتما بالثقافة.

لقد حدثت لنا مشاكل كثيرة مع الإنشاديّين؛ منهم من يدخل آلات العزف الموسيقيّة، منهم من يحرّم الموسيقى ككلّ، كلّ واحد و أيديولوجيّته، و بالتالي لن نتفاهم كما يبدو، و لكنّ الأمل في الله موجود و إذا قال لشيء كن سيكون.

... الثقافة يا سيّدي و ما أدراك ما الثقافة ؟!، **خليط كيميائيّ معقّد حسّاس سريع الالتهاب**، ذا مكوّنات أقرب ما تكون إلى عناصر بشريّة أكثر منها إلى موادّ طبيعيّة جامدة، و هو ما يجعلها أكثر صعوبة و تعقيدا.

... تمنحنا التحليلات أسباباً كافية لنعتقد أنّ الثقافة هي أنا و أنت في نهاية المطاف، صدّق أو لا تصدّق، و إذا كان الحوار يدعّم النّزعة التثقيفيّة أكثر من المناظرة، لأنّه منشأ مساحات التّبادل الفكريّ؛ فإنّه أكبر ضمان ليبقى كلّ طرف مالكا لحقه في الاحتفاظ بأفكاره، فتتعدّد وجهات النّظر، و يكرّس مبدأ حريّة الاختيار، و رغم ما توحي به كلمة التّعدّد من زيادة الفوارق و انتشارها؛ إلاّ أنّ مساحة اتّفاق سرعان ما تظهر على السّطح لتجذب إليها كلّ ميّال إلى احترام كينونة الآخر.

تتمدّد إحساساتنا كلّما تمدّد إدراكنا بالآخرين.

تحية خاصة لأسرة شبكة المجرة الإخبارية على المساعدة التقنية التي قدمنها لنا.

جهاز أنسام الصباح للتربية الفنية
بالاشتراك مع شبكة المجرة الإخبارية
الإقليد مارس 2007

الفصل الأوّل :

♦ مدخل إلى الثقافة الإنشاديّة ♦

01 - الواقع الثقافيّ الإنشاديّ في مطلع القرن 21 :
» ما هي العوامل التي ساعدت في بناء واقع الثقافة الإنشاديّة مطلع القرن 21 ؟.
● المواقف الثقافية الثلاثة الرّئيسة.

02 - النّزعة التثقيفيّة :
» كيف نمت النزعة التثقيفيّة ؟.

03 - عمليّات التّثاقف :
» ما هي مظاهر التثاقف ؟.

04 - الصّناعة الثقافيّة :
● وسائل الصّناعة الثقافيّة ● عوامل التحكم في الثقافة.

05 - من أسرار الثقافة :
● التوجيه ● الضغط ● عرض الأفكار.

06 - إشكالات الثقافة :
● الستاتيكيّة ● الديناميكيّة ● المجتمع الرابع.

الفصل الأول : مدخل إلى الثّقافة الإنشاديّة

01 - الواقع الثقافيّ الإنشاديّ في مطلع القرن 21 :

من المؤلم للغيور فعلاً على الإنشاد؛ أن يسكت و يرضى عمّا يسود فواتح هذا القرن الميلاديّ، و من المفرح له من جهة أخرى - إذا دقق الملاحظة - ما كان يستشعره البعض من مشاهد تنمّ عن الرّغبة الكامنة في تحقيق شيء خاصّ جدّاً للإنشاد، و الرقيّ به كفنّ مستقلّ بنفسه و علم قائم بذاته، و عموما؛ فإنّ القراءة الأوّليّة لما يجري في الميدان تختلف عن نظيرتها نحو المعطيات المتنامية من فترة لأخرى لما كان يجري في الكواليس، و تتلاقى الخيوط و تزداد تشابكا، فتنشئ واقعاً متغيّرا باستمرار، صعب التّحليل، عسير الإدراك، أياديه وسائل الإعلام التي لعبت دوراً لا يُستهان به في بناء سيرورة معرفيّة غريبة بعض الشيء، نظرا لأنّ أغلبها يقع في مجال؛ خارج السّيطرة و التّحكّم.

إنّ العالميّة بما أعتُبِرت هدفاً استراتيجيّا يسعى الجميع له؛ لم يخرج عن نسق معرفيّ؛ ضيّق لدى الإنشاديّين، و هم الآتون من بيئات منغلقة على نفسها تقع تحت مفهوم " الوطنية "، و بما تورّثه هذه الفكرة من معتقدات؛ فإنّ الوضع العالميّ الجديد يشبه إلى حدّ بعيد من وجد نفسه أمام فضاء جغرافيّ شاسع، و هو لا يملك حتّى دراجة هوائيّة لقطع المسافات الهائلة التي تنتظره، و الأدهى من هذا و الأمرّ؛ أن يدرك كلّ شيء دفعة واحدة، فجأة دون سابق إنذار ... في لحظة واحدة مطلوب منه الرّحيل من أفكاره السّابقة التي نشأ عليها و ترعرع؛ إلى بيئة جديدة كليّة، بما تحويه من ظروف مختلطة، و تحوّلات لم يعهدها من قبل، و أنّى له أن يعهد ما لم يتلقّ عليه تكوينا !.

واقع كهذا يقتضي التّحرّك فورا، أ ليس كذلك ؟، و لكن أيّة حركة غير مدروسة معناه مناخ فوضويّ، و تفاعلات مختلفة تشي بنوع و أنواع من غياب التّنسيق، ممّا يجرّ السّاحة بما حوت إلى جوّ مضطرب يزيد اضطراباً يوما بعد يوم، تحت مظلّة سيرورة معلوماتيّة متنامية في كلّ الإتّجاهات، و تسارع معلوماتيّ رهيب جدّا.

و ما أكثر الحركات غير المدروسة ؟! ... و ما أفظع ما أدّت إليه !.

و بطبيعة الحال في ظروف كهذه؛ حدث ما خُشي أن يحدث، و تجلى الأمر في عدّة مظاهر لا تعكس ضيق زاوية الرّؤية فحسب؛ بل الغباء الذي عشعش في العقول، و ما ترتّب عنه من ممارسات.

»»» ما هي العوامل التي ساعدت في بناء واقع الثقافة الإنشاديّة مطلع القرن 21 ؟ :

1 - انتشار فتوى إباحة الموسيقى و تأثيرها السّلبيّ على الإنشاد، حيث شُرِع في استعمال آلات العزف الموسيقيّة ممّا نتج عنه **طمس الهويّة الأصليّة للأنشودة**، و زاد عرض الشّريحة الجماهيريّة المستخفّة بهذه المسألة، و خاصّة إذا كان الجمهور من الأطفال.

2 - نداء بعض النقاد المحسوبين على الإنشاد بضرورة استعمال آلات العزف قصد اللّحاق بالرّكب الذي نحن عنه متأخّرون.

3 - مخاطبة الجماهير بلغات محليّة ساعدت على التّأثير فيهم بسرعة أكبر و فعالية كبرى، على حساب اللّغات الآكاديميّة ذات الأصول المتينة، **و خاصّة اللّغة العربيّة عماد القرآن الكريم.**

4 - ضعف الأبنية العقليّة للإنشاديّين ممّا فوّت عليهم الكثير من الإدراكات، و خاصّة في المجالات المرتبطة بالإنشاد؛ كعلم النفس و علم الاجتماع و علم الاتّصال و ما شابه.

5 - اختلاط الأدوار تحت مفهوم " تعدّد المواهب "، فأنتج مظاهر عكست نجاحات مؤقتة، تقف نواميس الله في خلقه ضدّها، و صدّ تمدّد الانتاجات جماهيريّا **كافّة أبواب التساؤلات النّقديّة**، فشجّع فيما شجّع على إبقاء كلّ شيء في مكانه، و بالتّالي ستكون ستاتيكيّة في الأوضاع، بما تؤدّي إليه هذه الوضعيّة من انتكاسات.

6 - تداخل العلوم و استيعاب مدى الدّور الكبير الذي تلعبه على اختلافها في فهم ما يدور حول الإنشاديّ زيادة على المعرفة التي تقدّمها عنه شخصيّا، و الجماعة التي ينشط في نطاقها، فأدّى إلى الاهتمام بمجالات أخرى تساعد الإنشاديّ على تبليغ رسالته، منها : التّصميم؛ اللّسانيّات، الاجتماع، الاتّصال، الصّحّافة ... إلخ.

7 - التقدّم الهائل للوسائل التّكنولوجيّة المساعدة كأجهزة الاتصال، برامج الكمبيوتر و غيرها، ممّا أنشأ ثقافة جديدة غير التي كانت معروفة عند الجيل السّابق. (الثورة التكنولوجيّة بكلّ مفهوم شامل لها)

غياب ثقافة رشيدة هو جوهر التخبّطات الفكريّة التي تعجّ بها السّاحة، ذلك أنّ الثقافة هي مجموعة عناصر الوعي التي من المفروض أن يتعرّف عليها الإنشاديّ، فيأخذها في الاعتبار وجوبا إبّان مسيرته الدّعويّة، إنّها **المساحات المعرفيّة للتّحرّك الآمن** في نطاق عالميّ كبير، و إنّ الجهل بما هو موجود يؤدّي حتما إلى آثار عكسيّة للأفعال الإنشاديّة، و ستكون النّتيجة هدماً لكلّ شيء، حسب درجة الفعل المقدّم.

تشمل عمليّة التّهديم أفعالا سليمة مقدّمة من طرف إنشاديّين ذي ثقافة لها من الرّشد ما يرفعها إلى المستوى المثالي.

تنشأ من الحالة المتولّدة عن مناخ غير مستقرّ كهذا؛ تيّارات فكريّة متصارعة، و جوّ مضطرب، لا يرى من يتواجد داخله الأشياء على حقيقتها من منظور سليم، إلاّ القلّة القليلة ممّن يتمتّعون بنظرة ثاقبة، و يؤمنون إيمانا عميقا بأنّ ما من شيء في هذا الوجود إلاّ و له سيماء أو علامة، و كلّما زاد الجوّ تعتيما؛ تنقص شريحة هذه القلّة القليلة.

لنكن شجعانا و لو لبرهة من الزّمن؛ ما يلفّ المكان هو ضباب، و هل كلّ واحد منّا يستطيع الرّؤية خلاله إلاّ إذا امتلك أدوات تمكّنه من ذلك ؟.

و لعمليّة التّهديم بعد آخر؛ إذ أنّ الواقف في وجه المسيرة الإنشاديّة لن يغامر هكذا بكشف نواياه أمام الملأ، سيُفتضح أمره، إذن سيتّخذ من هذه الفئة غير المشبعة بثقافة إنشاديّة رشيدة؛ **أداة طيّعة من أجل ضرب الفئة النّظيرة،** تحت قانون التّوجيه عن بعد، و بما أنّه غير معروف؛ فإنّ الفئة الأولى هي التي ستتلقى الضّربات الواحدة تلو الأخرى، و ستردّ عليها الفئة الثانية، بينما المحرّك الأصليّ **غائب عن واجهة الأحداث،** و لعمليّة الصّراع بعد آخر أيضا؛ إذ ستنجرّ عنها مواقف عدائيّة، ثمّ أحقاد متبادلة متوارثة، و كلّما زاد الوضع تعقيداً و تأزّما؛ تعقّن أكثر فأكثر؛ يستعصي معه تفريج الأمور دون تقديم تضحيات و أضحيات، ترتفع قيمتها بارتفاع مستوى الصّراع و الدرجة التي وصل إليها التعقّن.

لاحظ أنّ **تعدّد المعطيات المتحكّمة** في الثقافة الإنشاديّة يلعب دوراً محوريّا بل مفصليّا في توجيه الأيديولوجيا الخاصّة و العامّة، و عليه فإنّ هذا دليل على أنّ الوجود معقّد بذاته يؤثّر بعضه في بعض، و فصلنا بعض أجزائه؛ لا يعدو أن يكون فصلا اسميّا فقط ... الواقع شيء آخر تماما.

- المواقف الثقافيّة الثلاثة الرّئيسة :

حرّكت الثقافة الإنشاديّة ثلاثة رؤوس مختلفة، كلّ رأس منها يمثّل موقعا فكريّا معيّنا، يبقى مدى الانفتاح على الآخر مشكلة متعلّقة بأصحابها دون سواهم.

●●● موقف المحافظين : يُعتبر موقفا جامدا إلى حدّ ما، فهو يحاول المحافظة على الإنشاد كما توارثوه عن السّابقين، و لو كان هذا الرّأي انعزاليّا في نظر الكثيرين؛ غير أنه يمثّل حقيقة لا يمكن التغاضي عنها أبدا، و لا إهمالها بدعوى أنّها شاذّة عن القاعدة.

●●● موقف التقدّميين : يصفه البعض بالجريء و غير المسبوق، نظرا لأنّ أصحابه أدخلوا آلات العزف الموسيقيّة في الإنشاد، بدعوى تطويره و وضعه في مكانه الصّحيح الذي يجب أن يحتلّه منذ زمن بعيد، و لقد لعبت فتوى جواز استعمال الموسيقى دورا في غاية الأهميّة، حيث كانت الرّكن الذي انطلق منه هؤلاء في بناء موقفهم و هم مطمئنّون إلى المسألة كلّ الاطمئنان.

●●● موقف الاستقلاليّين : نشأ هذا الموقف عن مدرسة الأفكار التي اعتبرت الإنشاد علماً قائماً بذاته و فنّا مستقلاً بنفسه عن باقي الفنون الغنائيّة، و بذلك تكون قد وضعت حاجزاً واضحاً بين الإنشاد الذي يجب أن يتطوّر دائما؛ و في الوقت نفسه يبقى **محافظاً على هويّته** ككيان كامل يختلف عن فنّ التغريد، الذي دمجه التّقدّميّون مع الإنشاد؛ فأعدموا هذا الأخير **سهوا.**

02 - النّزعة التثقيفيّة :

يؤدّي الشّعور بضرورة وجود الآخر إلى محاولة الحصول على هيكل معلوماتيّ يؤسّس لكيان خاصّ به، يدخل ضمن الوظائف العليا للكائن البشريّ، و تلك الفكرة تمثل ميلاً طبيعيّا نحو اكتساب ثقافة حول الآخر، أي محاولة احتواء كينونة لم يشهدها من قبل، و هذا ما يعتبر نيّة مسبقة بالاعتراف بوجود ثقافيّ جديد، يحاول الإنشاديّون أن يضعوه موضع الحسبان، حيث تحضر النزعة التثقيفيّة كحتميّة بعدما كانت ضرورة فقط؛ يمكن الاستغناء عنها.

إنّ التّحلي بالنّزعة التثقيفيّة شيء ينبغي استحسانه دائما و في كلّ الأحوال، في إطار احترام هويّة يجب أن تبقى حفاظا على شخصيّة الإنشاد، كفنّ غنائيّ له استقلاليّة عن باقي الفنون الغنائيّة الأخرى، ممّا سيقف حائلا أمام مجمل الفلسفات العقيمة التي ميّزت بعض الإنشاديّين، و هذه الفلسفات ما هي سوى أفكار تبلورت على أسس معلوماتيّ سليم و غير سليم، فإذا كان السّليم من الأمر؛ كان الخطأ في كيفيّة بناء نسق معرفيّ صالح لخوض غمار الدّعوة الفنيّة، أمّا إذا كان ما تمّ البناء عليه يفتقر إلى السّلامة المطلوبة؛ فذلك شيء مفروغ من فساده.

تمثّل النّزعة التثقيفيّة مساراً اتّخذه الإنشاديّون خروجاً من القوقعة الفكريّة التي ميّزت نهاية القرن 20 الميلادي، بحيث تجاوز وجودها مفهوم " الضّرورة "؛ إلى مفهوم " الحتميّة " التي يقتضي التهرّب منها أو التغاضي عنها التلاشي أو الزّوال، فالعالم القديم الذي كان مقسّما إلى جماعات متباعدة منغلقة على أنفسها؛ أضحى في ظرف وجيز مكانا فسيحا جدّا، مفتوحا على جميع القوى مهما كانت و حيثما تواجدت، يشبه المشهد مجموعة من النّاس كل واحد يعيش في معزل عن الآخر، رغم أنّه يعلم بوجودهم، و لكنّ أفكاره حدّدت مصيره، ثمّ و بشكل مفاجئ أزيحت كافّة الحواجز التي كانت تمنع اتّصال الأفراد مع بعضهم البعض ليجدوا أنفسهم وجها لوجه، الواحد قبالة الآخرين، الآخرون قبالة الواحد، في مساحة أكبر ممّا ألفوه، فمن غير المعقول أو الممكن الاستمرار في التّغاضي عن وجود الآخر، ثمّ **ليسقط الوطن السّابق** ليحلّ محلّه وطن كبير جدّا اسمه " العالم ".

»»» كيف نمت النّزعة التثقيفيّة ؟ :

1 - الزّوال الضّمنيّ لفكرة الوطنيّة؛ ما لبث الإنشاديّون أن أدركوا و لو كوميض خاطف فساد هذه العقيدة المرتبطة بالجماعة الحاكمة، و أنّ الوطن الحقيقيّ هو العالم ككلّ، لأنّ هذا الأخير يتّجه إلى نظام حاكم واحد له من الفعاليّة **ما يتجاوز بكثير فعالية الأنظمة الحاكمة المعروفة.**

2 - التعرّف على جماعات مختلفة كثيرة جدّا، لها ثقافاتها الخاصّة بها، و وجودها الكينونيّ ممّا يفرض الإطّلاع على عاداتها و تقاليدها زيادة في المعرفة، أو كي لا يقع أيّ ظلم تجاهها، و من جهل الشيء ظلمه.

3 - صراع الفنون الغنائيّة حول أحقيّتها في احتلال فضاء أكبر من الفضاء السّابق، و التّنافس على جمهور جديد كليّة، و كأنّه سوق استهلاكيّة هبطت من السّماء تبحث عمّن ينشط فيها تجاريّا.

4 - ترويج بعض الجماعات مفهوم " الصّراع "، و كأنّه حتميّة ستجرّ العالم برمّته للحرب، في حين أنّ هذا المفهوم شيء ثابت في إطار لا يخرج عن الخير و الشرّ فقط، و ليس كما يصوّره هؤلاء على شاكلة قانون الغاب، أين يبحث كلّ واحد عن افتراس الآخر **وقائيّا أو عفويّا**، فأضحى المناخ العام نارا مستعرة تتأجّج فكريّا باستمرار، تلتهم الأخضر و اليابس، فلا فرق بين الخاسر و الرّابح، و آكل اليوم هو مأكول الغد.

5 - نموّ النّزعة العالميّة ضدّ نزعة العولمة، على اعتبار أنّ النّزعة الأولى هي الصّحيحة، في حين أنّ النّزعة الثانية تمثّل إجحافا كبيرا في حقّ الشّعوب الضّعيفة، أو المتأخّرة عن الرّكب الحضاريّ و لو بشيء قليل، غير القادرة على ترويج ثقافتها، إذ أنّها تفقد إرثها على مرّ العصور **تحت وطأة الغزو الثقافيّ**، و كي لا يكون هناك أيّ ظلم مجدّدا؛ يجب احترام ثقافة الآخر شرط أن تكون غير مخالفة للدّين، فإذا خالفت؛ فهي و أصحابها، أمّا الأعراف و التقاليد فأكثرها منافية للمعتقدات السّليمة، بحكم ترسّبها عشوائيّا في نفوس العامّة دون تمحيص دقيق.

6 - تطوّر الاعتقاد القديم الذي كان يحرّك الإنشاديّين و الذي مفاده أنّهم يقومون بفعل من أفعال الخير فقط إلى وعي ابتدائيّ بضرورة تبنّي اعتقاد جديد نظراً لمساهماتهم المشهودة في رسم طريق منهجيّ ممهّد لممارسي فنّ الإنشاد من الأجيال القادمة، و عليه؛ فإنّ هذا يشكّل فرصة و ضرورة ذات أولويّة **لكسب معارف حقيقيّة** ترفع من قيمته بين الفنون الغنائيّة الأخرى.

يبعث نموّ النزعة التثقيفيّة على التّساؤل حول طبيعة المعنى الجديد للهويّة العالميّة، فأيّة مرجعيّة تحكمها ؟ ...

من سيكون له شرف حكم العالم ؟، و كيف سيحكم هذه المناطق الفسيحة و الشعوب المتباينة ؟.

لماذا بالضّبط هذه الفترة لإنشاء مجتمع عالميّ لا يعترف بالحدود السّياسيّة ؟؟؟.

يبدو أنّ الأنظمة الحاكمة تدرك جيّدا و بصورة مستمرّة متجدّدة أنّ الوطنيّة فكرة بالية جدّا، و رغم ذلك تدافع عنها، بشراسة النّمر و استماتة الفدائيّ، و أنّ العالم آيل للتوحّد مثلما كان في الزّمان الأوّل، غير أنّها تتعمّد الدّفاع عن شيء غريب خدمة لمصلحة عليا، زائلة تحت ضربات الحتميّة.

ربّما يدهشك هذا الكلام؛ بعيد عن الإنشاد في تصوّرك، فاسمح أن نبرهن على فساد تحليلك لأنّه مبنيّ على ثقافة غير رشيدة، و لو عرفت معطيات جديدة؛ لاتّضح لك أنّ تغيير أيديولوجيّتك أمر لا مناص منه إطلاقا.

تمثّل النّزعة التثقيفيّة ميلا لاكتساب ثقافة إنشاديّة غير التي كانت معروفة لدى الجميع، و على ضوء هذا الميل؛ فإنّ الشّعور بالجوع المعرفيّ ما يفتأ أن يتعاظم حين تقفز إلى ذهنك معلومات جديدة خرجت عن نطاق السريّة، و من يملك المعلومة يملك القوّة شريطة أن يعرف الطّريقة المثلى للتّصرّف فيها، لأنّ هذه المعلومات هي معارف جديدة و علوم حديثة، تجمع بينهما علاقة جدليّة، و الوجود فضاء مغلق على الجميع، مجهول إلاّ لمن يملك أقاليده.

علمك بالشيء لا يكتمل إلاّ إذا توّجته درايتك بمسالك الوصول إليه، و كانت في يدك أقاليده.

نزعتك للتثقيف هي حبّك و ولعك و إرادتك بأقاليد هذا الوجود، كي تقول في قرارة نفسك أنّك تعلم، و لكن إذا قلت ذلك فهو برهان على جهلك، و سبحانه الواحد الصّمد مالك كلّ الأقاليد.

إنّ الميل إلى التثقيف شيء إيجابيّ جدّا، و لكن أيّة ثقافة يجب على الإنشاديّ اكتسابها ؟، هل كلّ الأفكار تصلح للثورة الإنشاديّة ؟، هل كلّ الأفكار تصلح للنهضة الإنشاديّة ؟، أكيد أنّ الإجابة ستكون بالنّفي القطعيّ.

ميّزت الإنشاديّين من الجيل السّابق ثقافة جمود، ليس لأنّهم أرادوا أن يكونوا كذلك؛ بل لأنّ الواقع المفروض حتّم عليهم استجابة على تلك الشّاكلة، تحرّك فكريّ نادر في ظلّ إمكانيّات تلك الفترة، أمّا الآن فتغيّر الوضع، و سيتغيّر باستمرار، فكن على وجل.

كنتيجة للتّمعّن في القضيّة المطروحة أمامنا؛ يتبيّن أنّ النّزعة التثقيفيّة ذات أساس فكريّ أوّلا، إذ أنّها تحمل طبيعة فكرة راسخة لدى الإنشاديّين، فحواها ضرورة تواجد معرفة عن الغير، و ذات دلالة فكريّة أيضا، نسق فلسفيّ، و إرادة بناء كيان لا محالة من بنائه، فإلى أيّ مدى سيكون متينا ؟.

متانة البناء الفكريّ من رشاد الثقافة الإنشاديّة، فإذا كان الإنشاد يقوم على فلسفات عقيمة أو خاطئة؛ فلا مرية في فشل جميع الجهود المبذولة، و ستذهب المشاريع المحضّرة أدراج الرّياح رغم ثرائها.

03 - عمليّات التثاقف :

يُقصد بعمليّات التثاقف سيرورة المبادلات المعلوماتيّة بين الأفراد و الجماعات، الأخذ و العطاء، و هي عمليّة جدّ مثمرة، كونها **مضادّة للانغلاق الثّقافيّ**، و بالتّالي مصل مضادّ للرّكود المعرفيّ الخاص بكينونة الآخر.

تمثّل قاعدة الفعل و ردّ الفعل أهمّ ركن للعمليّــة الثّقافيّة، و الجدليّة أهــمّ سمة تميّزهـا، فهي التي تقوم على الأخذ و العطاء، تأثير و تأثّر، بما يشكّل خطورة على الجميع، حيث تكون السّلامة داخل هذا المجال الممتدّ المفتوح على كافّة أشكال الصّراعات، شيئا ثمينا يصعب جدّا الحفاظ عليه، لأنّه مفتاح الهويّة التي تحفظ أصحابها من **الذوبان بين القوى الثّقافيّة الأخرى**، فالصّراع النّاشئ عن تحرّك الأفعال و ردودها؛ يولّد مجالا تُسحق فيه التيّارات الضّعيفة تحت تأثير التيّارات الثقافيّة القويّة.

إنّها واقع استراتيجيّ؛ بحيث لا يمكن الخروج عنه، أو التغافل عن معطياته، فهو بقاء من أجل الدّعوة الفنيّة، إنّ الذين تتمّ دعوتهم موجودون في هذا الواقع، جزء لا يتجزّأ منه، فهل من الممكن للدّاعية مخاطبة هؤلاء من واقع آخر غير واقعهم ؟، من عالم آخر غير عالمهم ؟.

عجيب أحيانا ما يقابلك من أفكار !.

منطلق جديد بات يشكّل قضيّة حياة أو موت بالنّسبة لهؤلاء الذين تنمو لديهم الرّغبة باطراد وفق متغيّرات تطرأ باستمرار، بهدف تشكيل جبهة دفاع عن الدّعوة الفنيّة، و إعطاء الإنشاد جرعات مقاومة تضمن فعالية هذه الجبهة.

و عليه سننظر إلى مفهوم جديد يقولب الفلسفة الإنشاديّة نظرتنا إلى إكسير الحياة، و كي لا يتكرّر الخطأ الذي وقع فيه بعض الإنشاديّين سابقا؛ نغوص عميقاً في الأيديولوجيا كي تقدّم لنا تيّاراً له هويّته الخاصّة، و له قوّة تسحق باقي التيّارات، و خاصّة الفنون الغنائيّة الهدّامة لكلّ معاني الإنسان النّبيلة؛ و القيم الرّشيدة فيه.

نحن في صراع لم نختاره نحن؛ بل هو امتداد لصراع الخير و الشرّ عبر العصور و الأزمنة.

باختصار يجب **تأسيس مدرسة إنشاديّة جديدة** نخوض بواسطتها الصّراع الأيديولوجيّ الذي وجد الإنشاديّون أنفسهم بين ثناياه، أو لنقرأ جميعا فاتحة الترحّم على الفقيد.

تعلو عادة عمليّات التثاقف خطوة الاتّصال و ما ينجم عنها من محاولات فهم للّغة الثقافيّة، و قد تكون لغة أكاديميّة أو لغة تقاليد و عادات و أعراف، لندخل مرحلة مخاطبة الآخر، فبعد معرفته جيّدا نتّصل به لنخاطبه من أجل أن يتواصل معنا، و التّواصل معناه تبنّي أفكار الإنشاديّ، إنّها سلسلة إجراءات متتابعة نطمع أن تكلّل بالنجاح.

يبرهن الغوص في الأيديولوجيا على القيمة العقليّة السّليمة التي ينبغي التّحلي بها، فالثقافة الدّينيّة البحتة لا تكفي، بل يجب أن تطعّم بباقي العلوم و المعارف، تمعّن في الآية الكريمة : إقرأ باسم ربّك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ و ربّك الأكرم؛ الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم.

لقد ربطنا بين الثقافة و التعلّم ربطا يستحيل معه تصوّر المفهومين بعيدين عن بعضهما البعض، لأنّ الثقافة ما هي إلاّ عمليّة لصيقة بكسب المزيد ثمّ المزيد من المعارف بصفة مستمرّة على الدّوام دون أن تشهد العمليّة أيّة انقطاعات، و الويل إذا حدث أيّ انقطاع.

التفاعل الثقافيّ صورة من صور الغزو الفكريّ إذا اقترن بشروط منها :

أ - غياب هويّة إنشاديّة متينة الأسس، ممّا يصنع مجالا لحالة من الفوضى و التخبّطات العشوائيّة.

ب - ضياع الفكرة الرّشيدة وسط الأفكار الدّعويّة و غير الدّعويّة.

ج - بناء ثقافة سلبيّة تجاه مكوّنات الوجود، ممّا ينذر بسقوط هذه الفلسفة لأنّها بُنيت على أسس سليمة؛ و لكنّها ترى السّلبيّة بدل الإيجابيّة.

نحن الآن على مشارف تساؤل جديد :

أين هي الأيديولوجيا المحضة الصّرفة الكاملة التي نستطيع بناء ثقافة على أسسها، تكسونا الطّمأنينة بأنّ ما فعلناه فعل سليم لا شائبة عليه و لا غبار ؟؟؟.

مع العلم أنّ للأيديولوجيا الضّربة القاصمة في تقسيم الجماعة الواحدة أو توحيد جماعات كثيرة، و حدث ذلك فعلاً في التاريخ.

في صيغة مشابهة؛ ما هي القارّة وسط زحام عمليّات التثاقف ؟، ما هي ماهية أمّ الثقافات ؟.

لن نجيب مباشرة كي لا تتكاسل فكريّا ... ستجد كلّ شيء في الصّفحات التّالية.

««« ما هي مظاهر التثاقف ؟ :

تتعدّد مظاهر التثاقف تبعاً لخاصيّة كلّ مظهر، و ما يُنتظر تحقيقه منه.

لنركّز على مظهرين مختلفين، واحد يوحي بالمكان؛ و الآخر له بعد معنويّ.

• الترجمة : نسبيّا هي عمليّة نقل المعلومات من لغة أكاديميّة إلى لغة أكاديميّة أخرى، إذ تتعلق القضيّة بنقل الأفكار على أساس جوهريّ، و لو كانت لدى الأغلبيّة السّاحقة من الملاحظين أهمّ مظهر من مظاهر التثاقف عبر التّاريخ، إذ لم يعرف البشر مظهرا مشابها له بنفس الكفاءة أبلغ ممّا يوضع الآن في المكان انطلاقا من نقل الفكرة بين لغتين.

لن يغيب عن ذهن المدقق شيء في غاية الأهميّة و الأولويّة؛ إنّه تحكّم المترجم الجيّد في كلتي اللّغتين، كي يعرف على الأقلّ الدّرب الذي هو سائر فيه، فهو دليل يقود النّاس إلى مجموعة من الأشياء **المعروفة لديه**، و إن كان جاهلا بميدانه؛ فلن تتوفّر لديه الاستطاعة و لا القدرة **على تقديم معرفة مناسبة لغيره.**

نحن أمام معضلة؛ إمّا أن ننتج علماً أو نستورده، و من الصّعب ألاّ يكون ذلك ممزوجاً بالثقافة.

و حين نستورد علماً ممزوجاً بثقافة ما؛ من الصّعب الفصل بين العنصرين.

• المتحف : مكان تعرض فيه أشياء ماديّة لها دلالة خاصّة بها، تمثّل إرثاً ثقافيّا **متراكمًا قابلا للتّراكم باستمرار،** يقدّم مباشرة ثقافة لزائره، حيث يعرض عليه هذا الإرث الثقافيّ كمّا معرفيّا بشتّى أنواع السّبل النّقليّة للمعرفة المتراكمة.

إنّ العرض الماديّ بما له من جانب جماليّ إضافيّ؛ لهو أداة لرفع الجانب المعنويّ للإنشاديّين و غيرهم، بحيث تتولّد شحنات نفسيّة متفاوتة الطّاقة لها مفعول محدّد.

كما يعدّ البعض المكتبة متحفاً خاصّا بالكتب و الوثائق و المخطوطات، بشتّى اللّغات الممكنة، لماذا لا نوجد متحفا خاصّا بالإنشاد ؟، أو مكتبة صغيرة فيها كلّ ما يتعلّق به ؟، يزوره الكبار و الصّغار ؟.

و مع كلّ هذا؛ لا يجب أبداً إهمال مظاهر أخرى لا تقلّ أهميّة مثل :

• السياحة : يؤدّي تدفق السّيّاح على منطقة معيّنة إلى نشر ثقافتهم فيها **و لو من غير قصد**، بدءاً بثقافة مظهريّة كاللّباس و الأكل؛ إلى أخرى باطنيّة معقدة كالدّين و فلسفة الحياة، و من خلال الممارسات اليوميّة لأنشطتهم؛ فإنّهم يعرضون أفكاراً على الذين يقعون في منطقة السّياحة، سواء كانوا من السّكّان المحليين أو من غيرهم من السيّاح الآخرين.

و لعلّ هذا هو السّبب الجوهريّ الذي يدفع بعض الدّول إلى وضع قوانين معيّنة تضمن بها حماية ثقافتها الخاصّة، كي تمنع صدمات ثقافيّة أو أيّ ترويج لأفكار يحدثها هؤلاء السيّاح و لو بطريقة عفويّة.

• التجارة : كانت التجارة قديما إحدى أهمّ مظاهر التثاقف، حيث تنتقل القوافل التجاريّة ذهاباً و إياباً ناقلة معها سلعاً من منطقة إلى أخرى، و كنتيجة لهذا الاحتكاك النّاجم بينها و بين السّكّان أو التجّار المحلّيّين؛ تنتقل الأفكار بين الناس بغضّ النظر عن قابليّة التأثير و التأثر.

تذكر القوافل التجاريّة التي كانت تتجه إلى أندونيسيا قديما و ماليزيا.

أمّا الآن فقد خفّت حدّة هذا المظهر نظراً لعدم وجود قوافل تجاريّة تنتقل من دولة لأخرى، تاركة المجال لرجال الأعمال، ثمّ تأتي عمليّات الشّحن بعد ذلك.

و إذا تحدّثنا عن التجارة الإلكترونيّة و أثرها في التبادل الثقافيّ؛ لأكّدنا على أنّ اقتناء السّلع خاضع لثقافة المقتني بالدّرجة الأولى، و لو أن البعض يؤكّد أنها تجارة بحتة لا يمكن لها نشر ثقافة ما كما هو الحال لدى نظيرتها، برهانهم انتقال السّلع تسليما للزّبائن دون حدوث احتكاك بينهم و بين التجّار.

أي أنّ التبادل التجاريّ ما هو سوى مظهر سطحيّ يغلّف عمليّة التثاقف.

• وسائل الإعلام : تلعب وسائل الإعلام دوراً حاسماً في عمليّات التبادل الثقافي بما تقدّمه من برامج مشهود لها بالزخرفة و الإتقان، إنّها **القنوات التوجيهيّة للمعلومات و الأفكار**، و هي على اختلافاتها و على اختلاف الجماهير التي تخاطبها صانعة مثاليّة للقوالب الفكريّة، و بنّاءة أنماطٍ عقليّة مشكّلة سابقا؛ وفق خطوطها الإعلاميّة تقدّمها للجمهور على أطباق من فضة و ذهب.

يتراءى للكثيرين أنّ وسائل الإعلام موضوعيّة لا تحالف أيّ طرف مهما كان، و في هذا قمّة عمليّة التثقيف، كون القائمين عليها احترافيّون بمعنى الكلمة؛ ممّا يضع المتلقي أمام موقف ضعيف مستسلم منقاد.

و لا يمكن هنا التغاضي عن عمليّات التبادل البرامجي الذي يعكس التبادل الفكريّ الذي بدوره يدخل جليّا و بصفة أكثر رساخة في مظاهر التثاقف.

إنّ عمليّة التبادل البرامجي هي في الأصل **تبادل التأثير في الجماهير**، كونها تقفز فوق الحواجز الموضوعة بين جمهور و آخر، و يمكن ملاحظة هذا في الفضائيّات مثلا أو في القنوات الإذاعيّة، أو حتّى في مواقع الانترنيت.

أمّا الإعلام الجواريّ فهو صانع الولاءات بحيث يتكاتف أهالي تلك المنطقة مع بعضهم البعض، و تتوسّع دائرة التثقيف فيما بينهم، و خاصّة و أنّ هذا النّوع يعطي انطباعاً بالجتمعة أكثر من غيره، و في نفس الوقت؛ يمكن توظيفه كقواعد إعلاميّة هي محطّات إشعاع ثقافيّ.

و مظاهر أخرى كالفنون الغنائيّة و السينما؛ **الأفلام الوثائقيّة ...** إلخ، و لا داعي أن نبيّن مدى قيمة الفيلم الوثائقيّ الذي يصنّفه البعض في خانة الكتاب الناطق المصوّر، أو السّينما التي تُعتبر أخطر من 100 صاروخ عابر للقارّات، ربّما أشدّ من ذلك.

04 - الصّناعة الثقافيّة :

لنتطرّق لمجموعة من الأفكار، في إطار بنية ثقافيّة نوجدها تمثّل واجهة معطيات يستهلكها الطّرف الآخر؛ **إذا قرّر بدوره ممارسة عمليّات التثاقف.**

يعدّ الإعلام من بين أكبر أدوات الثقافة، **فهو يفسّرها زيادة على نشرها**، و لو كان الإعلام كما في العهد السّابق في مرحلة بدائيّة أين كان الناس يتبادلون المعلومات في الأسواق و التجمّعات العامّة البسيطة لكان أهون؛ و لكن الآن أصبحت وسائل إعلام متعدّدة الأنواع تعتمد على علوم مختلفة لبسط نفوذها المطلق على أكبر جمهور، بهدف توجيهه لخدمة أغراض معيّنة، و خاصّة الهدف الاستراتيجيّ المتمثّل في تربية الناس على مجموعة موحّدة من القيم، توطئة لإعلان قيام حكومة عالميّة واحدة، أين سيكون كلّ شيء خاضع لسيطرة مطلقة للمركز.

إنّ التحكّم في ثقافة الأفراد و الجماعات هو **تحكّم في تربيتهم**، بما يشمله هذا التّحكّم من معانٍ، و بما يوحي إليه من أبعاد، فالأطفال أطفال بسنّهم، **و المجتمعات أطفال بخصائصها.**

صناعة ثقافة جيل معناه صناعة مخزون من المعلومات، لأنّ هذه الأخيرة هي معطيات التربية و التنشئة، و من الصّعب جدا و يستحيل أن نفصل مكوّنات الوجود فصلا طبيعيّا، فهو كلّ متكامل له خالق منظّم، سينهيه حين تحين اللّحظة المناسبة، و هذه هي الحسّاسة من الثقافة، التي من المفروض أن تضع الله تعالى في الحسبان دائما، فلا فصل بين الأرض و السّماء، و مثلما نعتني بالمادّة كجزء من الثقافة؛ نعتني بالرّوح جوهر الكائن البشريّ.

لقد خاطب الله الرّوح فينا، هذه التي ستخلد في الدّار الآخرة في إحدى المنزلتين دون هذا الجسد.

لا توجد مشكلة بتاتا بين الثقافة و الإسلام، كوننا اعتبرنا أنّ **الثقافة مجموعة عناصر الوعي و ليست مظاهر النشاط الإنسانيّ كما يردّد الببّغاوات**، حيث يصبح المكان خاصّا بأفعالنا فقط؛ عندها لا يمكن اعتبار الدّين مظهرا من مظاهر الثقافة، فهو من عند الله و ليس من عند البشر، هذه مشكلة عويصة تخبّط فيها عشرات المفكّرين و الفلاسفة.

من الله يستمدّ الإنشاديّ قوّته لإكمال مسيرته، و تبليغ دعوته الفنيّة إلى العالم ككلّ.

لصناعة ثقافة ما يجب إخراج بعض المعلومات من نطاق التّكتّم إلى نطاق العلن، قصد دخولها ضمن قاعدة الفعل و ردّ الفعل، و لكنّ السّؤال المطروح دائما و يجب أن يُطرح : ما هي المعلومات التي يجب أن تظهر للنّاس ؟.

ما رأيك لو قلنا : ما هو الخطّ الثقافيّ الذي يجب أن يسير عليه العالم ؟.

- وسائل الصّناعة الثقافيّة :

إذا كان الإعلام مفسّر الثقافة فهو صانعها، و إذا كان الإعلام عمليّة إظهار معلومات فضلاً على أنّه علم التحكّم في المعلومة؛ فهو أداة تربية، و إذا كانت التربية تعليم الناس أشياء معيّنة؛ فهي ثقافة تعامل مع قضايا متجدّدة عبر الزّمكان، و أنشطة الحضارة الإنسانيّة الخاضعة لتقييم الله في النّهاية في إطار أحكام القرآن الكريم.

لو تتبّعت السّيرورة لوجدت أنّها معقدة ذات تأثيرات تبادليّة، و هذا هو الوجود.

لنلاحظ جميعا ... أنّ هناك معلومات انفرد بها الله وحده دون شريك معرفيّ و لو كان من الملائكة المقرّبين، لأنّ لا مصلحة لأيّ كان و مهما كان متولّدة في الاطّلاع عليها، بل قد تسبّب الضّرر و الهلاك، و الجهل بها خير من علمها.

تختلف وسائل صناعة الثقافة من عصر لآخر و لكنّها تشترك كلها في الاعتماد على المعلومة و تحليلها في الشّعور أو في اللاّ شعور؛ أو كانت معتمدة على الصّوت و الرّؤية أو أي شيء آخر ... إلخ، و خاصّة شبكة الإنترنيت ذات الطّبيعة التّفاعليّة الخاصّة، الجامعة لكلّ ما سبقها في العصور الماضية.

إنّ الثقافة الإلكترونيّة التي دخلت حياتنا كفيلة بتغيير الكثير من الأشياء.

- عوامل التحكّم في الثقافة :

التحكّم غير الصّناعة، فإذا كانت هذه الأخيرة عبارة عن سيرورة إنشاء؛ فإنّ الأولى هي سيرورة المحافظة على هذا البناء، و كم من أبنية حوّلت لغير أهدافها **حين فُقد جوهر التحكّم فيها ؟**.

من الجديّة بما كان أن ننظر إلى المسألة من منظور سليم و زاوية منفرجة تصل إلى 360 درجة، كي نلمس عن كثب الأدوات الاستراتيجيّة التي نحافظ بها على هويّة ثقافيّة ما، **تمنع عنها الاضمحلال و التّميّع و الاندثار.**

نتحكّم في الثقافة بالأفكار، فإن كانت هي المصنع؛ فإنّها **مقود الاتّجاه** في عالم متناقض، ربّما قليلون فيه من يرفعون شعار كينونة الآخر، و تضمن هذه الأفكار مقاومة تجاه كافّة التّهديدات المحتلمة و غير المحتملة.

في انتظار تكوين ثقافة تعترف بكينونة الآخر كجوهر لا كشكل فحسب؛ لا يسعنا الآن إلاّ أن نحاول ملئ جهودنا تخفيف حدّة التّصادم بين الثقافات.

و إذا شئنا أن نتعمّق أكثر في القضيّة؛ قلنا أنّ الأفكار هكذا لوحدها مجرّدة لا تنفع، لأنّ من خصائص عالمها التّغيّر المستمرّ، فكرة تناقض فكرة، و زاوية التناقض هي نفسها زاوية الرّؤية، لذلك كان من الأجدر تكوين عقيدة إنشاديّة صلبة تضمن لمعتنقيها الثبات أمام أعاصير التّحريك غير السّليم للمسائل المعقدة التي يستعصي فهمها حتّى على أذكى المخلوقات.

و كما هو معروف؛ فإنّ العقيدة الإنشاديّة مؤلفة من ثلاثة عناصر، دين و فنّ و فكر، و لتلاحظ جيّدا كيف يكون الحال هنا.

عنوان هذه الأسطر " عوامل التحكّم في الثقافة "، و نحن الآن نتحدّث عن العقيدة الإنشاديّة التي تتكوّن من ثلاثة عقائد متداخلة فيما بينها تداخلا استراتيجيّا، تفرضه الدّعوة و مستلزماتها، فما دخل كلّ ذلك؛ خاصّة و نحن نقول الأفكار؛ و نكرّرها أكثر من مرّة في كلّ مناسبة سانحة و غير سانحة ؟.

هل معنى ذلك أنّ الدّين الذي هو الإسلام ثقافة ؟، سؤال شائك حيّر آلاف المفكّرين و الفلاسفة.

هل معنى ذلك أنّ الدّين الذي هو الإسلام دين ناقص حتّى نضيف إليه عقائد أخرى ؟.

هل الفنّ عاطفة و أحاسيس يصمت الإدراك الواعي أمامها حتّى يأتي الفكر فيحرس العاطفة ليتكلّم العقل محلّ تكليف الرّبّ جلّ جلاله ؟.

ثمّ ما حكاية من ينادون بوضع الدّين في المسجد فقط ؟، و ما قصّة " أعطوا لقيصر ما لقيصر ".

أسئلة استراتيجيّة تجب الإجابة عليها، فنحن أمام مسألة تتحكّم في مصير الإنسان.

اعتبر الكثيرون أنّ الدّين لا يدخل في إطار الثقافة، لأنّ هذه الأخيرة أنشطة إنسانيّة بحتة، مرتكزين على المفهوم الخاطئ و بالتّالي علمنوا كلّ شيء من حولهم، أيّ صيّروا كلّ أنشطتهم التي تعكس ثقافة من نوع ما أنشطة بعيدة عن الدّين، و صار هذا الأخير الذي هو أداة تنظيميّة لشؤون النّاس علاوة على أنّه عبادة نخصّ بها الله الواحد الأوحد؛ مجمّدا لا يُؤخذ به، و الصّواب أنّ مفهوم " الثقافة " يبتدئ بكونه **مجموعة عناصر الوعي الإنشاديّ** التي تسمح لحاملها بالتّفهّم الفعليّ لمضمون رسالته، و التّحرّك بكلّ مرونة بين الأوساط الفكريّة، و القدرة على إحداث الجديد دائما.

لا تكفي خبرات الإنسانيّة مهما بلغت للاسترشاد؛ نحو الخير أبداً مهما كانت تجارب البشر و غيرهم من المخلوقات في العوالم الأخرى.

الإسلام ثقافة مرسلة إلى بني البشر و إلى الجنّ، لفائدتهم و كان قادراً سبحانه أن يقول لنا تدبّروا أمركم وحدكم أو مع مخلوقاتي المختلفة من العوالم الأخرى كالملائكة؛ ثمّ يوم القيامة نتحاسب، و لكنّه عزّ و جلّ مدّ إلينا يده متمثّلة في دينه كي نسعد في الدنيا و الآخرة، فلا تتحيّر بعد اللّحظة على الإطلاق، و أنّى تحتار و بين يديك أعظم كتاب ؟**!**.

ثمّ لا يجب أن تذهب بك الشكوك بعيداً إلى حدّ اعتبار الثقافة المرسلة ناقصة فنكملها بأشياء أخرى، إنّما هي طبيعة الميدان **الفارضة نوعاً من التدخّل** بهدف التأكيد على هويّة الدّعوة.

لا يكفي الإنشاد كفنّ وحده، هل نسيت أنّ هذا الفنّ يتطلّب وجود قواعد و أفكار و مذاهب و مناهج ... ؟، تنظّمه فتحافظ عليه من الذوبان وسط آلاف الفنون الأخرى ؟، تجعله فعّالا لممارسة دوره في المجتمع ؟، كيف بربّك سيأتي كلّ هذا إذا لم توجد عقيدة فكريّة و فلسفة تضع كلّ شيء في مكانه المناسب ؟؟.

أرجوك؛ عدنا أن تتأمّل المبادئ العشرة للفلسفة الإنشاديّة الحديثة جيّدا.

05 - من أسرار الثقافة :

من المهمّ بما كان معرفة بعض الألغاز في الثقافة الإنشاديّة، فالأوّل هو التّوجيه الثقافيّ؛ و الثاني هو الضغط الثقافيّ، و الثالث و ربّما أهمّها هو عرض الأفكار، و كلّ واحد منهم يتمتّع بخصائص فريدة، نعم ألغاز و نؤكّد على ذلك؛ لأنّهم مفاتيح معضلة.

و يبقى الإنفاق على الثقافة أفضل بملايين المرّات من الإنفاق على قوّات الشّرطة لحفظ النظام و حماية الشعب من المنحرفين. (إربط بين هذا و بين الإنشاد)

- التّوجيه : يوحي معنى التّوجيه الثقافيّ بفكرة الإرشاد إلى خير الأمور، و هو صنع مناخ عامّ مشبع بقيم الفضيلة و النبل و جميع القيم العليا التي حثنا عليها ديننا الحنيف.

يتمّ أثناء التّوجيه الثقافيّ الذي هو تربية و تنشئة؛ تثقيف الإنشاديّين على خطّ يسيرون عليه برضاهم ... بعلمهم ... و بإدراكهم لمعنى ما يقومون به، و هو نقطة استراتيجيّة تختلف عن الضّغط، حيث تتولّد الرّغبة الأكيدة و تشتعل الأحاسيس و العواطف المؤيّدة، و بذلك تنقاد النّفس لما هو محدّد لها أن تنقاد إليه.

ما نعني به توجيها إنشاديّا هو اتّخاذ أفعال إيجابيّة تشجّع على إحداث أفعال إيجابيّة.

و " التّوجيه " مفهوم شامل لكلّ مظاهره المتعدّدة بين المحاضرة و اللّقاءات التّدريبيّة و غيرها، أي أنّ هذه المظاهر التي تتعدّد حسب خاصيّة و إمكانيّات كلّ واحدة؛ تمثّل مسلكا معبّدا للتنشئة على أفكار يتمّ تحديدها من البداية، و كأنّ الصّورة العامّة تلخّص ما يلي : سر على هذا الخطّ تصل إلى هذه النّتيجة.

هكذا هي المسألة ببساطة شديدة.

- الضّغط : يُطلق على الضّغط اسما آخر يمكن أن يكون مرادفا جيّدا له، إنّه " الحصار "، فعندما تطوّق جميع المنافذ يتولّد ضغط ما باعتبار عدّة أشياء، أي أنّه لولا الحصار لما نشأ ضغط بالمرّة، و قد يبدو الأمر غير مهمّ من الوهلة الأولى، و لكن ستتغيّر النّظرة إليه متّخذة شكلاً آخر إذا تمّ استغلال الضّغط النّاشيء عن الحصار استغلالا مثاليّا، في توليد أفكار ما كانت لتولد لو لم تتغيّر الظّروف.

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ المجتمعات **تقاد بعواطفها** لا بعقولها، و هل للجمهور عقل حتّى يعرف به ما يفيده و ما يضرّه ؟، حين يشتدّ عود المصلحة الشّخصيّة و اللاّ مسؤوليّة أمام ضبابيّة المصلحة العامّة ؟.

و حتى الفرد حين تضيق عليه السّبل شيئا فشيئا؛ و يبلغ الضّرر مداه، فقليل جدّا من يسعى إلى صبر أيّوب، فتتغيّر المبادئ أمام آثار الحصار، و يصبح الفرد يبحث عن متنفّس له فقط ليخفّف من الضّغط المتولّد طرديّا، دون أن يحرص على أيّ شيء آخر.

هل تدرك ما الذي حدث بالضّبط ؟؟؟.

ما حدث هو إنشاء جوّ مفعم بالمعلومات **التي تفاعلت مع احتياجات النفس الإنسانيّة**، ممّا أدّى إلى إنشاء مجال محدّد سابقا، يتمّ دفع الأفراد و الجماعات إليه، من أجل الحصول منهم على أفعال إنشاديّة منتظر حصولها، بناء على قوانين التّفاعل بين المعلومات السّابقة و متطلّبات النّفس، دون أن ننسى شيئا مهمّا للغاية نلخّصه في العبارة 4 × 1، أي المجتمعات الأربعة التي يوجد فوقها إله واحد.

من أجل معالجة أكثر عمقا لهذا العنصر؛ لا بدّ من التّطرّق لأفكار أخرى ذات سياق متّصل مع الرّبط بينها؛ و إذا كان الشعور بضرورة وجود الآخرين يؤدّي إلى محاولة الحصول على هيكل معلوماتيّ يؤسّس لكيان خاصّ به؛ فإنّ هذا الهيكل المعلوماتيّ ما هو في الأصل سوى مجموعة من الأفكار المتداخلة فيما بينها، التي تحدّد الكينونة الوجوديّة لهذا الآخر.

يتواجد الإنشاديّ بثقافته مثلما يتواجد آخرون ذوي ثقافات أخرى، و لنقل يكون الإنشاديّ بأفكاره مثلما يكون الآخرون بأفكارهم، من منطلق عالم الأفكار يسبق عالم اللا أفكار، و لكن تقع المشكلة عندما تتوفّر أفكار ستاتيكيّة لا تشجّع أصحابها على التّقدّم و الارتقاء، ففي هذه الحالة يكون التّوجيه سمة بالغة الأثر من طرف الذين تتوفّر لديهم أفكار ديناميكيّة، تنمّي القدرة على اجتياح الآخر، هو صراع شئنا ذلك أم أبينا، و الصّراع بين الخير و الشرّ من صميم فلسفة العدوّ المحتمل.

الآن ... هل من الممكن وجود آخر ليست له أفكار ؟، أي أنّه كائن دون أفكار مرتبطة بكينونته ؟، لا يمكن لإنسان أن يكون هكذا، إذ أنّ غياب الأفكار لا يعني جوهريّا منطقة مفرغة، بل هي **فكرة اللاّ أفكار** فقط، و هذا هو ما نعني به فكرة ستاتيكيّة، و قد تكون ظاهرة كما قد تكون مخفيّة.

يقدّم هذا الكلام لقضيّة التّوجيه عن بعد، **فالثقافات تخدم بعضها بعضا كما تستغلّ بعضها بعضا**، و ماذا يكون لمّا يُلغى عمداً التفاعل المعلوماتيّ المفسّر لكلّ هذا ؟.

كلّ إنشاديّ بصفة خاصّة، و كلّ إنسان بصفة عامّة موجود بأفكاره، أ كانت ستاتيكيّة أو ديناميكيّة، فإذا كانت الأولى يتمّ توجيه عن بعد من طرف إنسان آخر أو جماعة دون أن يتوفّر لديه علم بهذا التّوجيه، و لا سيّما إذا تمّ الإيحاء له بأفكار ليست أفكاره إطلاقا رغم اعتقاده الجازم أنّها من صميم عقله، فيستميت في الدّفاع عنها و عن قضيّة و قضايا ما كانت أبدا من ممتلكاته في يوم من الأيّام، و لا تعني له في الأصل شيئا لو دقق النّظر.

أمّا أصحاب الأفكار الدّيناميكيّة؛ فهم الذين يوجّهون المسيرة نحو الهدف المرسوم، و تتجدّد الطّرق و الوسائل بتغيّر المعطيات، و أثرها على التّفاعل المعلوماتيّ في هذا الوجود.

هناك شيء آخر ... **الأفكار مستترة تحرّكها النّوايا في القلوب**، ثمّ **التّلقائيّة**، و تختلف طرق عرضها على الملأ، طريقة العرض تلعب دوراً هامّا في تبنّيها و الدّفاع عنها، أو اللاّ مبالاة بها، أو الاشمئزاز و التّحسّس منها من جهة ثالثة.

و بما أنّ الثقافة في علاقة جدليّة مع المعلومة التي تنتقل مجسّدة مظهر الاتصال؛ فهي تربية عامّة تجسّد مظهر التّواصل، و ما التجنيد الإنشاديّ إلاّ محاولة كسب و حفاظ على أفراد يكملون مسيرة الدّعوة الفنيّة، و هي في الجوهر تثقيف عالميّ لهؤلاء الجنود المدجّجين بسلاح العلم، يقودهم النور نحو النّور، فنِعم العبيد إن امتثلوا لما علموه.

هل أجد لك عزما في إدراك أنّ سبب المشاكل الإنشاديّة هو غياب سريان مناسب للقوى ؟، فيختلّ التّوازن شيئا فشيئا، الذي يؤثّر في نوعيّة المشكلة و درجة حدّتها، و لكنّ الوجود المخلوق من الله متكامل بنسبيّة معيّنة، غير ناقص و لا معيب، إذن فمن المسؤول عن هذا السّريان غير السويّ للقوى المختلفة ؟.

لو تأمّلت جيّدا لاهتديت إلى الحلّ، شيء منّا و شيء من غيرنا، و سبحان الله **إله كلّ المجتمعات**.

- عرض الأفكار : لا تتعجّب من تفاهة بعض الأفكار المروّجة بقوّة وسط الناس، و إيّاك و الاندهاش من ارتفاع عدد من يؤمنون بها، فالسرّ في طريقة عرضها على الجمهور بشكل يغري أيّ واحد إلاّ من رحم ربّك باعتناقها.

مثل السّلع المعروضة على الزّبائن؛ في تغليف من نوعيّة ممتازة، **يشي بجودتها**، هل نلومك إذا اقتنيت إحداها إعجابا ؟.

و لكن نرفع نحوك درجة التأنيب؛ و بشكل لافت للانتباه لو تبنّيت فكرة هكذا لمجرّد أنها أغرتك بالاعتناق، هذا خندق سقط فيه ملايين البشر عبر التاريخ و ما زالوا يسقطون فيه لحدّ الآن، و لعلّك ما زلت تتذكّر نظريّة التطوّر لداروين؛ و ما أحدثته من انقلابات ثقافيّة في عديد من البلدان، أدّت إلى حروب ضروس، أهلكت الأخضر قبل اليابس.

إذن كيف الحال بالنسبة لمن يعتقدون بإدخال آلات العزف الموسيقيّة قصد تطوير الإنشاد ؟؟؟.

الفكرة المعروضة عليهم **مغلّفة بورق زاهي الألوان**، موضوعة في مكان **جذّاب لكلّ غيور على الإنشاد**، يبحث عن السّبيل الأفضل للنهوض به، و هو لا شعوريّا تحت التقدّم الذي لحق بالفنون الغنائيّة الأخرى، فهل كلّ شيء مثل باقي الأشياء ؟، لا يا سيّدي ... كلّ شيء إلاّ و له أثر، ركّز؛ كلّ شيء إلاّ و له أثر.

ما كان المظهر أبداً بديلاً عن الجوهر.

هذا من جهة؛ من جهة أخرى فإن الثقافة كفكرة مجملة ستأخذ عدّة أساليب و صور للترويج، و الكتاب الذي كان في السّابق ورقيّا فقط؛ أضحى الآن إلكترونيّا قابلا للطباعة من أجل تيسير نقل الأفكار، و أصبح مسموعاً مسجّلا لمن يعتمد على حاسّة السّمع، و الأنشودة المصوّرة هي صورة من صور نقل الثقافة، بعدما كانت الأناشيد سمعيّة فقط.

06 - إشكالات الثقافة :

للثقافة إشكالات عديدة أهمّها ما يقع في 3 نقاط، و إن كانت حسب البعض غير هامّة لاعتبار القيمة العليا للتربية، لكنّ الإشكال يبقى إشكالاً لكونه يؤثر على القيمة العامّة.

- السّتاتيكيّة : هي الجمود العقليّ بحيث يُنظر للمسألة بتحفّظ تامّ، و بعيدا عن كلّ تقدّم؛ يكون التّشبّث بالأفكار الحاصلة لسبب من الأسباب.

إنّ الجمود يؤدّي فيما يؤدّي إليه إلى نكران أيّ تقدّم معرفيّ بحيث تنشأ ثقافة الحفاظ على كلّ شيء كما هو دون بذل مجهود، و من عارض ذلك في جماعة ما؛ فإنّه سيُتّهم بنعوت متعدّدة تدلّ كلها على مقته، لأنّ تحرّكه الفكريّ يعارض الأوضاع السّائدة، و بالتّالي يمثّل تهديدا حقيقيّا، و على درجة عالية لهذه الجماعة التي انغلقت على كلّ تطوّر.

اعتبار أيّ تقدّم كان بمثابة تهديد لاستقرار الأوضاع؛ يقضي بمحاولة يائسة في أغلب الأحيان إلى الحفاظ على كلّ شيء كما هو منعاً للضعف، بيد أنّ هذا الحرص سيكسب قيمة سلبيّة، حيث أنّ قوّة الفرد و الجماعة متجلّية في الحراك العلميّ السّليم، الذي يقوّي مريديه، إذ يمدّهم بمفاتيح تسيير هذا الوجود.

و لكنّ السّتاتيكيّة ليست شيئا مكروهاً في كلّ الأوقات و الأمكنة، بل ما هو مكروه منها ما تمّ ذكره سابقا، أمّا التّحصّن وراء أفكار ثابتة إن قبلت المناقشة لم و لن تقبل الرّفض؛ فهو موقف محمود جدّا، أو سيضيع كلّ شيء تحت كلّ فكرة دخيلة.

كم من الفرق الإنشاديّة و من المنشدين من رفضوا أفكاراً تطوّر أعمالهم ؟، و تمسّكوا بما يحملونه من أفكار رغم قدمها و عدم مسايرتها العصر ؟.

كم من القوى الدعويّة قضت على نفسها بنفسها ؟.

- الدّيناميكيّة : يُقصد بالدّيناميكيّة كإشكال ثقافيّ الموقف المتحرّك باستمرار دون أن يحافظ على استقرار معيّن، ممّا يجعل الفرد أو الجماعة في تخبّط فكريّ يحسبونه تقدّما و استمراريّة، تارة إلى اليمين و أخرى إلى اليسار، يأخذون أفكارا للعمل بها ثمّ يطرحونها جانبا متبنّين أفكاراً غيرها.

يسمح هذا المناخ بالتّأثير السّهل على كلّ شخص، إذ يكفي وضع أيّة فكرة أمامه مهما كانت ليتقبّلها و يجعلها محرّكاً لأفعاله، و خاصّة إذا اقترنت بمصطلح " موضة "، و بما أنّ عالم الأفكار عالم متغيّر باستمرار و ذو جرأة عالية على التّوالد و التّشكّل؛ فإنّ المتعرّض بتفتّح مطلق له؛ مهدّد بذوبان هويّته و شخصيّته، و هذا وحده كفيل بالقضاء عليه قضاء تامّا مبرما.

تضمن الهويّة **شخصيّة لها من الخصوصيّة ما يختلف عن الآخرين**، و هو في حدّ ذاته قوّة وجوديّة، و منشأ يمهّد لتاريخ استقلاليّ للفرد و الجماعة.

حمدا لله على وجود إنشاديّين ديناميكيّين، طوّروا الإنشاد؛ أدخلوا إليه علوماً جديدة لم تكن معروفة سابقا، أناس قدّموا النشيد و الأنشودة في حلية راقية جديدة للأطفال الذين فاقوا سنّ الرّشد، أعلام أدركوا جيّدا أنّ هناك قسما من المعلومات التي اعتمدوا عليها في السّابق قد شاخت و أصبحت بلا قيمة، فقرّروا النظر إلى الأفق.

ألحان جديدة ... كلمات معاصرة ... أناشيد مصوّرة ... توثيق مرجعي ... كتب و أبحاث و دراسات؛ ثقافة حديثة.

يا سيّدي ... إذا أريد للدّيناميكيّة أن تكون محمدة للثقافة و لا مناص من تلك الإرادة؛ فيجب أن لا تمتدّ إلى القيم المعياريّة للفرد أو للجماعة؛ المأخوذة من المعرفة المرسلة وحدها دون تدخل من أيّ نوع، حفاظاً على نقائها، هذه هي الدّيناميكيّة الإيجابيّة، التي تمثّل المجال الحيويّ لأيّة ثقافة إنسانيّة، و المرآة العاكسة لعمليّات التثاقف.

- المجتمع الرّابع : يدخل هذا الإشكال ضمن مبدأ العدوّ المحتمل، و المقصود به هنا هو تدخّل مجتمع الشياطين في المجتمع الإنسانيّ، ممّا يؤدّي إلى التأثير على كافة مظاهر الحياة البشريّة، عبر كافّة العصور، إلى غاية اليوم الآخر.

يتّخذ تدخّل المجتمع الرّابع في الثقافة البشريّة غالباً شكل الوسوسة، و هي إيحاء خطواتيّ بتبنّي أقوال و أفعال معيّنة تؤدّي في النّهاية إلى شرّ مستطير، و لكنّ التدخّل الشّيطانيّ في الثقافة عبارة عن تدخّل مخفيّ بحيث يظهر منشأ الفكرة كإبداع عقليّ إنسانيّ. (الفنّ من أجل الفنّ)

من العجيب جدّا أنّ مجتمع البشر لا يلتفتون إلى ذلك، و كم فعل الشيطان و سيفعل من أجل تدمير حضارتنا الإنسانيّة، أ نسيتم حسده لآدم عليه السّلام ؟، قصّة الشّجرة ؟، هل تعتقدون أنّه الآن على المعاش ؟؟؟.

يعتمد التدخل السّافر في الثقافة البشريّة على استغلال الحاجات النفسيّة، و تحريفها عن مقاصدها الخدماتيّة الإيجابيّة، ممّا يولّد ضغطا سلبيّا ذا قيمة طرديّة ليصل في النّهاية إلى ندم شديد لا ينفع.

لمّا تدخل آلات العزف الموسيقيّة في الإنشاد **يختفي الخطّ المميّز له** عن غيره من الفنون الغنائيّة، و عبر السّيرورة الزّمنيّة؛ فإنّ الأجيال لن ترى الأمور كما نراها نحن، بل لن ينظروا إلى التاريخ ليتعرّفوا على مسلك التطوير المزعوم، و الذي قدّمه البعض على أنه ديناميكيّة فعّالة، دون أن يحسّوا أنّ الفكرة التي تفتّق عنها ذهنهم هي لسيّد من سادة المجتمع الرّابع، يرى المسائل أوضح منهم و **بمنظار أكثر قوّة**، و حين يُتفطّن للعبة؛ تكون الأمور قد تعقّدت أكثر، و سوف نلجأ للطبيب ليس لوصف دواء يُؤخذ عبر الفمّ أو حتّى حقنة نتحمّل ألم وخزها؛ بل لقطع أعضاء عزيزة علينا أصابها التلف و أزكمت رائحتها العفنة أنوف الجميع.

أمّا إذا حللنا قضيّة صوت المرأة البالغة تحليلا على هذه الشاكلة؛ سيقع بين أيادينا أنّ مجتمع الشياطين لا يغيب عنه التنسيق.

و لا نطالب بإلغاء الفكرة تماما؛ بل في **التفريق بين الإنشاد و التغريد**؛ فنّ غنائيّ يشابه الإنشاد و ما هو بالإنشاد، كي نحافظ على الهويّة السّليمة لكلي الفنّين، و نعزل أفعال المجتمع الرّابع عزلا نضمن بواسطته عدم إفساده للحضارة الإنسانيّة ... و قد أعذر من أنذر.

الفصل الثاني :

♦ العمق الثقافيّ ♦

01 - حقيقة الثقافة الإنشاديّة :
● ثقافة الشيء.

02 - الجوهر الثقافيّ :
» ما هو الفرق بين الحقيقة الإنشاديّة و الجوهر الثقافيّ ؟.
● الحكمة ● التفكير ● القيمة الأخلاقية.

03 - مجموعة عناصر الوعي :
● تعقيد الوجود ● الله محور الوجود ● القضاء و القدر ● العدوّ المحتمل ● كل شيء إلا و له أثر ● مجال القوة المثلى.

04 - الأطر الثقافيّة :
● الإطار الفنيّ ● الإطار الفلسفيّ ● الإطار الدينيّ ● الإطار التاريخيّ ● الإطار الاستشرافيّ.

05 - العلاقة الجدليّة بين الأطر الثقافيّة :
» ماذا نقصد بالمقاربة الثقافيّة ؟.

06 - الثقافة و الاختصاص :
» هل تعارض الثقافة مبدأ الأدوار ؟.

الفصل الثاني : العمق الثقافيّ

01 - حقيقة الثقافة الإنشاديّة :

دعونا نطرح هذا السؤال : ما هي حقيقة الثقافة الإنشاديّة ؟.

لنتوسّع أكثر : ما هو المفهوم الحقيقيّ السّليم الذي يجب أن يكون في الثقافة الإنشاديّة ؟، هل كلّ ثقافة إنشاديّة سليمة يمكن اعتبارها مفيدة ؟.

من الضّروريّ جدّا الغوص في مفهوم " الثقافة الإنشاديّة " قدر المستطاع من أجل حصر مجالها في نطاق ظاهر، نستطيع من خلاله تبيين المخفيّ عن الأعين و القلوب.

يعتبر التثقيف أداة زرع الأفكار، إذا أردنا تغيير أفكار جماعة ما؛ ما علينا سوى تثقيفها في الاتّجاه الذي نريده لها، و يكفي إيجاد مناخ ملائم يؤثّر على العواطف و الأفكار و الأوضاع، يركّز على العرض الجذّاب، و بهذا الأسلوب نلج باب التّربية العامّة، فيؤدّي تغيير تفكير النّاس إلى ظهور مستجدّات لم تكن سابقا في الأجيال الماضية، و هم بدورهم سيحدثون أشياء جديدة لم تكن في السّابق، و إذا أردنا حفظ جماعة عن الأثر؛ نغيّر الاتّجاه الثقافيّ في منحى معزول عن غيرها من الجماعات، فينشأ مناخ جديد يؤثّر على العواطف و الأفكار و الأوضاع في تلك الجماعة فقط، و هذا ما يسمّى " التربية الخاصّة "، مع تغيير ما يجب تغييره.

هذا ما يحدث بالضّبط في الغزو الثقافيّ، حيث يمثل حصان طروادة، إذ يتمّ التغيير من الدّاخل، بتجاوز الحدود الموضوعة كخطوط دفاع، و سرعان ما تصبح هذه الأخيرة عديمة القيمة، بل مضحكة تدعو إلى السّخريّة، حيث تتغيّر الأفكار و العواطف و الأوضاع؛ و لا تتغيّر الدّفاعات، فتبلى مثل الثوب، و تصدأ كالحديد.

إن الغزو الثقافي بمثابة فيروس لا يقتلك بل يغريك ... و يجبرك على الإنتحار.

و إذا كان الغزو المسلح كهجوم يعتمد على قوّة الجيش و مدى علاقتها مع قوّة العدوّ، فإنّ للثقافة مقياس قبول أو رفض، و هو ما يسمّى " الهويّة "، فكلّ غزو ثقافيّ يدمّر الهويّة ناجح، إلاّ إذا توفّر غزو مضاد من طرف ما زال يحافظ على هويّته؛ محتفظا بها، أو لديه ثقافة استرداد تجاه الهويّة المدمّرة.

و لكن ماذا سيحدث لو كان غزوا ثقافيّا يحافظ على الهويّة المحليّة دون أن تحلّ محلّها هويّة الغازي ؟.

إنّه بالضبط ما يحدث في الثقافة الإنشاديّة، فهي غزو يحافظ على هويّة الطّرف الآخر، و يتمّ تغيير ما يخالف الإسلام فقط، و هذا هو ما يسمّيه الإنشاديّون " الدّعوة الفنيّة "، دعوة المجتمع العالميّ إلى الخير الذي ارتضاه الله، مع الاحتفاظ بشخصيّته الخاصّة به، عكس ما تقوم به العولمة، إذ تذيب كلّ شيء و تصهر كل آخر ليتبنّى هويّة جديدة بُنيت على قيم محدّدة سلفا مثل الإسلام، لكن سلبيّة عكس قيمه.

هل طاف بذهنك يوما السّؤال التالي ؟ : ما هي الدّعوة الفنيّة ؟.

تتمثل الدّعوة الفنيّة في ثقافة عالميّة يجب أن تكون عند كلّ مسلم أوّلا و قبل كلّ شيء، إذن من زاوية نظر أخرى هي تنشئة و تربية لدينا نحن الذين نشهد أن لا إله إلاّ الله؛ و أنّ محمّدا رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم، و عليه فحقيقة الثقافة الإنشاديّة تتعدّى ما ذُكر سابقا إلى التّربية كمفهوم جوهريّ، هي التّربية من جهة إذ الغازي مشبع بثقافة الدّعوة اللاّبسة ثوب الفنّ، و هي التّربية من جهة أخرى إذ المدعو شخص نهاجم ثقافته فقط **لأنّها ليست على ما يُرام**، و ليس الصّواب ضرب كلّ شيء بكلّ شيء.

ليست لدينا مشكلة مع الأفراد و الجماعات؛ بل المشكلة مع الأفكار التي يتبنّاها هؤلاء؛ فإن غيّروا أفكارهم زالت الإشكاليّة، و بالتّالي فإنّ كلّ الصّراعات أو التي تبدو كذلك ما هي سوى صراعات على الأفكار، أمّا الإنسان فهو إنسان و سيبقى إنسانا إلى يوم القيامة.

من الغباء غزو الأفراد و الجماعات لكينونتها، نحن جميعاً نشكّل حضارة إنسانيّة واحدة كبرى، و حضارتنا البشريّة أمام حضارة المجتمعات الأخرى غير البشريّة، و إلهنا و إلههم واحد.

تذكّر دائما هذه العبارة الرياضيّة : 4 × 1.

إنّ الحقيقة الثقافيّة التي نريد إثبات وجودها هنا ما هي سوى بيت بني على أسس دُرج على تسميتها " الأصول الثقافيّة "، إنّها في الواقع هويّة تضمن شخصيّة معيّنة تقولبت بواسطة التّربية، ابتداء من نعومة الأظافر إلى غاية فاتحة الترحّم.

لنعترف بكلّ جرأة و صراحة بالغة أنّ الأفكار هي المنطقة المحرّمة الحسّاسة التي منها نتحكّم في الثقافة، و لا داعي مطلقا لتبرير استعمال مفردتي الحساسية و التحريم، غير أنه من المفيد جدّا لكلّ إنشاديّ أن يعلم أنّ ثقافته الشّخصيّة تنعكس **على** أفعاله الإنشاديّة أوّلا؛ و **في** أفعاله الإنشاديّة ثانيا، و التّكرار مهمّ، فلاحظ " على " و " في ".

عالم الأفكار يسبق عالم اللا أفكار، هنا على سبيل التّحديد، أفكارك هي ما يحدّد سلوكاتك بغضّ النّظر عن طبيعته، و سلوكك يطبع شخصيّتك بغضّ النّظر عن قيمتها، و شخصيّتك معطيات ثقافيّة، تقبل الجدل، فإن جعلت لنفسك منحى بوازع دينيّ يمثّل مرجعيّة سليمة لك؛ تأكّد من أنّك ستشيّد جسراً متيناً ينقلك **بكلّ أمان معروف** إلى العالم الآخر.

تقوم الثقافة على المعلومة، التي هي معرفة، و باعتبار المعرفة تنقسم إلى ثلاثة أقسام مرسلة و متراكمة و مجرّبة؛ فهي دوائر متداخلة فيما بينها، علوم تقنّن هذا الوجود و تنظّمه، فهل عمر الإنسان كافٍ إلى درجة تجعله محيطا بكلّ هذه العلوم ؟.

مستحيل ذلك بالطبع، إذن ... هل عمر الإنسان كافٍ إلى درجة تجعله محيطا بعلم واحد فقط من هذه العلوم ؟.

تعدّ الاحترافيّة من أهمّ الأشياء التي يسعى إليها الإنشاديّون لـ :

أ - إنّها أداة تحكّم في الميدان.

ب - تقدّم منتوجا ذا جودة ممتازة، رفيع المستوى.

قائمة على العلم و ليس على الزّمن، فكلّ من يتوفّر لديه علم وفير بخبايا اختصاصه؛ محترف و لو كان حديث اليد و القدم، و تتقاطع الثقافة مع الاحترافيّة في عنصر المعلومة مبدئيّا، و رغم كلّ ذلك فإنّ الثقافة تناقض الاحتراف.

يدور مصطلح " تعبيد الطّريق " حول محور الثقافة، و هو شغل دور ما مؤقتا حتّى يأتي من هو أهل له، أي من تتوفّر لديه معلومات أكبر، محترف أكثر، فهل المثقف محترف إلى حدّ ما ؟، بما توفّرت لديه من معطيات سمحت بتسيير أموره ؟، تلك هي أهمّ قضيّة من القضايا الشّائكة في الميدان، التي تتطلّب المعالجة.

يستقي مفهوم " تعدّد المواهب " أصله من الثقافة، فلو لم يكن هذا المتعدّدة مواهبه مثقّفا؛ لما مارس عدّة أدوار، بيد أنّ الممارسة لا تعني الاحترافيّة، بل تعبيد طريق فقط، و معلومات حصل عليها لتسيير ظرفيّ لا غير، فتعدّد المواهب معناه تعدّد الأدوار، و إذا كان كلّ دور يستدعي كمّا مناسبا منها؛ فستتصادم مع السّؤال السّابق : هل عمر الإنسان كافٍ إلى درجة تجعله محيطا بعلم واحد فقط من هذه العلوم ؟.

بما أنّ الثقافة الإنشاديّة قائمة على العالميّة؛ فإنّ **التّرجمة كعمليّة نقل معارف بين مختلف الشّعوب أمر حتميّ واجب الحدوث**، أ ليس كذلك ؟.

و عندما نقول التّرجمة؛ فإنّنا نعني لغة ما، و اللّغة زيادة على كونها وسيلة اتّصال؛ تعدّ من أهمّ أدوات إظهار الثقافة، و لنكن متفتّحيّ الفكرة، بما تتطلّبه ماهية الموقف، فما نقصد اللّغة التي يستعملها الناس في حديثهم اليوميّ، أو التي تدرّس لأبنائهم في المدارس؛ فالأمر أكبر و أشمل و أوسع من هذا، إنّها كلّ تعبير شامل إجماليّ عن الثقافة، أيّا كان نوعه، و لو بحركات اليد و إشارات الرّأس، و هزّ الكتفين.

سنتّخذ من هذه الفكرة محور ارتكاز؛ يختلف التعبير من شعب لآخر، و من قبيلة لأخرى، و من مجتمع لآخر، أي أنّ التّعبير ما هو سوى جزء من الثقافة، لديك ثقافة معيّنة بغضّ النّظر إن كانت إيجابيّة أو سلبيّة، و داخلها طريقة تعبير تستعملها لكشف و إظهار ما لديك للآخرين.

و لكن هؤلاء الآخرون الذين تسعى للاتصال بهم قصد إظهار ثقافتك لهم؛ قد لا يفهمون لغتك، إذن ملزم أنت بنقل ما تودّ نقله إلى لغة أخرى، تمثّل ثقافة جماعة غير جماعتك، كمحاولة لإنجاح العمليّة الاتّصاليّة، أو لا تتفاجأ إذا لم تُفهم، و يقع هذا داخل إطار اللّغة المعروفة عند الجميع أي لغة الحديث، أمّا إذا خرجنا من إطارها فالأمر أخطر؛ حيث تصبح لمظاهر الثقافة تفسيرات أخرى غير الحقيقيّة.

إنّ التفسيرات غير الحقيقيّة لمظاهر الثقافة نابعة من اللّغة التي تفهمها الجماعة صاحبة هذه التّفسيرات، بطريقة أخرى نستطيع القول أنّ طريقة الفهم عند هذه الجماعة تستند إلى ثقافتها الخاصّة، فهي تعرّف ما يقابلها بناء على ما تعرفه لا على ما تجهله.

فإذا كنّا نخشى ذلك؛ هلاّ لجأنا إلى مظاهر ثقافيّة عالميّة بالمعنى العام، تفهمها على الأقلّ أغلب شعوب المعمورة إن اعتبرنا أنّ الكلّ من المستحيلات في الوقت الحاضر ؟.

ليس غريباً على الإطلاق تواجد معاني متناقضة لمظاهر ثقافيّة، فإذا كانت الوطنيّة أداة غلق ثقافيّ؛ فهل يحصل العجب ممّا سيتولّد عن هذا الغلق ؟؟، و لا تنس أنّ العالميّة مسار بدأ البشر في السّير عبره منذ **فترة قصيرة** فقط.

• ثقافة الشّيء : يتحدّد مفهوم " ثقافة الشّيء " كأن نقول ثقافة اللّباس، ثقافة الأكل، ثقافة المطالعة ... إلخ، بمدى الحصول على نسق فكريّ معيّن يخدم شيئا ما، و إذا أخضعنا هذه الفكرة للدّراسة و التّحليل؛ لأدركنا أنّ الكلام الجديد يصبح على النّحو : ما مدى تحلّي الإنشاديّين بثقافة شيئيّة ما ؟، و قد لا يبدو الأمر مهمّا من الوهلة الأولى؛ و لكن حينما نضع أيادينا على نقاط حسّاسة في فنّ الإنشاد، و نربطها بالفعل الإنشادي؛ فإنّنا سنضطرّ إلى ممارسة تفكير راقٍ هذه المرّة بعيداً عن المغالطات و الإدراكات السّطحيّة.

إنّ الفوضى التي يتخبّط فيها بعض الإنشاديّين سببها غياب ثقافة الشّيء.

هل ترجع مشكلة كساد المنتوج الإنشاديّ إلى غياب ثقافة الإشهار ؟.

هل ترجع مشكلة إنشاء صحافة إنشاديّة إلى غياب ثقافة الإعلام ؟.

هل ترجع مشكلة عدم توفّر صوت صحيح يبلغ مستويات عالية إلى غياب ثقافة التّدريب على تقوية الصّوت البشريّ للمنشد ؟.

كلّ هذه أمثلة و غيرها كثير و كثير.

02 - الجوهر الثقافيّ :

هو التوغّل بعيدا عن الحوافّ، و ولوج إشكاليّة الثقافة الإنشاديّة من باب نصل منه إلى مساحات فكريّة جديدة، نؤسّس فيها القيم الفضلى و المثلى لما يجب أن يتمتّع به كلّ إنشاديّ.

و ما يضير الفكرة إذا تبنّينا رأيا مماثلا بشكل آخر كأن نقول أنّ الجوهر الثقافيّ هو فضاءات عقليّة تمثّل أبعادا جديدة، هي في الحقيقة موجودة لكنّها مهملة أو مجهولة.

»»» ما هو الفرق بين الحقيقة الإنشاديّة و الجوهر الثقافيّ ؟ :

ليس من الصّدفة أن يكون هذا الوجود، و ما كانت أبدا للصّدفة المقدرة و القوّة على إيجاد أشياء هي في الأصل قائمة على خالقها، ما الذي يدعو الشّيء إلى إنتاج نفسه بنفسه ؟.

لو تتبّعنا جيّدا ظواهر الوجود المختلفة و المعقدة؛ لوجدنا أنّ كلّ شيء إلاّ و له حقيقة مثلما له أثر، و هذه الحقيقة تمثّل الوعاء و القالب و الأصل الذي يعاكسه الباطل، و ما يحويه من زيف و أكاذيب مضلّلة، تأخذ السّائر خلفها بعيدا عبر متاهات لا يوجد في نهايتها الهدف المقصود، أي أنّ الحقيقة هي الشّيء السّليم الذي تبنى عليه الأشياء فتكون ماهيتها؛ أمّا المفهوم فيتحكّم به الجوهر.

كلّ جوهر هو حقيقة، و ليست كلّ حقيقة هي جوهر.

لا يناقض ذلك قولنا أنّ هناك حقيقة واحدة للوجود نختلف في النّظر نحوها.

لا يصل الباحث إلى محرّكات الظّواهر و لو بدا له و للآخرين أنّه نقب تنقيباً جيّدا، و أنّ ما وصل إليه هو كنز ثمين، و فعلا؛ قد يكون أثمن ممّا يتصوّر، و لكن هناك في العمق ما هو أثمن منه، و هذا الأثمن هو العنصر الذي تقوم عليه كلّ العمليّة، و عادة ما يكون النّفيس موجوداً داخل غلاف يحميه من الأنظار في الطبيعة.

• الحكمة : إنّ المتصل بالقوّة قويّ، و يقع هذا الاتصال في شيء خلاف الطبيعة الإنسانيّة، إذ أنّ القوّة هي التي تحدّد هذه المرّة طريقة الاتصال المثلى، و أيّ اتّصال آخر غير مقبول البتّة.

فلنركّز في هذه النقطة جيّدا؛ إنّ الاتّصال هو العلاقة العموديّة بين الإنسان و نبع القوّة المطلقة المعيّنة باسم " الله "، خالق كلّ شيء ربّ الوجود، و **جوهر الاتصال بين الإنسان و الله هو العبادة**، أمّا الحقيقة فهي ما نقوم به من مظاهر لهذه العبادة و ما أكثرها.

من غير المعقول أن يكون هذا الاتصال الذي هو عبادة عشوائيّا، فالله عزّ و جلّ ضبط سير العمليّة، و الكيفيّة التي تتمّ عليها، قضاء على كلّ ثغرة يتسلل منها الشّيطان، و كلّما زادت قوّة الاتصال زاد حجم قوّة المتّصل، و لعلّ هذا ما يبني عليه الصّوفيّة تصوّراتهم.

الزّاوية التي نقف عندها تجعلنا نقول هذا الكلام، غيرنا يطلق على هذه العمليّة مصطلح " التقوى "، و يفسّرها تفسيرات لا تختلف عن جوهر ما تحدّثنا عنه سابقا.

يرتبط التّقوى بالحكمة، تلك هي خلاصة الفكرة، كلما كنت تقيّا زادت حكمتك.

تحتلّ الحكمة مرتبة عليا في الجوهر الثقافيّ، فبها يتمّ اتّخاذ أفعال و أقوال مناسبة تماما، نقول على سبيل المثال : من الحكمة فعل هذا و من الحكمة قول هذا، في حين يكون عكس ذلك كارثيّ النّتائج، و عليه فإنّ الحكمة تضمن تصرّفا معيّنا من المفروض أن يتحقّق تجاه الزّمكان بما يمكن أن يحويه.

• التّفكير : ربّما لا تجد فرقاً بين الحكمة و التّفكير، بمعنى أنّ الحكيم مفكّر، حيث لن تتجلى الحكمة سوى في تفكيره، ثمّ ما ينشأ عن هذا التّفكير من أفعال و أقوال، أي مواقف معيّنة مسلوكة.

يخضع التّفكير لمجموعة من العمليّات المختلفة التي تنظّمه، كالاستنتاج و التّحليل و المقارنة و غيرها، فبدون عمليّات عقليّة مثل هذه لن يكون هناك تفكير.

و الآن سل : ما دخل العمليّات العقليّة الفكريّة في الثقافة ؟.

لنقل أنّ التّفكير يعكس أنماطاً ثقافيّة معيّنة، إذ كيف تتمّ هذه العمليّات هكذا دون انعكاس و لو بسيط لقالب عامّ تتضمّنه ؟.

مهما بدا من ماديّة العمليّات العقليّة؛ و كونها تأتي بصفة آلية في منأى عن أيّ تدخل؛ إلاّ أنّ ملامحاً ما لها شكل الثقافة سرعان ما تظهر جليّة، **نظرا لجدليّة العلاقة بين الثقافة و التّفكير**، فإذا كانت الثقافة مجموعة أفكار يجمع بينها نسق ما؛ فهل من المعقول أن يختفي ذلك في طريقة تناول هذه الأفكار و دراستها ؟، غير منطقيّ أ ليس كذلك ؟.

هذا برهان على أنّ عالم الأفكار يسبق عالم اللا أفكار، فكلّ شيء خاضع للتفكير سواء كان شعوريّا؛ أو تصرفات نشأنا عليها، فصرنا نتّخذ أفعالا تلقائية دون تفكير.

مشكلتنا جميعاً في جبننا عن مواجهة الواقع، الواقع الذي هو من أفكارنا أو من أفكار غيرنا بالوكالة عنّا.

• القيمة الأخلاقيّة : تعرّف القيمة الأخلاقيّة بكلمتي " خير " و " شرّ "، و لنأخذ هذا العنصر بجديّة أكثر، و التزام موضوعيّ أشدّ، و لنكن شجعانا فنطرح تساؤلا على هذا المنوال :

كيف تؤثر القيمة الأخلاقيّة في الجوهر الثقافيّ ؟.

عند الإجابة نلمح شيئا آخر، ألا و هو اختلاف مفهومي " الخير " و " الشرّ " كمصطلحين؛ و اختلاف المصالح المؤدّية إلى تبنّي هذين المفهومين.

تختلف ثقافة الشعوب و الجماعات عبر الزّمكان، ممّا يؤدّي بالضّرورة إلى تباين وجهات النظر في الشعب الواحد، و في الجماعة الواحدة، فاليوم يحصل إجماع على فكرة ما؛ قد يحدث أن يحصل إجماع آخر على فكرة أخرى نقيضة لها، و عليه قد تذهب الرّؤية بعيداً إلى اعتبار شرّ البارحة هو خير اليوم، و خير اليوم هو شرّ الغد، و بالتالي فإنّ الحكم على هذه الأفكار لينبع من قيمة أخلاقيّة **لها شكل الزّئبق.**

لا تستهن بهذه النّقطة مطلقا، فلو عرفت ما سيكون مصيرك تحصيلا لتأثيرها لأعطيتها كلّ حقها و أكثر، و ربّما سيقول أحد ما أنّ المرجع سيحدّد ما سيؤول إليه المصير، بيد أنّ عاملا آخر سيظهر ليأخذ مكانا له استراتيجيّا، فعند ترتيب الأمور بالنّظر إلى كيفيّة التعامل معها، تأخذ الأولويّة منّا كلّ مأخذ، و ربّما سيتحوّل الأمر إلى إغماض العينين عن الشرّ من نافذة أنّ الدّواء النّافع مرّ المذاق.

و ليكن لك هذا المثال : نشر الألبومات الإنشاديّة دون رخصة من أصحابها مالكي حقوق التّوزيع شرّ في حقّ الموزّعين الأصليّين، سيتكبّدون خسائر اقتصاديّة، و لو كان المقرصن للمنتوجات لا يعتمد على الجودة؛ فقد يعطي انطباعا للجمهور بأنّ العمليّة كلّها ترتكز على أناس هواة لا تأهيل لهم، و لا همّ لهم سوى جمع المال بأية وسيلة كانت، و لكنّ هذا الشرّ دواء مرّ المذاق مقارنة بجمهور متعطّش للأناشيد لا يجدها أمامه قادمة من طريق من المفروض أن تأتي منه.

في نظر البعض أن الشرّ الذي نتحدّث عنه تضحية من أجل الدّعوة، و لا تتعجّب على الإطلاق، فهناك من ضحّى بدمه و ماله و أسرته من أجل فكرة تافهة، أعطى لها كلّ قدسيّة.

03 - مجموعة عناصر الوعي :

الثقافة **مجموعة عناصر الوعي الإنشاديّ التي تسمح لحاملها بالتّفهّم الفعليّ لمضمون رسالته، و التّحرّك بكلّ مرونة بين الأوساط الفكريّة، و القدرة على إحداث الجديد دائما.**

تتحدّد مجموعة عناصر الوعي بـ :

- تعقيد الوجود : نعيش كما يعيش الآخرون من المجتمعات الأربعة، إضافة إلى النّبات و الجماد في عالم، هو لدينا كرة أرضيّة، يقبع فوقها الجنس البشريّ، إنّه المجتمع الإنسانيّ المعرّف بمصطلح " الجماعة العالميّة "، و نظرا للتّداخل بين المجتمعات السّالفة الذّكر؛ فإنّ هناك ظواهر تحدث كنتيجة لهذا التّداخل، هي أفعال تجسّد العمل الذي سيجازى عليه الفرد مهما كان، إن خيرًا فخير؛ و إن شرّا فشرّ، و على هذا الأساس؛ نعتمد الفكرة القائلة بضرورة الاعتقاد بتعقيد الوجود، فكافّة الظّواهر التي تحدث لها نسبة من التّعقيد مهما ارتسمت البساطة على ملامحها، و سيطر الشّعور بانعزاليّتها.

إنّ وعي الإنشاديّ بعنصر تعقيد الظّواهر الوجوديّة ارتكاز فكريّ سليم، ينفي عنه الحمق الذي يعشعش عند الملايين من النّاس، ممّن يفسّرون أشياء بجهل بالغ، حيث أنهم يعمدون إلى قوالب جاهزة **تتجاهل هذا التّعقيد**، و بالتالي فإنّ كلّ النتائج التي يصلون إليها نتائج خاطئة تماما، و الأفكار التي يعتمدون عليها أفكار مبنيّة على رؤى قاصرة جدّا، و زوايا حادّة لا يكاد يرى الرّائي منها شيئا، و الأدهى أنّهم يعتقدون أنّهم مسيطرون على الوضع.

على أيّة حال؛ فإنّ ما يمكن قوله لا يُعتبر شيئا أمام ما يمكن فعله إذا تمّ إرساء هذه الفكرة لدى الإنشاديّين، فالمعنى المستتر المقصود بجدليّة التّأثيرات سيصل إلى مرحلة التكشّف، و سرعان ما تنعدم الثقة في الأفكار السّابقة لأنّها لن تصبح فعّالة على الإطلاق، بل مصدر تندّر و فكاهة.

ممّا كُشف سابقا فإنّه سينتج لدينا حاصل جديد، ألا و هو أفعال مبنيّة على بساطة الوجود؛ و أخرى مبنيّة على تعقيد الوجود، و لك الحريّة الكاملة في النّظر الدّقيق و الملاحظة المستوفيّة الشّروط كي تحكم بنفسك على ما هو سليم؛ يمكن جدّا أن نتبنّاه، و على ما هو خاطئ؛ فنضعه جانبا، و أنت مقتنع أنّ ما فعلته لا يعدو أن يكون سوى جهد منك جهيد، و برهان فعليّ على السّعي وراء الحقيقة، فاسعَ نحو الجوهر.

هل أنت متأكّد أنّ الأفكار التي لدى الإنشاديّين أفكار من إنتاجاتهم ؟، أي لا دخل لمجتمع الشياطين فيها ؟.

مجرّد نموذج لتفهم الواقع بشيء آخر من الإدراك لم تكن تعلمه من قبل.

ألا يتدخّل الجنّ مثلاً في أفكارنا ؟.

كيف سيدخلنا الشيطان معه إلى جهنّم إذا لم يتدخّل في ثقافتنا ؟، و هل الثقافة الإنشاديّة خارجة عن هذا العالم ؟.

انتبه فأنت أمام مخلوق خُلق قبلنا بمئات السّنين لا يموت إلى يوم القيامة، معناه أنّ لديه خبرة و تجارب مذهلة.

• الله محور الوجود (الرّوح العظمى) : هل يقع لديك الآن هذا التّساؤل ؟ : إذا كان الوجود معقدا و مركّبا بكيفيّة تشي بنوع من التّخوّف و الحذر و الترقب تجاه مستقبل يزداد غموضا يوما بعد يوم؛ فهل للإنشاديّ من مأوى ؟.

من الأفضل أن نجيب لاحقا على هذا السّؤال، بعد أن توضع أمامك الدّلائل و البراهين، هي تصوير ثلاثيّ الأبعاد لما يحدث إن ابتغيت المحاكاة.

ما معنى أن يكون الوجود معقدا و مركّبا ؟.

لهذه الفكرة أبعاد مثل :

أ - الشعور بسيرورة غريبة لمختلف الأشياء المكوّنة للوجود؛ ممّا يبعث على الخوف و الرّيبة، و ينمو هذا الشعور تحت ضوء العدوّ المحتمل إلى مستوى رهيب قد يؤدّي إلى البحث عن أيّة وسيلة للخروج منه كالانتحار مثلا.

ب - محاولة الدّخول في علاقات التأثير المتبادل المفروضة كنتيجة للتعقيد، مع احتمال أن تتمثل هذه المحاولة في قيمتين؛ واحدة سلبيّة و أخرى إيجابيّة، إذ تتحقق القيمة السّلبيّة عندما يرضخ الإنشاديّ لظواهر الوجود، تاركا إيّاها تتحكّم فيه، مسلوب الإرادة، يقدّس كلّ شيء بما في ذلك الأشياء التي لا مجال مطلقا لتقديسها، تحت عامل الخوف من المستقبل و عامل الدهّشة، و غيرها من العوامل، أو تتحقق القيمة الإيجابيّة عندما يسعى الإنشاديّ إلى التحكم في الوجود بوسائل مشروعة و غير مشروعة، **العلوم النّافعة و العلوم الضّارة.**

ج - التّحالف مع مجتمعات غير المجتمع البشريّ بما ينجرّ عن هذا التّحالف من نتائج، و ما يتبعهما من توابع، كانتقال السّيطرة إلى أحد المجتمعات سيطرة شبه تامّة بما يشمل ذلك من استعباد للمجتمع البشريّ.

إنّ الملحد من تتخبّطه الظنون و تزيد حدّة شكوكه، و كلّ ذلك بسبب نكرانه لشيء مهمّ في قضيّة تعقيد الوجود، فهو يعتمد على قوّته الشّخصيّة غير أنّ الواقع يؤكّد أنّ ما يحرّكه ضعفه، الذي يترائ له قوّة، أي شيء هش يتخيّله متماسكا صلبا ... و يتخذه محرّكا لأفعاله.

من لنا نحن الإنشاديّون في ظلّ التّركيب و التعقيد سوى قوّة واحدة وحيدة، هي فعلاً من أوجدت هذا الوجود المركّب و المعقد ؟، و من لُعن خرج عن رحمة الله التي خلق بها الوجود ضرورة.

إنّها القوّة التي تنفرد بذاتها عمّا أوجدت، إذ كلّ ما يوجد قائم عليها، فلو أرادت تدمير كلّ شيء لكان لها ذلك دون صعوبة أو خسائر، هي المتجسّدة بنفسها بعيدة عن كلّ التّأثيرات، لا ينال منها الوجود و لها المقدرة على النّيل منه، لا ينفعها الوجود و هي تنفعه.

هذه القوّة هي الله الواحد الأوحد، خالق كلّ شيء و موجده، خلقا تامّا غير ناقص، سليماً غير معيب، مطوّرا دون أن يتطوّر.

إنّ الشّعور المتأصّل في نفس الإنشاديّ بوجود قوّة هي منشئة الوجود الذي هو جزء منه لشعور يبعث على الأمل، إذ يكفي الإحساس بأنّ هناك إلهاً خالقاً لكلّ هذا التّعقيد و التّركيب؛ لأن يتخذ الإنشاديّ من ذلك قضيّة عامّة، يوليها كلّ اهتمام، و يتساءل بكلّ شجاعة : لماذا أوجد الله هذا الوجود ؟، و لماذا جعله مركّبا معقدا؛ و كان قادراً سبحانه و تعالى على جعله بسيطاً بل بسيطا جدّا ؟ ... إلى غير ذلك من الأسئلة الجوهريّة.

ضعف لدينا كامن نحن البشر نحوّله إلى قوّة إذا اتّصلنا بالرّوح العظمى أصل هذه القوّة.

و شعور الأمل خطّ نهايته الطّمأنينة في كلّ شيء، فإذا كان الله هو خالق هذا التّعقيد؛ فهو المسيّر و المدبّر لحيثيّات أموره، و هو أيضا من يفكّ عقده و إشكالاته، كذلك؛ ضامن لموارده ... إلخ.

لماذا إذن :

أ - نموّ مشاعر الاستغراب تجاه الوجود ؟.

ب - الدّخول في علاقات تأثير متبادلة ذات قيم سلبيّة ؟.

ج - التحالف مع مجتمعات أخرى محرّم علينا التّحالف معها ؟.

• القضاء و القدر : تعدّ مسألة القضاء و القدر من أعقد المسائل الكبرى التي حيّرت البشريّة على اختلاف دياناتها و معتقداتها الفلسفيّة، من متطرّف متشدّد إلى معتدل وسطيّ يؤمنان معا بأنّ شيئا ما يتحكّم في هذا العنصر؛ يقع الفرق بين شيء مقدّر و آخر مقضيّ، في أنّ الأوّل يقبل التدخّل من المجتمعات الأربعة، في حين أنّ الثاني لا يقبل ذلك و لن يقبله إطلاقا، بحيث يصبح حكما إلهيّا في الطّبيعة **لا يحتمل الرّفض.**

لا توجد مشكلة فيما قيل سابقا؛ إنّ المفارقة في الحدّ الفاصل بين ما هو قضاء و ما هو قدر، إذ لا تعريف واضح جليّ لبعض الأحداث، منهم من يصنّفها في خانة الحكم النّهائيّ النّافذ؛ و منهم من يضعها في الخانة الثّانية، و لن تجد صعوبة في قبول ذلك مقارنة بالإشكاليّة التي ستنشأ؛ حين تدخل المسألة ضمن تحدّي ما لا يمكن تحدّيه.

يعتقد البعض أنّ القدر جزء من القضاء، قابل للتدخّل في حين يستحيل التدخل في الجزء الآخر، بين أنّ القضيّة إذا نُظر إليها من مستوى أعلى تتبسّط أجزاؤها، فالله بموجب ألوهيّته يعلم كلّ شيء في هذا الوجود، فهو خالقه، فهل يُعقل أن يجهل الخالق ما خلق ؟.

على هذا الأساس؛ إذا عاقب الله أحداً قبل عمله؛ لم يظلمه، فهو الله الذي يعلم ما كان و ما يكون الآن و ما سيكون في المستقبل، بما في ذلك حالة أهل الجنّة بعد ملايير الأعوام، و حالة أهل النّار بعد حقب زمنيّة طويلة.

رغم هذا فقد ترك كلّ شيء ليوم القيامة، يوم الحساب و العقاب، حتّى إذا عاقب أحدا لم يجرؤ هذا الأخير على اتّهامه بالظّلم، فلقد لاقى جزاء لأعماله، و منه فالدّنيا فرصة يحصل فيها علمنا بأفعالنا.

هذا هو الزّمن على بساطة العبارة و تعقيدها، و فيه مسألة عظمى؛ فإذا كان القضاء فالزّمن عامل تأخير و تأجيل فقط، أمّا إذا كان القدر؛ فهو فرصة من ذهب لتصحيح ما يجب أن يصحّح بواسطة الدّعاء. (راجع أقوال الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم في هذا الشّأن)

إذن فالمساحة التي يمكن النشاط فيها هي مساحة القدر فقط، بحيث تصبح أفعالنا و أقوالنا أدوات تغيير كالدعاء و الصّدقة على سبيل المثال، و ما يفعله الشّيطان حين يري الإنسان أشياء ما في منامه إلاّ تدخّل غير مباشر منه في هذه المساحة.

تذكّر أرجوك هذا الكلام؛ يتدخّل الشيطان في منامك ليفسد بطبيعة الحال، فإذا فسّرت الحلم سارت كلّ الأوضاع إلى ما يجب أن تكون عليه، و إذا تفلت على يسارك ثلاثا مستعيذا بالله غير محدّث أو مفسّر لنفسك سارت الأوضاع كذلك إلى ما يجب أن تكون عليه.

من المعروف الآن أنّ النشاط في مساحة القدر يتطلّب عنصر الزّمن، الذي خلقه الله و هو خارج عنه مثلما خرج عن غيره.

- العدوّ المحتمل : من يرسخ لديه الاعتقاد أن لا عدوّ له في هذا الوجود؛ فهو شخص من ثلاثة احتمالات :

أ - في قلبه نيّة طيّبة أكثر ممّا ينبغي فهو ساذج يسهل خداعه.

ب - جاهل ليس له علم بما يجري حوله، أو بما يحاك له في الظّلام.

ج - أحمق يتجاهل وجود النّقيض.

إنّ أوّل عدوّ للإنسان هو الشّيطان، فلقد قطع هذا الأخير عهدا على نفسه بغوايتنا جميعا، و ما ذنبنا سوى أنّنا أبناء آدم عليه السّلام، أمّا سبب عداوته لأبينا فهو حسده و غيرته، و بما أنّه منبت الشرّ فلقد نقل هذا الحسد و الغيرة إلى الأبناء و الأحفاد، أي أنّ مجتمع الشياطين أو كما يُعرف بالمجتمع الرّابع هو العدوّ الرّئيس لمجتمع الإنسان. (المجتمع الثالث)

يجنّد العدوّ عملاء له يقاسمونه العداوة و يدينون له بالولاء و لو لمدّة قصيرة، أي أنّ امتداد العداوة إلى مجتمعات أخرى أمر مفروض منذ القدم، و لكن **ليس فوق خصائص هذا المجتمعات**، فعداوة مجتمع الشّياطين لا تنتقل إلى مجتمع الملائكة (المجتمع الأول)، فهو مجتمع محميّ بخصائصه، و من المستحيل أن يحدث، برحمة من الله، و لك التخيّل.

يكون انتقال العداوة أو نقلها بتعبير أدقّ إلى مجتمعين لهما خصائص تتقبّل هذا النّقل، مجتمع الجنّ و مجتمع الإنس.

و إذا انتقل العداء من مجتمع لآخر حضر ما يستوجب إيجاد رابط متين يؤمّن تحالفاً وثيقاً بين أطراف قوى الشرّ.

هل عرفت الآن ما يجري في العالم ؟، كلّ المؤامرات و القلاقل من أجل هدف واحد.

أ ليس غريباً أن يكون الإسلام هو الضحيّة دائماً في كلّ قطر و منطقة و بلد ؟، ثمّ لماذا كلّ الأديان في مأمن عن هذه القلائل بينما يدفع المسلمين كل ثمن باهظ ؟.

لماذا يُحرص حرصاً ما بعده حرص على **ضرب ثقافة الإسلام** ضرباً مباشراً أو برفع شعارات خدمة برّاقة لا تسمن و لا تغني من جوع ؟.

بناء على كلّ ما قيل سابقا؛ فإنّ التحرّك بطريقة عشوائيّة دليل شيئين :

أ - تجاهل ما يدبّر و إغماض العينين عن الحقيقة.

ب - ضعف تشخيص قوّة الطّرف الآخر.

فهل ترضَ أن تكون غافلاً أو جاهلا ؟ ... أنت حرّ.

• كلّ شيء إلاّ و له أثر : إنّ تسليمنا بتعقيد الوجود و تركيبه يؤدّي إلى فكرة أخرى تدخل ضمن مجموعة عناصر الوعي، توحي بانعزاليّة الأفعال و المكوّنات و العكس صحيح.

معنى هذا الكلام أنّ كلّ شيء من الأشياء التي تكوّن هذا الوجود؛ مهما كان نوعها أو كانت طبيعتها؛ ستؤثّر في غيرها من الأشياء، بطريقة أو بأخرى، أي لها تداعيات منطقيّة، و هذا برهان على أنّ الله لم يخلق أيّ شيء عبثا، إن لم تكن وراءه غاية خُلق من أجلها.

ينبغي للعارف بهذا أن يقرّ إقراراً بعدم إهمال أيّ مكوّن من المكوّنات، لأنّه بإهماله لمكوّن ما؛ فإنّه سيلغي أثره في باقي المكوّنات المختلفة، و الباحث عن الحقيقة شخص محايد؛ يحاول الوصول إلى مفاتيح هذا الوجود، و كلّما وصل زاد شغفه بما لم يصل إليه، للاعتقاد الرّاسخ لديه بأنّ التّعقيد يفرض وجود أشياء مجهولة دائما، أو **علاقات مجهولة تبني معادلة تكوين الوجود.**

ممكن جدّا أن نرى هذا العنصر في مسألة الإيقاع و آلات العزف، فإدخال شيء بسيط من آلات العزف الموسيقيّة يؤثّر في الأنشودة تأثيراً سلبيّا مهما قلّ هذا التّأثير، أمّا حكم كلّ واحد منّا على درجة التدخّل؛ فذلك شيء آخر.

كيف يُعقل أن يوجد شيء دون أن يوجد معه أثره ؟، أ ليس غريباً هذا الاعتقاد ؟، رغم أنّ الكثيرين مقتنعون بهذا؛ بيد أنّهم يمارسون أنشطتهم المختلفة و كأنّ شيئا ما بسيطاً يحدث، يدركون الأشياء و لا يدركون ما تخلّفه من آثار على غيرها.

كلّ الأشياء تؤثّر في بعضها البعض عن طريق علاقات ميكانيكيّة آلية على شاكلة إذا تغيّر شيء؛ فإنّ الآخر سيتغيّر إلى النّحو التالي؛ إذا تمّت قرصنة الألبومات فإنّ ذلك سيؤدّي إلى انهيار المداخيل، أو تفاعليّة على نموذج إذا تحرّك شيء فإنّ أشياء أخرى بعيدة عنه سيصيبها التغيير وفق صور متعدّدة، مثلا إذا نظّمنا مهرجانا للإنشاد؛ فإنّ ذلك سيزيد من التواصل الجماهيريّ الثّقافيّ بين الإنشاديّين من جهة و الذين يحضرون هذا المهرجان، و لكنّنا لا يمكننا التنبّؤ بشكل كافٍ عن مدى التّواصل، كما أنّ التفاعل لدى الجمهور ينشئ أفكاراً جديدة أو معزّزة ستؤثّر في كلّ شيء محيط بهم كالعمل أو الدّراسة أو الجيران أو الأقارب.

و التفاعل يُبنى على العواطف و التّفكير.

إنّ الأثر الذي ينشأ عن شيء ما هو فريد من نوعه و لو تساوى في نظرة سطحيّة للأمور، و هو من رحمة الله بعباده و مخلوقاته، فكما يبعث ركود الأشياء على الملل و السّأم فيدفعنا إلى التّجديد؛ يؤدّي تساوي الآثار إلى إلغاء كل الأشياء و الاحتفاظ بواحد فقط و تنميته على حساب الآخرين، و هو في ذاته إجحاف في حقّ الطّبيعة و مكوّناتها، إفساد من شكل آخر، اختلال التّوازن الطّبيعي للوجود ... و قس على ذلك كلّ ضرر.

• مجال القوّة المثلى : هو المنطقة التي تكون فيها نسبة القوّة مرتفعة، عكس باقي المناطق أين تأخذ القوّة فيها أشكالا توحي بالضّعف نتيجة التّطرّف في أحد العناصر، ممّا يجعل ميزان الطّاقة عرضة للخلل، و بالتّالي فإنّ الانهيار مآل كلّ بناء و نسق.

إنّ مجال القوّة المثلى مجال استراتيجيّ بالتّأكيد، و لا نقاش في هذا، فإذا انعدمت القوّة إلاّ في نطاق محدّد؛ صار هذا الأخير قبلة الجميع، و الكلّ يريد الحصول عليه ليظفر بالمغنم.

هل رأيت أحدا يفتخر بكونه على باطل ؟، بل إنّ المخطئ يفتخر بما يعتقده صواباً سليماً مناسباً لا يرقى إليه الباطل، و بالتالي فإنّ الحقّ في ذاته قوّة، تغري أيّ واحد بالامتلاك فيصبح قويّا، مع الحذر من التطرّف لأنّ التطرّف هو ضعف حقيقيّ مستتر الأثر، يقع على جانبي المجال الأمثل.

يصنع التطرّف في الأفكار **تطرّفا في الثقافة**، و المتطرّف قد يجاري الآخر **إن جاراه** بسبب مصالحه؛ و حينما تنتفي المصالح أو تتعارض؛ يمكن بديهيّا معرفة النّتيجة الحتميّة التي ستؤول إليها الأوضاع.

ليس صعبا على المتطرّف أن يصنع أحزانه وأحزان الآخرين بإتقان شديد و بشع في نفس الوقت.

في ظلّ تعقيد الوجود و إشكاليّة القضاء و القدر التي يختلف بشأنها الكثيرون؛ و العدوّ المحتمل ... ، يجب اتّخاذ كافة التّدابير ليتمتّع الإنشاديّ بوعي يجعل منه إماماً لغيره ممّن يُفتقد لديهم هذا الذي بسببه كُتبت له الرّيادة.

معنى ذلك أنّ المعرفة الحاصلة قبل هذا العنصر معرفة غير كافية إطلاقا، فالموقف شبيه بموقف المسلم القائم بكلّ العبادات المفروضة، و لا تجد له اختراعا أو اكتشافا علميا ينفع به البشريّة، بل إنّ كلّ الاختراعات و الاكتشافات قام بها ذوي ديانات أخرى، ثمّ يطمع في نشر دعوته و استقطاب النّاس إليه، و هو آثم رغم عباداته المختلفة، لأنّه **تخلّى عن دوره تجاه الإنسانيّة و الوجود بوجه عام**، معتقدا أنّه قويّ يحصّل مزيداً من القوّة، و لكنّه يضعف يوما بعد يوم، ليس لأنّه بعيد عن مصدر القوّة بل لأنّه ينشط خارج نطاقها، في حين يتواجد آخرون في هذا الوجود في منأى عن الأصل، ممّا يسبّب له **فتنة** قد تبعده عن مصدر قوّته إلى الأبد.

يتطلّب مجال القوّة التكتّم على بعض المعلومات الحسّاسة الاستراتيجيّة كونها تكشف بدقة متناهية تقنيّات تفكيرك، ممّا يسهّل على الآخر توقع أفعالك، و صحيح أنّك مطالب باحترام كينونة هذا الآخر؛ و لكن هلاّ أبقيت لنفسك بعض الخصوصيّات التي إن عُرفت ستقضي عليك ؟، من الحكمة هذا الفعل ... فهذا الآخر قد يكون صديقاً كما قد يكون عدوّا، و الاحترام ليس معناه تقبيل جميع من يتحرّك على سطح الأرض، فكن معشاب العقل رحمك الله.

من القوّة أيضا ترك الآخرين يختارون ما أرادوه، أ **أنت أم الله الذي ترك الحرية للناس أن يؤمنوا أو يكفروا دون غصب أو إكراه** ؟، و لكن إذا كان الاختيار دليلا حريّة؛ فإنّه سبيل شرعيّ إلى نشوء الآخر بثقافة خاصّة به، و لمّا كنت قويّا بثقافتك؛ لا تخشَ قوّة هذا الوليد.

نشير هنا إلى العالميّة التي تمثّل مجال قوّة في حدّ ذاته، و كلّما كنت متفتّحاً على الحقّ أخّاذا به صار من حقك ألاّ تخشَ شيئا، لأنّ **الحقيقة واحدة في هذا الوجود**؛ نختلف جميعاً في زوايا رؤيتها **إذا كنّا ننظر بصدق إليها**، و ما دام الله هو خالق هذا العالم؛ فلا تخشَ أيّ شيء.

04 - الأطر الثقافيّة :

يُقصد بالأطر الثقافيّة المساحات و المستويات المحدّدة، المتحكّمة في النّسق الثقافيّ الخاص بالإنشاديّ، بعبارة أخرى فإنّ الثقافة الإنشاديّة كحيّز كبير بداخله مجموعة من المساحات، لكلّ مساحة ميزة محدّدة بإطار.

• الإطار الفنيّ : يقوم الإطار الفني على **قاعدة الجمال**، هو التعبير عن خلجات النّفس و المشاعر و أحاسيس الوجدان، و هو إطار هامّ في ذاته لكونه يحتمل وجهين لعملة النفس البشريّة، بقيمها و أخلاقها و نبل مستواها، إلى جانب قيمها السلبيّة من حقد و دناءة و وقاحة، و عليه فالإنشاد نشر للقيم الإيجابيّة في إطار فنيّ، و تعتيم لما هو دونها كي يحدث تشبّع اجتماعيّ بكلّ ما هو مفيد للجماعة العالميّة **الموحّدة الثابت**، في البعد الثاني بعد البعد الأوّل المتمثّل في ترقية النّفس و تنشئتها على الجميل، أ ليس الله جميلا يحبّ الجمال ؟، و هل أصل الرّوح البشريّة سوى نفخة منه سبحانه و تعالى ؟.

ربّما مرّ بك التساؤل كثيراً عن ماهية الفنّ، عن مفهومه و لا سيّما أين أصبح الكلّ يدّعي بأنّه فنّان، و يبدع أشياء لا تمتّ للجمال بصلة، و كي تستوعب ما نرمي إليه جيّدا؛ يكفي أن نوضّح أنّ تعريف الجمال هو ما تستسيغه الفطرة السّليمة، هذا من جهة؛ من جهة أخرى كلّ إناء بما فيه ينضح، إذ لا نستطيع أن نقول لفنّان ما أنّ تعبيرك خاطئ، لقد ترجم إحساسه فيما يراه ملائما، و بالتالي فالإحساس هو الينبوع، و إذا كان ما يقدّمه لا يروق؛ فلربّما لم يعرف الكيفيّة المثلى التي يجب أن ينقل بها أحاسيسه إلينا، و كما هو معروف فإنّ **الأحاسيس وقود الإنسان** تشتعل و تخمد، حسبما يأتيها من عالم الأفكار، ثمّ يزيد التركيز إلى درجة معيّنة، و يبدأ كلّ الجسم في العمل وفق هذا الإحساس الذي بدأ بذرة صغيرة ليتطوّر إلى ما يكون عليه الآن.

فهلاّ أدركت هذه النقطة ؟.

تنعكس الأحاسيس في أعمالك الإنشاديّة، إذا كنت حزيناً ستبدع أشياء حزينة، إذا كنت مسروراً ستبدع أعمالاً تشعّ منها السّعادة، و لو كنت في نفس الوقت حزيناً لا تستطيع إنجاز عمل إلا إذا كان الحزن سمته الغالبة، و العكس صحيح.

و عليه فإنّ اللاّ شعور هو الذي يتحكّم في الفعل الفنّيّ، و لو سرت إليه لكان الشّعور أقرب طريق.

اعلم أنّ الله ما أمرنا بشيء إلاّ لما فيه من جمال، و ما أمرنا بستره فهو قبيح عامّة على الفرد و الجماعة العالميّة، فإذا ما أصبح الإنسان ينظر للقبيح على أنّه جميل؛ فقد ساهم في إعاقة مجرى سريان القوى في هذا الوجود، و بالتّالي فسيفقد توازنه آجلا أم عاجلا، الأمر الذي سيقف حائلا أمام تحرّك أمثل.

أ يُعقل أن ينظر عاقل للقضيّة من زاوية الفنّ من أجل الفنّ ؟، هناك من الناس و خاصّة من النخبة المثقفة من يترك أحاسيسه تقوده إلى أين شاءت دون أن يلجمها بلجام العقل، و تجده يتبجّح بالقول : كيف أملك الشّجاعة على إيقاف تعبير ؟، إنّه كالطّفل الذي سيولد ... سيخرج إلى النّور، هل أقتل طفلي ؟، إذن كيف تطلبون منّي أن أقتل تعبيرا صادقا صدر عن إحساس صادق ؟!.

من اللاّزم أن تدرك أنّ المثل خاطئ، فالشخص هنا لم يعرف وجه الشّبه جيّدا بين التعبير و الطفل، التعبير ليس كائنا حيّا، هو منتوج كائن حيّ يُسأل عمّا أنتجه، و لله في خلقه شؤون.

... ليعلم هؤلاء أنّ الفنّ وحده لا يقيم الوجود، و إذا كان الإنشاد تعبيرا عن خلجات النّفس و مشاعر السّعادة و الألم؛ فهو بسيرورة المعنى **تقنين يحدّده الشّرع الحنيف** من جهة؛ و **ضبط عقليّ فلسفيّ للوجه الصّائب** من أجل الحفاظ على سريان قوى الوجود من الفلتان، و كلّما ابتعد الفنّ عن العقل؛ كلّما كان أداة طيّعة في أيدي الشيطان.

• الإطار الفلسفيّ : تنتقل الثقافة بحثا عن جوهرها و في إطارها الفلسفيّ إلى عالم الأفكار، باعتباره سابقاً لعالم آخر متفقون على تسميته منذ البداية " عالم اللاّ أفكار "، و تتولّد هنا لدى الإنشاديّ قدرة ما على التّفكير باستحداث أشياء مبتكرة، مبدعة من طرفه على سبيل النّشأة و الاختراع، قصد مواصلة الدّعوة الفنيّة وفق ما تتطلّبه الضّرورة، إذ أنّ التقدّم المعرفيّ الإنسانيّ **لا يعرف الرّكود أبدا**، و عليه؛ فالميل نحو نزعة فكريّة أمر واجب و ضروريّ في الآن نفسه، و مسألة لا مخرج منها و لا مهرب و لا مناص.

لنأخذ الأيديولوجيا كمصطلح له قيمته الحقيقيّة، لأنّه يعبّر هنا عن نفسه بنفسه.

تقوم الأيديولوجيا الإنشاديّة على ثلاثة ركائز كما هو معروف؛ الدّينيّة و الفكريّة و الفنيّة، و ما الجانب الفكريّ منها سوى الإطار الفلسفيّ الضّابط بعد الدّين **لعمليّات التثاقف.**

أرجوك أن تلاحظ أنّ الترتيب له أهميّة كبرى.

إنّ ما يدور في العالم من ديناميكا فكريّة تفرض فرضاً على كلّ إنشاديّ أن يؤمّن عقله ضدّ الأفكار الهدّامة و غير المبنيّة على رؤية شاملة سليمة، و أن يأخذ كلّ فكرة تُعرض عليه **بالتّحليل و الاستشراف و المناقشة**، الشأن الذي يمنع تسرّب سموم ثقافيّة إلى البناء الثقافيّ الإنشاديّ العام، و لا شكّ أنّ هذا هو ما سيلاقيه في طريقه من مطبّات، فالغير يفكّر و يبدع و يخترع، و يلاقي الأمرّين في سبيل إنجاح أفكاره المختلفة و ترويجها في العالم على حساب أفكار الآخرين و مصالحهم.

و تأمين الأفكار معناه الاعتماد على أفكار مسبقة إن قبلت المناقشة لا تقبل الرّفض، **و التسلّح بمنظومة دفاعيّة نقديّة صلبة الأسس**؛ الشأن الذي يعكس إخضاع الأفكار إلى التحليل و الاستشراف و المناقشة، إلى غيرها من العمليّات غير المرتّبة، فليس كلّ نقد صالح للإنشاديّ، حيث يأخذ في هذه الحالة بعداً سلبيّا جدّا، فتضعف به العقول لأنّه جدل عقيم، لا نصل به إلى الحقيقة، ناهيك عن أنّ الإستشراف الذي يجب أن يكون يخضع لقوانين و نواميس الله في الوجود، أو لا معنى لنتائجه على الإطلاق.

إعلاء من شأن كلّ تافه، تقوم بعض الفنون الغنائيّة الأخرى على تحقيقه بصبر غريب، و لا تستعجب حينما تنشأ أفكار من النّكران لها أن تنشأ، فالحراك الثقافيّ الذي تحبك هذه الفنون الغنائيّة خيوطه يؤدّي إلى بوتقة فلسفيّة غير سليمة البتّة، هي منظومة ذات منحى سلبيّ، يعيش من بداخلها في شرنقة من كلّ شيء إلاّ الحقيقة، أو من كلّ سلبيّ لا ينفع عباد الله لا من قريب و لا من بعيد، و تعاد الدّورة الفكريّة، بإنتاج ما هو تحصيل لكلّ ما ذكرناه.

أ يغيب عنك أنّ عمليّة إنشاء الأفكار من صميم عمليّة التثقيف ؟، حيث أنّها تقف على زاوية استراتيجيّة تجاه ما يجب أن يعمله الغير فينشؤون عليه، أي إعلامهم بصورة غير مباشرة وفق الاتجاه الواجب عليهم اتّخاذه، و هو دورهم في الحياة الدّنيا و في المسيرة الإنشاديّة بالذّات، إمّا إنشاديّون يقودون غيرهم؛ أو العكس.

- الإطار الدّينيّ : إنّه المعرفة المرسلة التي تدخل ضمن الثقافة الإنشاديّة، و اطرح السّؤال على نفسك : هل يمكن اعتبار الثقافة الإنشاديّة بناء صلباً متماسكاً إذا قطعت الصّلة بينها و بين السّماء ؟؟؟.

مستحيل ... أ ليس كذلك ؟.

يرتبط الوجود بالله خالقه و موجده، و لو اقتُصرت الرّؤية على إغماض العينين عن الاتصال بمن هو الأصل دائما على الإطلاق؛ لكانت رؤية ضيّقة جدّا لا يمكن بأيّة حال من الأحوال الوثوق بها.

كيف تنظر إلى كفّ يدك معتقدا أنّها كلّ جسمك ؟؟؟.

إنّ ما تقدّمه المعرفة المرسلة أثمن ممّا يقدّمه أيّ نوع آخر من المعارف، حيث ترينا المساحة الصّحيّة التي لا يجب الخروج منها، و الكيفيّة المثلى لتنظيم هذه المساحة؛ بحيث تتوفّر ضمانة كافية و كاملة للسّيطرة على كلّ شاردة و واردة، وفق آليات معيّنة تجسّد ثقافة في حدّ ذاتها لدى الشعوب الأخرى مثل آلية الأخلاق؛ التي هي الأصل **قبل آلية القانون.**

قبل أن تتعب عقلك في التفكير عن قوانين تنظّم كلّ شيء في حياتك و عبثا مطلبك؛ تأمّل ما يفعله الدّين تحت طائلة العقوبة الإلهيّة كي يتملّكك الإدراك أنّه كنز من كنوز التّسيير الحياتيّ.

يعيش النّاس في فوضى حقوقيّة، الكلّ يطالب بأشياء عادية يسمّونها حقوقا مشروعة لهم، و أمام مُطالبتهم يقف النّظير لهم موقف النّدّ الذي من حقّه أن يدافع عن أفكاره، في الحقيقة هو يدافع عن أشياء عادية يسمّيها حقوقاً أيضا، من حقّ المرأة التّعليم، ثمّ إذا خرجت إلى المدرسة و الجامعة أهملت حقوقاً أخرى لآخرين، و هكذا يعيش الكلّ في أحراش و يحتكمون إلى مصادر لا تعلم شيئا و لا تملك لهم أيّ نفع، بل تنقلهم من حسرة إلى حسرة، حتّى إذا آلمهم المصاب؛ فكّروا في أفكار أخرى متناقضة، لا تزيدهم إلاّ ألماً و خيبة أمل.

هل تعلم أنّ ذلك انتقل إلى الإنشاد ؟، أصبح البعض يتشدّق بالقول أنّه من حقّ المرأة أن تنشد، و لماذا هذا الميدان محصور على الرّجال فقط ؟، و أمام المطالبة تتصلّب المواقف و تتعقد، تتشابك الخيوط، و منهم من يصبّ سوائل سريعة الالتهاب على النّار ليزيدها تأجّجا، بحجّة أن الشّريعة الإسلاميّة لم تعترض على هذا سوى في حالات نادرة، يقول " الفتنة " ككلمة نظريّة دون أن يلمّ واقعيّا بالمدلول العميق لها، لا تستغرب ... حاول أن تنظر من الآن إلى الواقع بعيني صقر محلّلا كلّ شاردة و واردة، مدركاً ما عليك من واجبات تجاه الجميع؛ نحو من تتوقع هجومهم عليك، و نحو من تتوقّع وقوفهم بجانبك، و نحو من سيمسك العصا من الوسط.

لا يمكن بأيّ وجه حقّ أن ننقد المعرفة المرسلة، كونها معرفة تامّة كاملة مطلقة، لا يدنّسها بهتان شيطان أو تزوير إنسان، فهي حفظ محفوظ منه تعالى، آمنة فمن الغباء التنكّر لها، فريدة من نوعها لا يوجد شبيه لها إطلاقا، لأنّ الله واحد لا شريك له، فكيف تكون معرفتين مرسلتين ؟!، واحدة حقيقيّة صحيحة و الأخرى هي نتيجة تفكير يفسّرها لا أساس سليم له على الإطلاق، **للخطأ في رؤية الأحكام و إسقاطاتها على الحياة الواقعيّة للإنسان كفرد و جماعة.**

• الإطار التّاريخيّ : هو المعرفة المتراكمة عبر السّنين و الأجيال، المتوارثة أبّا عن جدّ، أو تلك المعرفة المتناقلة بين الجماعات المختلفة، سواء انتقال مكان أو انتقال زمان، و إن كان هذا الأخير السّمة الغالبة و المقصودة في كثير من الأحيان.

لندغّم الزّمن و المكان من أجل الحصول على مصطلح " الزّمكان "، للأسباب التالية :

أ - لا يقوم المكان كعامل وحده أبداً و لو استعملناه عادة للتبيين لا غير، بل يرتبط الزّمن معه كحتميّة من حتميّات هذا الوجود.

ب - تنشأ عن عمليّة الإدغام نتائج تعود من جديد على المصطلح الجديد، فلا معالجة منفصلة إذن على انفراد.

و بالتّالي؛ و من الآن فصاعدا؛ حين تستعمل مصطلحا " الزّمن " أو " المكان " احرص على الرّبط بينهما منطقيّا، و لو لم تستدعى لذلك، لأنّ **الوجود معقّد بطبيعته**؛ و هذا وجه من أوجه التعقيد.

و المعرفة المتراكمة عبر الزّمن و المكان خاضعة لكلي التأثيرين، معناه أن عامل الزّمن أثر عليها و عامل المكان أثر عليها أيضا، كلّ واحد بنسبة معيّنة، فإلى أيّ مدى يمكن الاستفادة منها دون أن يؤثّر علينا ما أثر عليها ؟.

هي نتاج معارف تمّ تجريبها عموما، أي أنّها معارف شخصيّة مجرّبة تمّت أرشفتها معنويّا أو ماديّا، و بذلك فقد انتقلت ملكيتها من شخص آنيّ إلى حساب جماعة معرّفة بالإرث المعرفيّ الإنسانيّ، و إن كان التحقّظ باديا من هذا المفهوم الأخير، **نظراً لتداخل العوالم الأربعة**، و بالتّالي تداخل المعارف النّاشئة عن هذه العوالم المتداخلة.

ركّز جيّدا في المعنى، فلربّما تختلط عليك الأمور فلا تذهب بخفّي حنين، لأنّ الأفكار تتناسخ.

ينشأ التّراكم بواسطة أفراد و جماعات يأخذون على عاتقهم عمليّة التّأريخ، إذ لا يُعقل أن تسجّل الحوادث أو المعارف من تلقاء أنفسها، و الذّاتيّة التي قد تفرض نفسها في مثل هذه الحالات؛ أو عدم التثبّت جيّدا ممّا يتمّ تدوينه بكلّ سبل التّدوين المتاحة؛ يمثّل زادا معرفيّا مسموما يستهلكه القادمون.

و لا داعي لتذكيرك أنّ الأفكار من صنع الإنسان الذي يعيش عبر الزّمكان، و كلّ زمكان يختلف عن غيره.

ليست المعرفة المتراكمة بالضّرورة صالحة، بل إنّ معظمها فاسد إذا نظرنا إليها من زاوية الأعراف و التقاليد الاجتماعيّة، التي تدخل الأساطير و الخرافات في الإرث المعرفيّ الإنسانيّ، أو تقحم أفكارا شاذّة خاطئة مسمومة في العلم من أجل منحها التّرسيخ و التّكريس، و هذه الفقرة تشرح العبارة السّابقة.

• الإطار الاستشرافيّ : لدائما يُطرح السّؤال التّالي : ماذا يمكن أن يحدث مستقبلا ؟.

عندما نجيب أنفسنا ندور في فلك الإطار الاستشرافيّ للثقافة الإنشاديّة، و كي تكون إجابتنا إجابة واقعيّة حقيقيّة؛ يجب النّظر إلى الآتي :

أ - المستقبل هو مجموعة معلومات مخفيّة عن الجميع، غيب كلّيّ لا يعلمه إلاّ الله، نحاول الوصول إليه من أجل صناعة مستقبل منشود، **بعيداً عن صناعة مناوئة لنا.**

ب - إنّ صناعة المستقبل تتطلّب استشرافاً قائماً على قواعد علميّة سليمة صالحة للاعتماد عليها، بعيدة عن السّحر الذي هو علم قائم بذاته، و ليس كما يعتقد الكثيرون، إذ يؤكّدون على أن السّحر مناقض للعلم، بل الشّعوذة هي أكاذيب في شكل علم، نظراً لأنّ ممارسة السّحر تستوجب الاستعانة بالمجتمع الرّابع، و نظراً لما في هذا المجتمع من شرّ متأصّل؛ فإنّه من غير المنطقيّ الاستنجاد به إذ تُعتبر أفعاله خطيرة لا تشجّع على السّليم من الأمور و العواقب.

ربّما يتطلّب التّصوّر في موقف كهذا وجود طريقين للوصول إلى المستقبل؛ طريق مبنيّ على العلم الضّار و هو السّحر؛ و طريق مبنيّ على العلم النّافع و هو طريق الحكمة و التّبصّر.

لتكن الشّجاعة تاجاً موضوعا فوق رؤوسنا، و نحاول وضع سيناريوهات مدروسة بدقّة للمستقبل.

إنّ المعلومات قسمان؛ قسم مطلوب منّا استشرافه، و قسم نُهينا عن استشرافه، تحت قاعدة النّفع و الضّرر، فليست كلّ المعلومات صالحة للمعرفة، و هذا هو إعجاز الوجود.

إذا عرفت كلّ الغيب **لم يملك عقلك القوّة اللاّزمة لمواجهة ذلك**، هل يمكنك رفع القمر بيديك ؟، هل يمكنك القفز على الأرض بشدّة كي يختل توازنها و تسقط من المجموعة الشمسيّة ؟، ربّما تضحكك هذه النماذج فتراها غير منطقيّة البتّة ... و لكنّها عين الواقع الذي يجب عليك إدراكه، و القوى أشكال و أنواع .. لاحظ؛ أشكال و أنواع.

لا يمكننا يا سيّدي أن نرى كلّ الغيب، بل نلمس جزءاً يسيراً منه، كالواقف في مفترق طرق، سيرى كلّ ما يحدث في أكثر من طريق، بينما القادم من إحداها لا يرى إلاّ ما هو أمامه.

ندعوك لرؤية جزء من الغيب بناء على قواعد العلم و سنن الله في الوجود، هذا ما يمكننا فعله لك، فإذا أردت المزيد عليك بالعلم و سوف نفخر بكينونتك إذا كنت أنت أستاذنا.

أمّا غير هذا فننصحك بالابتعاد عنه.

هل يرضَ عاقل أن يقود سيّارته و رأسه للأسفل ؟، لا يعلم إن اصطدم بجذع شجرة أو وقع في حفرة أو داس على شيء سيتعبه ؟.

لاحظ أنّنا استعملنا الماضي و في ذلك إشارة إلى أنّ الزّمن مخلوق من مخلوقات الله، و هو جزء لا يتجزّأ من الوجود، و عليه فإنّ ما سيكون سيكون و لو أوقفت الزّمن، و الزّمن كفيل بعلاج بعض المشاكل كما يقول البعض.

و بما أنّ الله هو المتحكّم المطلق في الوجود بكلّ تعقيداته؛ فإنّه سيسيّره إلى الخير لا محالة، و عليه فقد أوصانا بالثقة فيه و نبذ اليأس، و لنعمل و لنجتهد، ألا يكفيك أنّ الإنشاد لم يكن هكذا في السّابق ؟، لو فقدت الحركات الإنشاديّة العالميّة الأمل لما تأسّست أبدا.

كلّ فكرة تلقيها في الوجود سيكون لها أثر، سيكون لها تفاعل مع غيرها من الأفكار ... ستشكّل جزءاً من ثقافة الغد و الذي بعده، ستجذب إليها البعض و ستنفّر البعض الآخر، و سيتجاهلها البعض الثالث، فكن على حذر ممّا ستكون مشاركاً في بنائه، و اعلم أنّ الشّجاعة ليست في طرح الأفكار في الميدان، بل في جرأتك على سحب ما يفسد السّاحة في الزّمكان المناسب إن استطعت فعلاً أن تكون لك المبادرة.

05 - العلاقة الجدليّة بين الأطر الثقافيّة :

تكون المصلحة العامّة في تقنين علاقة جدليّة بين جميع الأطر الثقافيّة السّابقة، و هي ما يسمّيها البعض " إنشاء خطّ ثقافيّ عام عالميّ يخدم كلّ البشر بما يحقّق الخير للجميع ".

إنّها " التنشئة الثقافيّة " المتمثّلة في **بثّ معلومات تدخل ضمن نطاق الثقافة العامّة و الثقافة الخاصّة**، بغية المساهمة في إنشاء مجتمع عالميّ موحّد الثابت، قائم على أسس و ركائز سليمة هي العلوم المختلفة التي يقوم عليها الوجود بكلّ تعقيداته.

و عمليّة التّنشئة الآخذة أساساً عمليّات التّسارع الثقافيّ؛ تأخذ مظهر الثورة أو مظهر النّهضة حسب الحاجة إلى ذلك و المناخ :

أ - لكلّ مظهر زمن مناسب يستغرقه، و ضرائب تدفع.

ب - توريث النّاتج من الأفكار و العواطف و الأوضاع كثقافة للجيل اللاحق.

لسنا في حاجة إلى أسلحة و متفجّرات إذا كنّا نرمي إلى ثورة فكريّة إنشاديّة، تتغيّر على ضوئها مفاهيم الإنشاديّين و معتقداتهم، و يعاد تشكيل عقول جديدة تنظر إلى الواقع نظرات ثاقبة، و نحن محتاجون إلى الزّمن أكثر من أيّ وقت مضى إذا كانت رغبتنا النهضة، تلكم هي المقاربة الثقافيّة بمختلف ارتباطاتها القادمة من عالم الأفكار.

««« ماذا نقصد بالمقاربة الثّقافيّة ؟ :

نؤكّد من جديد هنا على شيء في غاية الأهميّة قبل الانتقال إلى أفكار قريبة أخرى، ليست الأطر الثقافيّة السّابقة بمعزل عن بعضها البعض، ما يفيد الإنشاديّين أيديولوجيا في قمّة التحكّم الفكريّ مع معرفة متراكمة منفصلة بآليات ؟، من غير المعقول أن تخدم الهدف الأسمى.

إنّ المقاربة الثقافيّة هي وجود ثقافة مكمّلة للأطر الثقافيّة، التي تناولناها على انفصال كي يستوعبها العقل البشريّ الذي لا يستطيع استيعاب الشّيء معقدا هكذا دون تفصيلات تزيد من الفهم، و تضيف معارف أكثر عمقا لتفاعل أكثر جدوى.

معنى ذلك أنّ **الفنّ ليس ثقافة منفصلة لوحدها**، لا يُعقل أن نقول أشياء قد تمثّل خطراً جديّا على الدّعوة الفنيّة لمجرّد أنّ ذلك في خدمة التّاريخ، و لا نتبنّى أيديولوجيا دنيويّة قاصرة الرّؤية لمجرّد بنائها على أركان منطقيّة جذّابة التّعابير، و تذكّر أنّ المنطق جامد غير المعقول، و عليه؛ فإنّ الرّؤية الضيّقة للأمور **لا تولّد إلاّ شرّا.**

تتحكّم الأطر الثقافيّة في ثقافة الإنشاديّ، إذ تبني له نسقاً متكاملا، يجب تصحيح الخاطئ منه، و الحذر دائما من مساهمة كلّ إطار في الحصيلة العامّة، درءاً لكلّ ما من شأنه أن يؤثّر في التّوزيع السّليم للأفعال الإنشاديّة بتغليب مستوى على آخر؛ أو بزيادة مساحة على أخرى.

من أجل معالجة أكثر عمقا لهذا العناصر؛ لا بدّ من التطرّق لأفكار أخرى ذات سياق متّصل.

تعدّ عمليّة تثقيف الإنشاديّين من بين أعقد العمليّات و أصعبها؛ كونها لا تتمّ لوحدها هكذا دون تأثير من متغيّرات أخرى، فإذا كان الإنشاديّ يتلقى معلومات كثيفة، هي في ذاتها متغيّرة؛ ما يأخذ و ما يترك ؟، ما هي نسبة التّرك أو نسبة الأخذ ؟، كيف نحدّد الأولويّات ؟.

و فوق هذه الأسئلة هل توجد مظلّة الثورة أو النهضة ؟.

و المعلومات علوم في النّسبة المثلى، و هي أفضل صورة للتّنشئة الثقافيّة حيث يتّسع المكان لحجم هائل من العلوم المنظّمة للوجود، و تتداخل فيما بينها تداخلات يغلب عليها التّشابك و التعقيد إلى درجة يصعب معها **معرفة الخطوط الفاصلة.**

التنشئة الثقافيّة هي التربية على مجموعة من المعلومات المتراكبة المتشعّبة المؤثّرة في بعضها البعض، و نظراً لهذه الخاصيّة؛ فإنّ الإنشاديّين سيكونون مجبرين على مواجهة شيء اسمه " التسارع الثقافيّ "، الذي يمكن تلخيصه في سؤال وجيز محدّد على هذه الصّيغة : هل يمكن تغيير ثقافة ما بسرعة ؟.

سواء كانت الثقافة المرغوب تغييرها منشأة بأيادينا أو بأيادي آخرين؛ فإنّه لمّا تقتضي الضّرورة بإدراج حراك ما في الوجود؛ يتعيّن علينا **أخذ كافّة المسؤوليّات.**

لنتعمّق أكثر في الموضوع؛ إذا كان الغرض من تنشئة الإنشاديّين هو توجيههم نحو هدف أسمى أوّلا؛ و تعليمهم الكيفيّة التي بها يحافظون على هذا الهدف؛ فهل للزّمن دور في ذلك ؟.

لو كانت القضيّة تقوم على مدى صلاحيّة المعلومات المتراكبة المتشعّبة المؤثّرة في بعضها البعض لتبسّطت المشكلة من ذاتها، و لكن ما العمل في الأثر التربويّ الذي تتركه هذه المعلومات في العقيدة الإنشاديّة ؟.

لنأمل أن تتوفّر فكرة جوهريّة تتناول المعارف الثلاثة على أوجهها السّليمة، فليست كلّ الأفكار صالحة للمناقشة، من الأفكار ما تقبل المناقشة دون أن تقبل الرّفض، بما يجعل نوعاً من المرونة المطلوبة الضّروريّة في مثل هذه الحالات تفرض منطقها في الحضور و التكشف، أي أنّه يجب على الإنشاديّين إدراك شيء في غاية الخطورة، إبقاء أفكار معيّنة لا ترفض على الإطلاق؛ لأنّ الوجود قائم عليها، و تجديد أخرى يجب أن يطالها التّجديد، لأنّ بقائها ستاتيكيّا معناه **تعفّن الأفعال المبنيّة عليها**، ممّا يؤدّي إلى تخلف العائلة عن الرّكب السّائر نحو الهدف الأسمى المنشود.

هذه مسؤوليّة واحدة من المسؤوليّات.

على هذا الأساس و من هذا المنطلق؛ فإنّ ما يُنظر إليه الآن يتركّز حول **إشكاليّة التوريث الثقافيّ**، فما الذي يجب أن نورّثه للأجيال الإنشاديّة القادمة ؟، كيف نجعلهم يفرّقون بين الثابت و المتغيّر ؟.

قضيّة حسّاسة كونها تؤسّس **إمّا لتكامل الأجيال ... أو لصراعها.**

أيّ انفلات في هذا الأمر يؤدّي إلى ما تمّ التحذير منه سابقا، أفكار تناقش و لا تُرفض؛ و أفكار يجب أن ترفض تحت وطأة الزّمكان.

06 - الثقافة و الاختصاص :

من البديهيّ أن يرتفع مستوى التناقض بين الثقافة و الاختصاص إذا تمّ الحرص على تبنّي مفهومين يتّسمان بالاختلاف، فالثقافة التي تعني حصول معارف مختلفة يقتضيها مصطلح " تعبيد الطّريق "؛ تشير إلى اتجاه مختلف تماما لما يعمد إليه الاختصاص من انتفاء المعرفة ذات الميادين المتنوّعة، و التترّس وراء معرفة دقيقة تتسم بالغوص بدل الانتشار السّطحيّ.

مغادرة مفهوم " الثقافة " إلى مفهوم " الاختصاص " مغادرة لها خصوصيّة الاتجاه فقط، فبعد أن كان المثقف يبحث عن معلومات تجعله متمكّنا من ميدانه؛ ها هو الآن همّه الوحيد البحث عن معلومات تجعله **ماهراً في تحريك الأحداث غير المنتظرة**، و دفعها دفعاً إلى المجال الذي يمثّل بؤرة من البؤر المتعدّدة لإنتاج المعرفة.

ارجع بفكرك هنا إلى الإطار الاستشرافيّ.

»»» هل تعارض الثقافة مبدأ الأدوار ؟ :

و إذا كانت الثقافة تعارض الاختصاص؛ فقد تشكّل عائقا جديّا أمام الدّور الذي يُعتبر دلالة تفيد الاختصاص.

إنّ المختصّ في ميدان ما؛ له دور يخصّه وحده دون غيره من الأدوار، التي تنقسم إلى أدوار فنيّة و أدوار غير فنيّة.

لاحظ أنّ **الثقافة تعارض مبدأ الأدوار**، إنّ فكرتنا المتمثلة في أنّ نوعيّة الاتجاه هو الفارق بين الاختصاص و الثقافة تفرض علينا فرضاً ذا طبيعة خاصّة أن نفصل بين كلّ مكوّنات المادّتين، في حين أنّ عالم الأفكار الذي ننطلق منه قارّ ديناميكيّ في آن واحد، إذن ما الفكرة التي وراء هذا التعارض ؟.

تقتضي المهارة في تحريك الأحداث شيئين هامّين؛ موهبة فطريّة و ثقافة مكتسبة، على اعتبار هذه المرّة أنّ الأفكار الدّاخلة في التثاقف هي معرفة مرسلة و معرفة متراكمة و معرفة مجرّبة، فلا يمكن للموهبة وحدها تحقيق اكتفاء ذاتيّ دون الدّوائر المعرفيّة المتداخلة، و الطّبيعة الخاصّة التي فصلنا على إثرها مكوّنات الثقافة عن مكوّنات الدّور؛ ما هي سوى طبيعة نظرتنا إلى العلم.

لعلّك تكون قد لاحظت شيئا ما مهمّا للغاية في الأناشيد المصوّرة؛ قدرة المنشد على التمثيل أمام الكاميرا، ما رأيك في العمليّة برمّتها ؟، هل هذا دور آخر منفصل عن دور التنشيد ؟، هل هذه ثقافة اختصاص ؟، أم ثقافة عامّة ؟.

يوصي المخرج بضرورة إتقان المنشد لحركاته التمثيليّة، إنّها زيادة تفاعل سينتقل أثره إلى الجمهور، خطوة محمودة و مطلوبة، و هي ثقافة امتداد، فلا يمكن في هذه الحالة النّظر إلى مصطلح " تعبيد الطّريق " بتاتا، لأنّ الدّورين يجمع بينهما التّطابق و ليس الانفصال، رغم أن الدّورين فنّيين.

ناجح هو لدرجة ملموسة الخطاب العلميّ الذي يكون بين الإنشاديّين، و الذي يكون على أرضيّة صلبة متماسكة يدفع عجلة الدّعوة الفنيّة إلى الأمام، فكيف بربّك يتفاهم المنشد مع الموزّع أو مع الملحّن ؟، كلّ هذا مؤسّس على ثقافة مشتركة بين الجميع بحيث لو تكلّم أحدهم لفهمه الآخرون مباشرة، نوع من اللّغة القائمة على ركيزة المعلومات العلميّة، **تنشئ تقارباً ذا طبيعة خاصّة** يعيش فيه جميع أفراد العائلة الإنشاديّة.

تسمح الثقافة في امتدادها بتكوين خبرة مشتركة تشعر طرفين على الأقلّ بزمالة فوريّة، هي في الواقع جسر من جسور الاتصال، و كما ينقل الجسر الأشياء الماديّة؛ ينقل العواطف و الأحاسيس و الأفكار ... و الثقافة.

الفصل الثالث :

♦ الظّواهر الثقافيّة ♦

01 - مفهوم الظّاهرة الثّقافيّة :
- متغيّرات الظاهرة الثقافيّة.

02 - دراسة الظّاهرة الثّقافيّة :
- إشكاليّة دراسة الظاهرة الثقافية ● دارسو الظاهرة الثقافية.

03 - الثقافة العامّة و الثقافة الخاصّة :
» ما هي العوامل المتحكّمة في الثقافة العامّة ؟.
- المؤسّسات الثقافيّة ● الاحتكاك المباشر بصنّاع الثقافة الإنشاديّة ● الاحتكاك غير المباشر بصنّاع الثقافة الإنشاديّة.

04 - صناعة ثقافة خاصّة :
- مميّزات الصّناعة الثقافية الخاصّة.

05 - المنبع الثّقافيّ :
- الأيديولوجيا و العقيدة الإنشاديّة.
» هل تعدّ اللغة نبعا مثاليّا للثقافة ؟.
- إستيراد الثقافة ● التوأمة الثقافيّة.

06 - الحماية الثّقافيّة :
- الحماية الذاتيّة ● الحماية الشاملة المتكاملة ● العلم الصحيح.
» هل يمكن أن نلغي الرقابة الثقافيّة بالحماية الفكريّة ؟.

الفصل الثالث : الظّواهر الثقافيّة

بعد أن اطلعنا على مدخل إلى الثقافة الإنشاديّة؛ و أتبعناه بغوص إلى الأعماق؛ نرى في هذا الفصل ماذا يحدث ثقافيّا ؟، أي أننا تكلّمنا عن الثقافة الإنشاديّة دون أن نتناول شيئاً في غاية الأهميّة، ألا و هو الظاهرة الثقافيّة، لكن نرى من الواجب التطرّق لبعض الأشياء الممهّدة لها؛ قبل الدخول مباشرة في دراسة ظاهرة ثقافيّة ما.

كما يمكنك اعتبار الظاهرة الثقافيّة منطقة من عمق الثقافة، نسبر أغوارها لنتعرّف على كلّ ثمين.

01 - مفهوم الظّاهرة الثقافيّة :

الظاهرة الثقافيّة هي جميع ما يمكن رؤيته من الأنشطة الإنسانيّة، نتحدّث هنا عن الإحاطة العامّة، لأنّ الإنشاديّ إنسان بالدّرجة الأولى؛ له مشاعر و أحاسيس، له عائلة، أب و أم، زوج، أخ و أخت، أقارب ... كلّ هؤلاء تربطهم علاقات خاصّة بحكم صلة الرّحم، جيران، أصدقاء، له عمل يقتات منه، إذن كل هذه العلاقات تتطلّب أنشطة مختلفة تعكس ثقافة ما لدى الإنشاديّ.

تشاهد الثقافة في كلّ نشاط مهما كان نوعه، إذ تكفي إقامة علاقة ما مع أيّ أحد لتظهر أفكارك، تكفي النظرة السّطحيّة أين تعيش لنلمس ما تفكّر به.

تنعكس أفكارك في كلّ ما حولك من أنشطة و علاقات، حتى و لو لم تكن تمتّ للإنشاد بصلة ... تنعكس أفكارك في تعاملات الناس معك، في ردود أفعالك تجاههم، يؤثرون فيك و تؤثر فيهم.

هي التركيبة المركّبة من عناصر مختلفة تتعاشق فيما بينها بما يحصّل نتيجة معيّنة تظهر في مظاهر محدّدة، هي في واقع القضيّة تؤسّس لثقافة متجدّدة؛ علاوة على أنّها انعكاس لتفكير ما ظهر في فترة تاريخيّة معيّنة.

و سواء تغيّرت النظرة إلى هذه الظاهرة الثقافية، على كونها نشاطا سليماً أم العكس؛ فإنّ هناك أشياء تقع خلفها، هي متغيّرات تختلف من شخص لآخر، و من جماعة لأخرى، على اعتبار أنّ الوجود معقّد.

... و إذا تعقّد الوجود؛ تعقدت الظّواهر.

- متغيّرات الظّاهرة الثقافيّة : للظاهرة الثقافيّة متغيّرات كثيرة من أهمّها :

••• المكان : صحيح أنّ الإنشاد عالميّ التوجّه، لكن العالميّة لا تهمل خصوصيّة المكان الجغرافيّ الواحد، بل تحترمه كعامل له ميزاته المحددة لهويّته و شخصيّته.

لنفرّق بين العولمة و العالميّة، فالأولى لا تعترف سوى بمكان واحد ذو إشعاع ثقافيّ متكامل معيّن، أمّا الباقي فيجب إبقاؤها دائما **تحت رحمة هذا الإشعاع فقط** دون أن يُسمح لها بالإشعاع الخاص بها مهما كان سليما، و كأنّ الموضوع مسألة قويّ متسلّط على ضعيف، يرى القويّ أنّ الحقّ لا يمكن أن يكون لدى الآخرين، بل هو حصريّ لديه، و هو تكبّر جليّ، و مغالاة واضحة وضوح الشّمس.

العالميّة شيء آخر تماما، يرتفع مستوى فهمه إلى أنّ الحقّ من الله وحده و نحن جميعاً نسعى جاهدين للوصول إليه، هُدى الله ما بعده هدى، و ما بعد الحقّ إلاّ الضّلال.

المكان متغيّر جوهريّ لأنّه :

أ - مهد الثقافات و مأواها حيث تنشأ الأفكار بناء على المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، و تتقوّى لتصبح عادات و تقاليد، و لربّما تحوّلت إلى أساطير.

ب - يمثل الحد الثاني في معادلة التأثير الثقافيّ، حيث تؤثر الأفكار فيه كما يؤثر عليها، فقد يُتوسّع في المكان لأنّه أصبح ضيّقا لا يفي بما **تتطلّبه الأفكار التي تطوّرت بناء عليه.**

لكلّ مكان مناخه الخاصّ به، و المناخ يؤثر في كلّ شيء ... على الذين يعيشون تحت تأثيره، النباتات و الحيوانات، مزاج الناس و حالاتهم النفسيّة، لباسهم، مساكنهم ... إلخ.

●●● الزّمن : كلّ فترة تاريخيّة **إلاّ و لها ما يناسبها من ثقافة،** و خذ هذا الكلام بتحقظ شديد، فلو قلنا مثلاً أنّ العالميّة نزعة كان يجب المناداة بها في مرحلة الستّينيّات أو السّبعينيّات من القرن الماضي؛ لشكّلت خطورة كبيرة على الإنشاديّين، نظراً لخصوصيّة هذه المرحلة التي سادتها فكرة الوطنيّة تحت ظلّ الأنظمة الاشتراكيّة في الدّول العربيّة.

أمّا الآن فانتشار العولمة أغرى الغيورين على الحقّ بالمناداة إلى العالميّة، هذه بتلك، طالما تغير الوضع العالميّ بوتيرة متسارعة، و ظهرت شبكة الانترنيت، التي اكتشفت قديما مبرهنة على فعاليتها في تكوين جيل من الناس جديد، لا يقيم أدنى اعتبار للحدود السّياسيّة أو الجغرافيّة.

و العالميّة المناهضة للوطنيّة في مفهومها القديم الموروث عن الأنظمة الإشتراكيّة؛ ما هي سوى نزعة تنظر إلى العالم بصدق جرئ، فلا تقوقع، لأنّ الانعزال داخل حدود وهميّة مثل العرق و اللّغة و الجنس و اللّون و الوطن ... ، وهم يبقى وهماً إلى يوم القيامة، فهل من عاقل يطمع في تحويل الوهم إلى واقع ؟ ... شتّان بين الباطل و الحقيقة.

ثمّ أ ليس غريباً أنّ الوطن الواحد الذي ننشئ عليه الأجيال تلو الأجيال؛ سرعان ما ينقسم إلى وطنين على الأقلّ تحت عوامل ظرفيّة ؟.

ما الوجه الذي سنقابل به أبنائنا حين نلقنهم من جديد **أفكاراً جديدة** في الوطنيّة و نحن الذين كنّا نؤكّد لهم سابقاً أنّ الوطن واحد لن يقبل أيّ وطنيّ منّا تقسيمه إلى أجزاء؛ و لو قُطّع جسده إرباً إربا ؟.

تأمّل مجريات التاريخ، ستلاحظ أنّ هناك أفكاراً ظهرت في فترات مختلفة من حياة الإنسان، ثقافات متباينة نمت مستوطنة عقول النّاس حتى أصبحوا لا يرون شيئاً خارجها، حضارات تأسّست على أنساق فكريّة كاملة، اعتبرت نفسها أعلى من كلّ شيء ... اعتبرت نفسها حوت كلّ شيء، ما وصلت إليه لن يصل إليه أحد بعدهم، رغم ظهور ثقافات أخرى أعلى و أهمّ و أغنى و أوسع أفكاراً من التي سبقتها.

تفرض الظّروف العالميّة نفسها على كلّ شيء سواها، و هذا ما يؤدّي إلى الخضوع لها بشكل لا يشي بالانتفاضة، يشلّ حتى تفكير الناس على التمرّد عليها إلاّ من رحم ربّك، لأنّ موازين القوى **تصنع كتلة في الزّمن لها من الرّدع ما يضمن لها الخضوع التّام.**

و في أثناء دراستنا للظاهرة الثقافيّة؛ يجب الانتباه بشكل أخصّ للظّروف المحيطة بها، لقد تقوّت أو ضعفت أمام ما واجهها من عوامل محفّزة أو من عوامل مضعفة، ثمّ تطوّرت بناء أيضا على ما واجهها من عوامل.

●●● الفرد : للفرد ثلاثة مداخل : العقل و العاطفة و اللا شعور، ممّا يشكّل متغيّراً حسّاسا أكثر من المتغيّرات السّابقة الذكر، فقد ينقلب حال أيّ فرد إلى النقيض في مدّة وجيزة، و هذا من شأنه رفع درجة حساسيّة هذا المتغيّر إلى حدّ الاعتناء الدّائم (تثقيفه في الاتجاه المناسب)، اعتناء شاملا، يولّد ثقافة أصيلة ذات معدن ثمين، يمكن له بها أن يترفّع عن الدّنايا، و يتّخذ لنفسه موقفا صلباً لا يتزعزع إلاّ للحقّ وحده، و بهذا فهو يجسّد **التواضع**، و يعطي دلالة قويّة لوجود الآخرين. (الجماعة)

و إذا أصبح الفرد متغيّراً حقيقيّا مثلما ذُكر سابقا؛ فالظّاهرة الثقافيّة تصبح أكثر تعقيدا، إذ ترتبط مباشرة به إمّا في صورة فرديّة أو في صورة جماعيّة.

للفرد مجموعة من الخصائص أيّا كان هذا الفرد، لكن بمجرّد دخوله في جماعة ما؛ سيكون تحت تأثيرها، ممّا سيجعله يتنكّر لبعض الخصائص التي كانت تميّزه، مغلوباً على أمره لا كما يخال البعض من أنّه تخلّى عنها بمحض إرادته، و كأنّه كان بمقدوره الاحتفاظ بها، بيد أنّ مجاراة مصلحته مع الجماعة ظرف طارئ، **نتكلّم عن الصّفات أو الميزات التي لا معنى لها في الجماعة** مثل التشبّث بالرّأي، فلو كل واحد تشبّث برأيه؛ لتصارع الجميع، و عليه فيجب التشاور حول المواقف التي تتبنّاها الجماعة، و قد تكون هذه المواقف موقف فرد أو فردين رأيهما صواب ... أو مزيج من آراء أفراد، إلى غير ذلك من الأمثلة.

تنطبق الرّواية على الفرقة الإنشادية كنظام إنشاديّ يختلف عن نظام الفردنة، أي أنّ خصائص الفرد المنشد وحده ستتغيّر إذا انضمّ إلى فرقة إنشاديّة، لا محالة من ذلك، و لا غبار على المسألة، كما ستتغيّر خصائص الفرد الباحث إذا انضمّ إلى مجموعة بحث، فهل من السّلامة إرجاع ظاهرة فرديّة إلى أخرى جماعيّة ؟، أو العكس ؟.

نتحدّث هنا عن المعنيّ بالأمر مباشرة غير أنّ المتأمّل في الصّورة سيلاحظ شيئا آخر، يعيش الفرد الذي هو معنيّ بالأمر داخل حيّزي الزمن و المكان، و بالتالي **فهو متغيّر داخل متغيّر اسمه الزّمكان**، و لو بدا أنّه يتمتّع باستقلاليّة كبيرة.

و لا تنس أنّ الفرد هو من بني آدم؛ لديه أعداء من المجتمع الرّابع، يوسوسون له و يغوونه بما يتراءى له فائدة عظمى، فإذا تصرّف بناء على هذه الوسوسة؛ أحدث أفكاراً لا يجب أن تكون، و الأفكار كما هو معروف تتفاعل فيما بينها منشئة ثقافة معيّنة، للشيطان حظّ وافر منها إن لم يكن له نصيب الأسد.

ربّما تُقبل الفكرة من جهة العقل أو من الجانب الرّومنسيّ، أو لا شعوريّا لا يدري بها حتّى الآتي من أين له بها ؟، و كلّ فرد له شخصيّة تميّزه عن غيره من الأفراد، منهم من يكون عقلانيّا و منهم الرّومنسيّ العاطفيّ، و منهم متقلب المزاج السّريع الحركة لا يثبت على رأي، و يرى في شقلبته حركة جدّ عادية لا يتساءل إن كان عليه أن يدرك ما يفعل أو لا، و قد يسعى جاهداً لتعميم ثقافته على الآخرين باعتباره لا يرى أحسن و لا أجود منها، لا تستعجب فالعالميّة بوتقة تضمّ كل متناقض، بل العجب منك إن ظننت أنّها تجمع كلّ متجانس.

●●● الجماعة : هي متغيّر أكثر حساسيّة من الفرد، كونها مزيج شخصيّات تشكّل الشخصيّة القاعديّة للجماعة، حيث تظهر فيها قوانين و ميكانيزمات لا يمكن ظهورها في الفرد، و بذلك فإنّ سلوكاً متّخذاً من نوع ما و من نمط ما و بأسلوب ما؛ يعكس أفكاراً معيّنة ... يعكس ثقافة معيّنة.

شتّان بين مرجعيّة سليمة متّخذة من طرف جماعة ما، و مرجعيّة خاطئة تأخذ تسميات كثيرة، و لماذا سمّيت مرجعيّة في الأصل ؟، **أ ليس لغرض الرّجوع إليها حين تضطرب الأفكار**، و تظهر ملامح الانشقاق و الصّراع ؟، إذن تخيّل لو يتمّ تغيير هذه المرجعيّة كلّما سنحت الفرصة، و ما الدّستور سوى مرجعيّة متغيّرة، فما ذاك في الظاهرة الثقافيّة ؟.

إنّ الله بدستوره الحكيم قدّم لنا مرجعيّة لا غنى لأيّة جماعة عنها، جاعلاً من الظواهر الثقافيّة قضايا ثابتة في خطوط عريضة؛ من يزيغ عنها هالك لا محالة، تاركاً فضاء حيويّا لها تنشط فيه الجماعة العالميّة الموحّدة الثابت دون أن تخشى إصابتها في مقتل.

هلاّ تأمّلت ما يحدث في الجماعات الإنشاديّة ؟، فرقة كانت أو جهازاً أو أسرة إعلاميّة، لاحظ العلاقات التي تربط بينهم، كيف يتعاملون مع بعضهم البعض ؟، هل النتيجة واحدة لو كانت جماعة أخرى ما؛ هي مسرح هذه الظاهرة أو تلك ؟.

ناجحة هي بعض الجماعات في أعمالها، حيت تتحرّك بثبات، و إن كانت لها بعض المشاكل بالطّبع، إذن ما هي فاعلة لتخطّي العقبات ؟، **إلى أيّ مدى يمكن الأخذ بتجاربها ؟.**

إلى أيّ مدى يمكن اختراق أيّة جماعة ؟.

و العكس تماماً للجماعات الأخرى الفاشلة، كيف يمكن تحويل الفشل إلى دروس نستقرأ منها المستقبل بناء على الماضي ؟، هل هناك قيادة حقيقيّة في هذه الجماعات ؟، ما العواقب التي كانت لها بالمرصاد ؟ ...

اعلم أنّ ولادة قائد حقيقيّ في الجماعة أمر لا بدّ منه، و مهما كانت هذه الجماعة؛ فإنّها لا تعرف النّور سوى تحت ظلّه، أمّا الآخرون فهم الأضلاع قبل أن يكونوا الأتباع، و لو كانوا من السّفهاء فإنّهم سيمثلون حجر عثرة أمامه، مأوى لكلّ صفة خسيسة كالحقد و الغلّ و الدّسائس، يرون في كلّ رأي عيباً و نقيصة، و هم في الحقيقة جنود من جنود إبليس لعنه الله.

02 - دراسة الظّاهرة الثقافيّة :

هلاّ اطّلعت على ما ورد في كتاب المنظار في النقد الإنشاديّ ؟ : " لا يمكن لأيّ ناقد أن ينقد عملاً إنشاديّاً هكذا **من فراغ**، إنّ تحليل الظّاهرة الإنشاديّة أمر لا بدّ منه و لا مفرّ، فهي حيثيّات تقرّب الفكرة الرّئيسة إليه، كي يضمن على الأقلّ أرضيّة مقبولة ينطلق منها، صانعاً بيئة من عناصرها الحيويّة كمعطيات تساعده في نقده ".

هي الوقوف على النشاط الإنسانيّ المتعلّق بالإنشاديّ أو الإنشاديّة، مهما كان النظام الذي ينتمي إليه، مع التحليل المنطقيّ و التأويل و الرّبط مع عناصر أخرى، على ضوء مجموعة عناصر الوعي.

و لهذه الدراسة فائدة جليلة تتمثل في كسب مزيد من المعرفة المؤدّية إلى وضع اليد على مفاتيح أسرار الوجود، كما توفّر الأسباب الحقيقيّة لظاهرة ما، إذا كانت سلبيّة؛ فتكون الجهود للحيلولة دون عودتها، و إذا كانت إيجابيّة؛ فيجب تكريسها و تدعيمها.

● إشكاليّة دراسة الظّاهرة الثقافيّة : يؤدّي النظر إلى متغيّرات الظاهرة الثقافيّة إشكاليّة حقيقيّة للدّراسة، كون الدارس لها ملزم باتباع منهج يوصله إلى مراده، دون أن تضيع جهوده سدى، أو يجد نفسه في ميادين معرفيّة أخرى فيكون قد ضيّع نفسه بنفسه و تاه في بحور العلم، دون أن يرسو على الشاطئ المناسب.

" ينتج من كبر حجم المعلومات تفاعل يكبر حجمه باستمرار، على أساس حركيّة الظّاهرة الإنشاديّة، التي تشهد نموّا داخليّا بين عناصرها الذّاتيّة من جهة؛ و نموّا خارجيّا تماشياً مع وجود هذه العناصر المكوّنة لها في مجموعة من النّطاقات ".

و لعلّ المتغيّر الزّمنيّ هو أقرب هذه المتغيّرات حساسيّة، لما يعتبره الملاحظون من كونه مقياسا عامّا للتقدّم، فأفكار الماضي ما عادت تصلح الآن، و أفكار اللّحظة ممكن جدا أن تنتهي صلاحيّتها مستقبلا، و لكن الموضوع لا يقف عند هذا الحدّ فحسب.

تذهب الفكرة بعيداً إلى مجموعة عناصر الوعي، فمثلاً تعقيد الوجود عامل يتدخّل هنا بقوّة، حيث يؤثّر الفرد في الجماعة و الجماعة تؤثر في الفرد، و هما يتأثران بالزّمكان، ثمّ أيّ فرد نتحدّث عنه ؟، فهو الإنشاديّ و غيره، و أيّة جماعة نتحدّث عنها ؟، الإنشاديّة و غيرها.

إنّ تعميم النتائج كقواعد عامّة نأخذ بها يدمّر الصّرح الدّعويّ، و يضع الإنشاديّين على سبيل كلّه مطبّات و عوائق، و التقدّم المرغوب فيه يكون تأخراً و تقهقرا باسم العلم، لا لشيء سوى لإشكاليّة دراسة الظاهرة الثقافيّة.

مجاراة الإنشاد للفنون الغنائيّة الأخرى هو محاولة إلحاقه بالتقدم الذي عرفته هذه الفنون، و كأنّ نسخ الظاهرة الثقافيّة التي تولّدت منها و إلصاقها بالإنشاد يحلّ المشكل، فهل فعلا تطوّر الإنشاد بهذا ؟.

أ رأيت الآن إسقاط ما وقع ؟.

كلّ فنّ غنائيّ يعكس ثقافة ما، و هو في حدّ ذاته ثقافة، و أخذه هكذا مباشرة دون تدقيق كمن يضيف البنزين إلى المازوت أو إلى الغاز قائلا للجميع أنها كلّها سوائل مشتعلة، و كلّها صالحة لأيّ محرّك، نعم كلها سوائل مشتعلة و لكن عند خلطها ينشأ سائل ما هو بأحد منها رغم أنّه سريع الالتهاب.

تتوقف عمليّة استيراد الثقافة على شروط فضلاً على توفير بنية سليمة للاستنساخ، أمّا أن نأتي بكلّ شيء من كلّ شيء؛ فهذا عين الغباء و الحماقة.

و حتّى المخوّلون بدراسة الظاهرة الثقافية؛ عليهم هم كذلك التمتّع بثقافة خاصّة كي لا يصطدم أحدهم بالآخر، فينشأ نوع من الصّراع الفكريّ بينهم ليكون مجالاً ذا طاقة سلبيّة يستغلّها كلّ شرّير.

● دارسو الظّاهرة الثقافيّة : جعل الظاهرة الثقافيّة محلّ دراسة عامل كافٍ لتحديد أطراف معيّنة مخوّلة بالسّير على مناهج ما، بغية الوصول إلى حقائق ما يحدث، و في هذا ركّزنا على أطراف رأينا أهميّة التطرّق إليها، واحد له ميزة الحكم، و الثاني ناظر إلى التراكم المعرفيّ، و الآخر مدقق في أحداث راهنة، و هكذا دواليك دون أن يكون بينهم ترتيب.

و تؤدّي ضخامة المعلومات و ما ينتج عنها من معلومات مستولدة إلى اختلاط الأدوار بين هؤلاء، و لنحاول هنا وضع خطوط عامّة فاصلة بين كلّ دارس؛ قضاء على مجال الطاقة السلبيّ.

●●● المحلّل : هو الشخصيّة الدّارسة للظاهرة الثقافيّة دراسة تقضي **تفتيت الأحداث إلى ما وراء الوقائع**، نظراً في الخلفيّات و ما بُنيت عليه من المسائل و القضايا، عكس الإنشاديّين الذين ربّما لا يذهبون إلى أبعد ممّا يرونه من الظاهرة، و أمام أعينهم.

و لعلّ ما يميّز المحلّل هو مجاله الزّمنيّ الرّاهن دون الاقتصار عليه، أي أنّه ينشط داخل إطار الحاضر دون أن يذهب إلى الماضي أو المستقبل، و في آن واحد لا يعزل نفسه ضمن إطاره عزلاً مؤدّيا إلى رؤية قاصرة غير صحيحة، فللظاهرة الثقافيّة جذور في التاريخ **تمثّل لها النشأة و المولد**، و يجب فهم الكيفيّة التي ظهرت بها ... ؛ ثمّ المنطلقات التي سادت في تلك الفترة حتّى أدّت إلى ظهور مثل تلك الأفكار، كأن تكون مثلا ردّ فعل مبالغ فيه في مناخ اتّسم بمجموعة من الأحداث الصّعبة.

●●● الفيلسوف : الفرد المتعمّق بفكره الباحث في الوجود من حيث هو موجود **لدعمه و تعزيزه**، و إذا شئنا قلنا أنّه الفرد المتحكّم في عالم الأفكار، نظراً لجهوده الفاصلة في تأمّل الفكرة و ما تبعث عليه من فكرة أخرى متتابعة، وفق منهج دراسة خاصّ به دون غيره، يعتمد على الجانب العقليّ بالدّليل و البرهان، متوسّعاً في عالم الأفكار، فاتحاً آفاقا جديدة **لم تكتشف بعد.**

" إنّ الفلاسفة هم الحكّام الحقيقيّون للمجتمع "، هم المتأمّلون في ثقافة الأفراد و الجماعات من زاوية فكريّة خالصة، و بهذا يختلفون عن غيرهم من دارسي الظّاهرة الثقافيّة، فإذا كان المحلّل يشرّح الظاهرة؛ فإنّ الفيلسوف يشرّح الفكرة، و يكفينا دليلاً أنّ الفكر الفلسفيّ القاعديّ هو ضمان لبقاء الفرقة الإنشاديّة جسماً ثقافيًا واحدا، بيد أنّ الفيلسوف قد يغرق بين مناطق الأفكار كونه يعتمد على العقل، الذي هو أداة غير كاملة رغم أنّها محطّ التكليف، و بالتالي فهي غير آمنة، ممّا يستوجب إدخال المعرفة المرسلة لسدّ كلّ نقص أو تشويه قد يشوب العمليّة.

نستطيع قول نفس الشيء بعبارة أخرى أكثر دقة؛ الفيلسوف هو ممحّص الأفكار **ليرى صلاحيّة** إضافتها إلى المخزون المعرفيّ التراكميّ، و بعيداً عن التصوّر الجامد لكلّ شيء؛ فإنّ ربط الواقع بعالم الأفكار قدر الإمكان هو المعالجة الحقيقيّة للظاهرة الفكريّة، و لو أنّ هذه الفكرة خاطئة عند الكثيرين؛ لأنّ العاطفة تُستعمل أكثر من العقل.

●●● المؤرّخ : هو محلّل يبحث في التراكمات المختلفة للظاهرة الثقافيّة عبر العصور و الأزمنة الغابرة، على مناهج يصل بها إلى الحقيقة من جهة؛ و مدوّن لما يحدث الآن وفق أساليب و مناهج معيّنة أيضا ليصل إنتاجه إلى أمثاله من دارسي الظواهر الثقافيّة.

للعلم فإنّ الناس يحبّون حكايات الماضي، و ليس كما يردّد البعض بكونها لغو قادم من غابر العصور لا أصل له في الواقع، نعم حقّ هو من الماضي؛ و لكنّه تذكرة و الذّكرى تنفع المؤمنين، للأسباب التالية :

أ - يسير التاريخ على سنن وضعها الله في الوجود، و دراسة التاريخ معناه **وضع اليد** على هذه السّنن التي بها نستشرف المستقبل.

ب - تأمين شامل و ذو مصداقيّة من الوقوع في الأخطاء الاستراتيجيّة التي تدمّر الحضارة كالذّنوب؛ أو التي تنشئ أجيالاً غير جادّة رثّة التفكير، كالملهيات و وسائل التّرف، **و عندما تستقرأ التاريخ؛ فإننا سنستقرأ المستقبل.**

يعكس اختصاصه كمحلّل في الزّمن الماضي صعوبة هذه المرحلة و حساسيّتها إذا نظرنا إلى صعوبة الحصول على معلومات مضت عليها عقود و قرون، بشكل يجعلنا نرى الظاهرة الثقافيّة بجميع عناصرها و كأنّها أمامنا من جديد.

معضلة عظيمة هي التنقيب عن أشياء حدثت و لا سيّما في الماضي السّحيق، غبار على كلّ وثيقة تضمّ بين طيّاتها ثقافة أناس سبقونا، أين كان التدوين من أصعب الأمور لعدم انتشار وسائل الكتابة آنذاك، و قد تذهب بعض المعلومات دون رجعة، لو استطعنا استردادها فكيف سنطّلع على التفاعلات و الآليّات التي كانت في ذلك الوقت ؟، فكما هو معروف يركّز النّاقلون على المعلومة و لا يتحدّثون بشيء عن التفاعلات المخفيّة، التي لا يعلمها كلّ الناس و خاصّة أولئك السّطحيّون، فإذا صعب الحصول على المعلومات الظاهرة؛ فكيف هو بالنسبة لما هو دونها ؟.

●●● الناقد : ورد في كتاب المنظار في النقد الإنشاديّ ما يلي : " هو الشّخص المكلّف باختصاصه بنقد ميادين إنشاديّة معيّنة، ليس بناء على ما وصل إليه من معارف فحسب؛ بل لأنّه خارج حيّز الآتين بالعمل، و كلما توفّر أشخاص ليسوا من أصحاب الفعل؛ أمكن وضع اليد على العيوب، بشرط أن تتوفّر معرفة منظّمة تمكّن هذا الشّخص من لعب دوره على أكمل وجه ".

ربّما لا يكفيك هذا التعريف لهذا الدّارس للظاهرة الثقافيّة، فنقول بصيغة مغايرة أنّه القاضي المخوّل اختصاصاً بالنظر في مدى صحّة العمل الفنيّ، **الذي هو فعل ثقافيّ**، له عيوب قبل أن تكون له إيجابيّات، و العيب هنا معناه الثقافة السّلبيّة، المؤثّرة على الوجود، و العكس صحيح.

اطرح دائماً على نفسك هذا السّؤال : هل كلّ الناس ترى بالأشعّة ما تحت الحمراء ؟، لتستشفّ مدى جوهريّة فعل الناقد كدارس للثقافة الإنشاديّة، و لا سيّما إذا تغافل بعض الإنشاديّين عمّا يقدّمونه للجماعة العالميّة من أعمال مهما كان نوعها، ألبومات، أناشيد مصوّرة، كتب و دراسات و أبحاث، صور فوتوغرافية ... إلخ.

●●● المستشرف : هو دارس الظاهرة الثقافية في بُعدها المستقبليّ، حيث ينظر دائما فيما ستؤول إليه الأوضاع بناء على المتغيّرات الفكريّة بالدرجة الأولى، و لنقل أنّه يعاكس المؤرّخ إذا ما ركّزنا على العامل الزمني، خصوصيّة مثل هذه تجعل منه شخصيّة إنشاديّة ذات وزن ثقيل، بدعوى أخذ جميع التدابير اللاّزمة المفروض اتّخاذها كاحتياط في أحايين كثيرة.

إنّ كثرة المتغيّرات و تداخلها تداخلات غير مفهومة تجعل من مهمة المستشرف غاية في الصعوبة، فإذا كان هو القائل أنّ الوضع سيكون على منوال ما؛ فهل للعشوائيّة موضع قدم ؟، **خاصّة و أنّ هناك من ينتظرون فعله لتفعيل أفعالهم** ؟، و رغم إشكاليّة كهذه؛ فإنّ ما يثلج الصّدر له وجود أحداث مستقاة من المعرفة المرسلة هي في الأصل معالم مستقبليّة، أضف إلى ذلك سنن الله في خلقه بما يسترعي الانتباه لها جيّدا، كيف لا و هي المنظم الآلي و التفاعلي للوجود ؟.

من المؤكّد الآن أنّ مهمّة المستشرف هي الكشف عن المستقبل حماية و تحذيرا؛ أو تأييداً و تطمينا، **وفق سيناريو محتمل مبنيّ على تحليل المعطيات و مؤشّرات حسّاسة**، و لكن ما يواجهه من نقص في المعلومات أو الواقع المركّب الذي لا يفصح عن نفسه؛ تفرض عليه أن ينظر في إطار لا يخرج عنه، لأنّه لا يعرف ما يتواجد خارجه، و هنا بؤرة يجب أن نشير إليها، كإشكاليّة ذات نوع خاصّ، حيث توفّر معلومات من المعرفة المرسلة كخطوط عريضة دون تفصيلات، و في الوقت نفسه لا يوجد من أنواع المعارف الأخرى ما يشجّع على فهم مناسب و متّسع.

●●● المستشار : هو الفرد المكلّف باختصاصه بإعطاء آراء و تقديم أفكار حول العمل الإنشاديّ، قبل أن يخرج للعلن ... قبل أن يتولاّه الناقد بالفحص و التحليل، فكلّما كانت الظاهرة الثقافيّة في محيط ولادتها؛ كان ذلك أيسر على توجيه ما يجب توجيهه على النحو السّليم.

هذا خيط رفيع و لكنّه متين كلّ المتانة، حيث أنّنا نحاول **حسر الظاهرة الثقافيّة في المهد متحققين من سلامتها**، قبل أن تنتشر في مجال زمكانيّ يصعب معه تصحيح كافّة ردود الأفعال المنجرّة عنها، و لا شكّ أنّ ذلك يمثّل صعوبة كبيرة، و شيئا غير ذي محمدة.

و ليس غريباً أن تخصّص الشركات و المؤسّسات و كلّ جماعة مهما كانت طبيعتها منصباً لشخص تستشيره في التحرّكات التي تقوم بها، ارتكازاً على فكرة النقص البشريّ و ما يمكن أن تؤدّي إليه من نتائج سلبيّة، و هو ما يجب أن يكون في الجماعات الإنشاديّة على اختلافاتها، لأنّه :

أ - يوسّع من ظاهرة الشّورى.

ب - يثري الأفكار و العقليّات.

و المستشار هو **فرد متمكّن من علمه**، فمن غير المعقول و لا من المنطقيّ أن نستشير شخصاً جاهلاً بميدانه لا يضع فرقاً واضحاً بين الأولويّات، و لا يتمعّن في الآفاق و عواقب القضايا و المسائل.

المستشار معناه الثقة.

03 - الثقافة العامّة و الثقافة الخاصّة :

مثلما هو مبيّن من العنوان؛ فإنّ الثقافة العامّة ليست هي الثقافة الخاصّة، تتحكّم عوامل معيّنة في الأولى، تصنعها أو تصنع مناخاً حيويّا يجعلها تنمو و تترعرع فيه، بينما تتمقعد الثقافة الخاصّة **بشقّيها السلبيّ و الإيجابيّ** محتلّة خانة من نوع مغاير.

لا تعني الثقافة الخاصّة النخبة دائماً بالضرورة، فقد تكون مرادفة للانغلاق، و التقوقع، و الانزواء، و عليه فإنّ الثقافة الخاصّة تلزم أصحابها بتبنّي أفكار معيّنة مختلفة عن الثقافة العامّة السّائدة حولهم، بغضّ النظر عن طبيعة هذه الأفكار، و ما يمكن أن تؤدّي إليه من نتائج، أو ما يُبنى عليها من ردود أفعال.

الجاليات المسلمة في المجتمعات المختلفة عنهم عقائديّا أبرز نموذج، ينجذب أفرادها لبعضهم البعض و لا سيّما إذا كانوا يتكلّمون لغة واحدة، يحاولون تبادل العادات و التقاليد الاجتماعيّة التي تختلف من منطقة إلى منطقة، و كما يتبادل الرّجال الحكايات و القصص و الأخبار؛ تتبادل النّسوة أطباق الطّعام و الأزياء التقليديّة، أمّا عن أولويّات هذا الانجذاب؛ فيرجع إلى ما تضعه هذه الجاليات من مرجعيّة لها.

قد ينجذب أصحاب القطر الواحد إلى بعضهم البعض أكثر من غيرهم، أو أصحاب المذهب الواحد، أو الذين هم من نفس العرق، ... إلخ، و قد تنغلق ثقافتهم على نفسها أكثر فيصبحون من المتعصّبين؛ لا يأبهون إن كان الحقّ معهم أو مع غيرهم، يثورون في وجه كلّ غريب و لو كان حقه معهم.

إذهب بتفكيرك في هذا إلى قيتوهات اليهود أواسط القرن العشرين، و كيف استغلّ البعض منهم هذه الأوضاع في ترويج ثقافة الأرض الموعودة، ثمّ ما ترتّبت على هذه الفكرة من مآسي لأصحاب الأرض الحقيقيّين.

»»» ما هي العوامل المتحكمة في الثقافة العامّة ؟ :

هناك عدّة عوامل تتحكّم في الثقافة العامّة مثل :

1 - تأثير وسائل الإعلام على تفكير الإنسان و معتقداته و سلوكاته المختلفة.

2 - تأثير المعلومات العامّة المتنقلة بين الناس بطريقة بسيطة، المؤثّرة في التّفكير و طريقة تحليل المواضيع فضلاً على تحليلها.

3 - الإنتاج العقليّ للأفكار باعتبار توارد الفكرة تلو الأخرى على القلب البشريّ.

4 - تسارع انتقال المعلومات و تفاعلها.

5 - الوضع العام في العالم و ما يحويه من واقع ثابت ثبوتاً نسبيّا.

6 - تسيير الأنظمة الحاكمة لشعوبها؛ و ما تنشره من أفكار بينهم.

قد تضمّ الثقافة العامّة المواضيع الحسّاسة المعروفة باسم " طابو "، و قد تدخل ضمن الثقافة الخاصّة في نظر البعض، بيد أنّه عند تعريفها يختفي اللّبس، فالطّابوهات هي المواضيع التي يتحفّظ المجتمع عن التحدّث فيها علنا، كالجنس على سبيل المثال، فلدينا حساسيّة في الحديث عنه لأولادنا، و هذا ما يدفعهم لأخذ المعلومات عنه من جهات أخرى لا تتحفّظ عليه، بما في ذلك الأفكار الخاصّة بهذه الجماعات، كأن لا يكون لديهم أيّة مشكلة فيه على سبيل المثال.

إنّ التزوّد بثقافة قادمة من جماعات أخرى تنعدم لديها الطّابوهات يؤدّي إلى تقبّل نسخة طبق الأصل عن هؤلاء، فالجيل الجديد الآخذ لا يميّز بين المخفيّ و العلنيّ إلاّ نظريّا، أمّا عمليّا فيتساوى لديه الأمران دون أن يشعر بذلك.

و الخلل هو غياب ثقافة سليمة مصحّحة و موجّهة هو ما شكّل دافعاً لاستيراد ما سيهلك الجميع به، لأنّ هؤلاء الآخذين لطابوهات معالجة عند الآخرين ببصماتهم الخاصّة؛ سينشرون ما تحصّلوا عليه بين ذويهم، ليصبح كلّ شيء من الثقافة العامّة التي لا ينفر منها **إلاّ الرّشيد.**

فهلاّ كان لك التساؤل الآن عن كيفيّة إنتاج الثقافة العامّة بعد أن عرفت ما يتحكّم فيها ؟.

لتطّلع على الخطوط العريضة التالية :

أ - تأليف الكتب و إجراء البحوث و الدّراسات.

ب - الإنتاج السّينمائيّ و الأفلام الوثائقيّة.

ج - التّرجمة.

د - الإختراعات و الإبتكارات و الإكتشافات.

... هذه و المذكّرات الشخصيّة للإنشاديّين تدخل ضمن الإنتاج الثقافيّ العامّ ... و السّير الذاتيّة، هي روايات عن أحداث عايشها هؤلاء، تجارب و خبرات يوثّقونها للغير و للأجيال القادمة.

• المؤسّسات الثقافيّة : يُقصد بالمؤسّسات الثقافيّة المجموعات المنتظمة التي تقدّم ثقافة معيّنة للآخرين، كالأسرة مثلاً و التي هي على رأس القائمة من حيث الأهميّة، فما تلعبه من أدوار مختلفة لتنشئة الطفل منذ ولادته؛ لكفيل بجعلها أبرز متعهّد للثقافة.

بيد أنّ هذا البروز لا يفتأ أن يضمحلّ شيئاً فشيئا أمام مؤسّسات ثقافيّة أخرى لها أثرها البالغ مثل المؤسّسات الإعلاميّة؛ من الصّحيفة إلى المجلّة إلى التلفزة إلى الإنترنيت، و لا سيّما هذه الأخيرة.

إنّ وجود مناخ ثقافيّ ما يعيش بداخله الناس و الناشئة بصفة أكثر إبرازا؛ يشكّل من الصّعوبة بما كان النظر خارج حدود هذا المناخ، أو على الأقلّ إيجاد مجرّد تصوّر فقط، **إلاّ إذا كان المناخ الذي نتحدّث عنه متفتّحا على مناخات ثقافيّة أخرى، يدعّم التفتّح تدعيماً ملموسا.**

لا بدّ من فهم جيّد لمفهوم المؤسّسة الثقافيّة، بشكل يجعلنا نتطرّق لصنفين منها :

أ - مؤسّسات ثقافيّة أصيلة بجنسها، **تلقّن أفكار المهد**، كالأسرة على سبيل المثال، ثمّ تتوالى العمليّات الفكريّة إلى مؤسّسات أخرى كالمدرسة التي سيخرج إليها الطفل لاحقا، دورها **إكمال ما بدأته الأسرة**، ثمّ تنتهي عمليّة التثقيف **شكليّا فقط**.

ب - مؤسّسات ثقافيّة مستولدة، تمّ إنشاؤها خصّيصاً لا من أجل نقل الثقافة بل **من أجل تسهيلها**، فليست ممرّا إجباريّا للنّاشئة، إنّما هي **روافد ثقافيّة و قنوات فكريّة** مقامة بهدف التوعية و قضاء أوقات الفراغ؛ كمراكز الإشعاع الثقافيّ، و الجمعيّات و التعاونيّات.

أفضل النتائج ما يكون حين تتوحّد الجهود حول مؤسّسة ثقافيّة واحدة من المؤسّسات الثقافيّة غير الأصيلة بجنسها، بدل إنشاء عشرات مواقع الإنترنيت و الفضائيّات و ما شابه و لا تميّز بينها، ممّا يشتّت الجمهور و يبدّد استقبالاته، لانعدام البصمة الخاصّة بكلّ مؤسّسة.

• الاحتكاك المباشر بصنّاع الثقافة الإنشاديّة : تُفهم بعض التظاهرات الثقافيّة التي ينظّمها الإنشاديّون من حين لآخر على كونها حراك إعلاميّ لترويج إنتاجاتهم، و في جوهر الأمر هي همزة وصل مباشر بين الجمهور من جهة؛ و بين صنّاع الثقافة الإنشاديّة، تعكس فوائد جمّة، منها :

أ - الأثر الجميل التي تتركه في النفس، و ما يترتّب عنه من انطباع إيجابيّ مثاليّ لتقبّل الرّسائل الموجّهة إليهم.

ب - معرفة ردود أفعال الجمهور عن كثب؛ و ما تنطوي عليه من أفكار.

ج - إقامة علاقات مباشرة مع الأفراد و الجماعات، و التقرّب منهم أكثر فأكثر.

د - إنشاء مناخ نقديّ ذي صبغة تخاطبيّة، و خاصيّة تحاوريّة.

هـ - التغلغل إلى أعماق اجتماعيّة استراتيجيّة في الدّعوة الفنيّة.

و الاحتكاك في سياقه هو **فعل مناوئ** للتكبّر في نظر الجمهور غير السويّ الفهم، إذ يعتبر الترفّع عن الطّبقة الوضيعة و حثالات المجتمع تكبّراً و غرورا، فالاحتكاك برهان أكيد هنا على مدّ اليد إلى هؤلاء إذا كانوا من الجمهور المخاطب من أجل الرقيّ بهم.

●●● المهرجان : يُطلق اسم " مهرجان " عادة على كلّ تظاهرة تقدّم فيها الأناشيد على المباشر أمام الجمهور، أداء حيّا و ليس مسجّلاً، لأنّ الذي يحضر هدفه سماع الصّوت مباشرة من المنشد دون لمسات الأستوديو، و في هذه اللّحظة بالضّبط **يكون الحكم عليه**؛ إمّا سلباً أو إيجاباً.

إنّ رؤية شخص كنت تشاهده على الشاشة و تسمعه تسجيلاً شيء؛ ثمّ تتأمّله أمامك و ربّما تصافحه و تتبادل معه أطراف الحديث شيء آخر يجعلك في إحساس جديد، **و أنت المعجب بأعماله**، و هذه وظيفة من وظائف المهرجان؛ إذ يفسح مجالا كبيرا للجمهور للالتقاء بمنشدهم المفضّل أو فرقتهم المفضّلة على المباشر دون وسائط إعلاميّة؛ حين تحضر العاطفة بشكل نخشاه في أغلب الأحيان.

غير أنّ الفصل الحقيقيّ بين المهرجان و الحفلة هو المفردة الأولى المأخوذة كمصطلح ذي دلالة قويّة و مؤثرة أكثر من الحفلة الموحية بالضآلة و الحجم المصغّر.

و عليه فالمهرجان هو حفل تمّ تطويره من جهة؛ و العمل على ترقيته من جهة أخرى.

من الملاحظ أنّ بعض القنوات الفضائيّة تنظّم مهرجانات إنشاديّة تُفهم عند البعض كترسيخ لبعض الأسماء في السّاحة، و لكنّها في الواقع **تكريس لأفكار هؤلاء في الإنشاد**، بما في ذلك أساليبهم و هويّاتهم الثقافيّة.

●●● حفلات التدشين : يُقصد بحفلة تدشين تقديم منتوج إنشاديّ معيّن بشكل رسميّ للجمهور، و هو ما يُعتبر إثارة تركيز إعلاميّ حول المادّة، زيادة على لفت الانتباه إليها، و لكن ثقافيّا **هو تجسيد معنىً ابتدائيّ للثقافة المقدّمة من خلال هذا المنتج.**

بعبارة أخرى؛ تقوم حفلة التدشين على إبراز منتوج إنشاديّ ما بغضّ النظر عن نوعه، لم يكن في السّاحة من قبل، أي لم يحدث أن تفاعل معه الجمهور فكريّا سابقاً، ثمّ فجأة أُعلن عن ظهوره مرّة واحدة و بحضور الجمهور مباشرة أمام الإنشاديّ صاحب الإنتاج، و لا سيّما إذا كانت في الحفلة مسابقة خفيفة يربح فيها الفائز أو الفائزون المنتج الذي من أجله أقيمت هذه الحفلة مجّانا، و من الأفضل أن يكون هناك فائزون عوض فائز واحد، لزيادة فرص الترويج الثقافيّ.

إنّ عمليّة إبراز المنتوج الإنشاديّ هي مراحل مقنّنة في الغالب، يكون فيها الحديث عن الظّروف المحيطة التي واكبت الإنتاج، و الصّعوبات التي تمّت مواجهتها **استخلاصاً للدّروس و العبر**، و ليس للتفاخر و المباهاة.

و من المعروف للجميع أنّ حفلات التدشين خاصّة بالألبومات السّمعيّة و الكتب، غير أنّه يمكن أن تكون لتدشين ألبومات صور، ألبومات أناشيد مصوّرة، برامج كمبيوتر ... إلخ.

●●● الجولة الفنيّة (القافلة) : هي انتقال الإنشاديّ من مكان لآخر، مع إجراء حفلات و لقاءات و ما شابه ذلك، إذ المغزى هنا هو السّعي وراء الجمهور عوض انتظاره.

و الجولة الفنيّة إذا كانت انتقالاً عبر المكان؛ فهي نقل ثقافة من مكان **مثوقف** إلى نظيره، لاحظ جيّدا الكلمة المستعملة؛ " مثوقف "، و هي تعني إلقاء ثقافة ما في مكان ما، نقول ثوقفة الشّيء، أي تثقيف الأشياء التي توجد في مكان معيّن، و نقصد **إلقاء أثر النّشاط الإنسانيّ على المحيط**، أمّا انتقال الإنشاديّ بأفكاره إلى محيط ما مثوقف سابقا؛ فيحمل دلالات متعدّدة، إمّا تصحيحاً كليّا أو جزئيّا أو تكريساً لأوضاع ما بصفة كاملة أو جزئيّة، ... إلخ.

اعلم أنّ الجولة الفنيّة هي انتشار ثقافة في أوساط متباينة، قد لا يقبل الجمهور الثقافة المنقولة إليهم، أو ربّما يتحفّظون على بعض العناصر منها، و هذا هو وجه الاختلاف بين المهرجان مثلا و بين الجولة الفنيّة، فالأوّل هو انتظار القادمين إليك؛ و عادة ما يكونون من مريديك، أمّا الثاني؛ فأنت من تسعى لهؤلاء الذي لا يعرفونك أصلا، فيجب أن تعرف كيفيّة جعلهم يقبلون وجودك بينهم، و خاصّة إذا كانوا من المتطرّفين المنغلقين على أنفسهم لا يرون الآخر إلاّ من زاوية الغريب غير المرحّب به.

●●● الأيّام المفتوحة : هي استمراريّة الفعل الثقافيّ الذي ينقطع في حفلة تدشين مثلاً، و الوقت الممنوح للجمهور هو في واقع الأمر فعل استراتيجيّ **تتجدّد فيه الأفكار**، و يكبر هامش الزّمن من أجل احتكاك ثقافيّ أكثر مصداقيّة و أكبر أثراً مع المقبلين على الأيام التعريفيّة.

كثير من مريدي الأيام المفتوحة يقطنون بعيداً عن مكان تنظيمها، أو لا يستطيعون الحضور في يوم ما لانشغالاتهم بالعمل أو أحوالهم الطّارئة التي تمنعهم؛ فهل يملك هؤلاء التحكّم في الظروف الخارجة عن إراداتهم ؟.

و عليه؛ يتعمّد المنظّمون تنظيم أكثر من ثلاثة أيّام، لمنح الفرصة لأكبر عدد ممكن من الناس لزيارتها، في حين يعطون الفرصة كذلك لكثير من الفعاليّات المتنوّعة **لتقريب الثقافة الإنشاديّة بصورة أكثر تجلّيا للجميع مهما كانت أعمارهم و أذواقهم.**

لنأخذ على سبيل المثال تنظيم معرض كتب و ألبومات، عرض صور و أفلام وثائقيّة عن الإنشاد ... إلخ.

يحرص المنظّمون على الأيّام المفتوحة على إنشاء جوّ مريح للزائرين، و في ضوء تلك الرّاحة يبثّون رسائلهم نحو القادمين إليهم و كلّهم أمل على اكتشاف شيء جديد، مع محاولة إبقاء جميع المشاهدات في الذاكرة الجماعيّة.

●●● البيع بالإمضاء : يمثل هذا الاحتكاك إقامة علاقات مباشرة مع الفرد من الجمهور، بحيث يكون إمضاء صاحب المنتوج فوق المنتوج ذاته بخطّ يده، و عادة ما تقترن هذه العمليّة بعبارات الإهداء و المجاملات للمشتري، ممّا يجعله باباً مفتوحاً لتوثيق أشدّ، يذهب إلى التعاون و التنسيق على سبيل المثال.

يلاحظ في كثير من الأحيان أنّ هذه العمليّة تقوم على خطّ الإنشاديّ الشخصيّ و لو توقيعا، و لا معنى لها إذا لم يتواجد المعنيّ بالأمر في المكان الذي من المفروض أن يتواجد فيه، من زاوية أنّ الجمهور **ينتظر صاحب الأعمال** لا وكيله أو الناطق باسمه، هي خيبة أمل لا يريد أيّ واحد أن تحدث له.

إنّ التهافت الكبير للجمهور على صاحب المنتوج يعطي دفعاً قويّا له لمعرفة جمهوره الحقيقيّ، بعيداً عن المغالطات الإعلاميّة و الأفكار المسبقة و التخمينات التي لا تقوم على سند علميّ و معطيات سليمة، و فضاء قيّما لتحديد مواعيد و لإبرام اتفاقات مبدئيّة مع فاعلين إنشاديّين آخرين.

و لا داعي لأن نذكّر الإنشاديّين بضرورة الاهتمام بقلم التوقيع و جمال الخطّ الذي يوقّعون به، و نوعيّة الحبر، فكلّها أدوات تزيد من رفعة أعمالهم و تعطي مصداقيّة لهم و لو شكليّا، **و الشّكل هنا مكمّل للجوهر.**

●●● البيع بالإمضاء المرفق : يختلف هذا البيع عن البيع بالإمضاء في كونه عبارة عن وثيقة ترافق المنتوج، مكتوب عليها عبارات الإهداء أو الشكر بالإمضاء مع الختم الشّخصيّ للإنشاديّ أو الجماعة كأن تكون مؤسّسة ما؛ لو شاء صاحب المنتوج إبقاء هذا الأخير كما هو دون إدخال أيّ تدوين عليه؛ أو كان المنتوج غير قابل لإدخال تغييرات عليه في الأصل.

لا يعني العقد رخصة استغلال المنتوج، كي نضع فرقاً واضحاً بين الوثيقتين من البداية، و كي لا يختلط الأمر؛ فيُفهم و كأنّ هؤلاء الذين اشتروا المنتوج مباشرة مُنحت لهم رخصة استغلاله، عكس الذين سيشترونه لاحقاً، **إنّما هي وثيقة أخرى مختلفة.**

و حتى و لو كانت هذه الوثيقة هي رخصة الاستغلال؛ فإنّ الطّريقة التي تكتب بها تكون بشكل مستقلّ عن نظيرتها التي ترافق المنتوج في الأسواق، كي نحافظ على هويّتها كوسيلة من وسائل الاحتكاك المباشر بصنّاع الثقافة الإنشاديّة.

و مثلما قيل سابقاً؛ فإنّ الجمهور ينتظر صاحب العمل شخصيّا، فرداً كان أو جماعة، لا وكيل أعماله أو الناطق باسمه، و يُفهم الاعتذار و كأنّه سوء أدب، مع إهمال هؤلاء الذين نحن مكلّفون بدعوتهم.

●●● النّادي الثقافيّ : معناه استضافة شخصيّة إنشاديّة تكون حاضرة أمام الجمهور مباشرة؛ الذي يوجّه إليها الأسئلة، و عادة ما يكون الجمهور في هذه الحالة **من المثقّفين و أصحاب القلم و المفكّرين و العلماء**، أي أنّهم يحضرون من أجل مناقشة الأفكار و ليس كما هو الشأن في المهرجان مثلاً؛ أين يحضر الناس قصد الاستماع بما سيقدّم من عروض إنشاديّة.

و يسمّى عند البعض " المقهى الثقافيّ "، أو " الصّالون الفكريّ "، إلى غير ذلك من الأسماء، كما يمكن نقله عبر موجات الأثير صوتاً و صورة؛ أو استقبال تدخّلات الجمهور عبر وسائل الاتصال؛ أو حتّى جعل العمليّة كلّها افتراضيّة على شبكة الإنترنيت، بما توفره هذه الأخيرة من تفاعلات، يدركها من يبحرون فيها؛ و لا سيّما المدمنون عليها.

من طبيعة النادّي الثقافيّ أن يكون عالميّا بتواجده؛ فلا يمنع ذلك إمكانيّة أن يكون محليّا في المكان، و أن يلعب دور الإذاعات غير العالميّة، **حيث يُعتبر مراكز إشعاع ثقافيّ متعدّدة**، تتوزّع على كافة المناطق، لنغوص إلى أعماق المجتمع بشتّى شرائحه.

●●● التّكريم : هو عرفان بالجميل من طرف جماعة ما تجاه فرد معيّن أو جماعة معيّنة أخرى، أي أنّ الاحتكاك هنا يكون من طرف الجمهور كخطوة مبدئيّة نحو صانع الثقافة.

إنّ طلب الجمهور لصانع الثقافة الإنشاديّة **ترجمة لما غرسه فيهم من أفكار** تفاعلت حتّى أصبحت بالشّكل الذي هي عليه الآن، كما تترجم أيضا **الأثر الرّجعيّ** لثقافة معيّنة تمّ ترسيخها سابقاً فيهم، و يشبه الأمر كثيراً اعتراف الإبن بجميل الأم و الأب على الترتيب.

يحتلّ التكريم مكاناً استراتيجيّا في الأحوال التالية :

أ - نسيان الجمهور للفاعل الثقافيّ.

ب - تكريس الوجه الثقافيّ بصفة منتظمة لدى الجمهور.

ج - إظهار الوجه الثقافيّ في صورة رسميّة.

غير أنّه من الحكمة الإشارة إلى أنّ الإخلاص لله هو أساس كلّ شيء، **فلا يكون العمل من أجل التكريم و الأوسمة،** و لا من أجل تصفيقات الجمهور، إنّما هي اعتبارات لتحقيق أهداف مرحليّة، و ليست هي الهدف بذاته ... فاحذر.

من الممكن جدّا تركيب هذه المظاهر مع بعضها البعض بما يخدم الهدف، فإذا كانت حفلة التدشين فكرة رائعة للترويج الثقافيّ للمنتوج؛ فإنّ إتباعها بالبيع بالعقد أو بالإمضاء فكرة رائعة أيضاً تكمّل الخطوة الأولى، و صبّ كل ذلك في قالب إعلاميّ، أي بحضور وسائل الإعلام.

و لا تنسى أنّ الانترنيت ميدان جدّ فسيح تقدّم أرضيّة خصبة لهذه المظاهر، فيمكن أن توظّف كذراع ثانية، أو ننقل المظاهر إليها في حدود ما تسمح به.

● الاحتكاك غير المباشر بصنّاع الثقافة الإنشاديّة : يتطلّب نشر الثقافة الإنشاديّة احتكاكاً غير مباشر بصنّاعها، أي **لا يُشترط حضور الإنشاديّ ليواجه الجمهور،** و في ذلك و إن بدا غير ذي فائدة محمدة كبيرة؛ حيث يُرفع التقييد فيتّسع مجال نشر في أكبر مساحة ممكنة، دون أن يتطلّب وجود الإنشاديّ صاحب المنتوج، و كيف يمكن له الحضور في كلّ مكان و زمن ؟.

لاحتكاك من هذا النّوع عدّة فوائد مثل :

أ - صناعة مناخ دعائيّ مثاليّ دون تواجد الإنشاديّ صاحب العمل.

ب - إعطاء انطباع أكيد بإيجابيّة الدّعوة الفنيّة بواسطة كثرة الأعمال و تنوّعها.

ج - إضفاء هالة خاصّة على الإنشاديّين من خلال تقريب أعمالهم للجمهور دونهم.

د - تجسيد مباشر لثقافة الآخر من خلال تقريب أعمال أيّ إنشاديّ لأيّ جمهور.

و الاحتكاك غير المباشر هو ترسيخ لكبر العائلة الإنشاديّة، **و ترجمة لتنوّع ثقافتها،** على اختلاف ألسنتها القديمة أو الحديثة؛ و جنسيّاتها و أعراقها و المدارس المنتمية لها.

في التالي تناول لبعض مظاهر الاحتكاك غير المباشر، و لو أنّنا لم نركّز عليها كثيرا؛ ليس للتقليل من أهميّتها؛ بل محاولة مدروسة لاستغلالها في مكانها المناسب، فإن بولغ فيها؛ تحوّلت إيجابيّتها إلى العكس، مثل ترويج أعمال ما باسم الإنشاديّين دون علمهم، ممّا ينجرّ عنه عواقب وخيمة على الإنشاديّين و الإنشاد في حدّ ذاته، و قد يصل الأمر إلى انتحال الشّخصيّات.

من مظاهر الاحتكاك غير المباشر : المتحف الإنشاديّ، المكتبة الإنشاديّة، المعرض ... إلخ، و كما يمكن أن تكون ثابتة؛ يمكن أن تكون متنقلة حسب الأوضاع.

●●● المعرض : هو عرض الثقافة التي تحويها المنتوجات الإنشاديّة المتنوّعة و تعكسها أمام الجمهور؛ باختلافها و اختلافاتهم قصد :

أ - بيعها.

ب - بيع حقوق الاستغلال.

ج - الإعلان عن وجودها أمام الجماهير.

و المعرض هو صالون مصغّر، **لا يتطلّب إمكانيّات ضخمة لإقامته**، ممّا يجعله منتشراً بكثرة في الجامعات أو الإقامات الطلاّبيّة، و المدارس و مراكز التّكوين و المعاهد، و هو ما يمثّل قوة حقيقيّة له أمام جمهور قليل يسهل التأثير عليهم.

●●● الصّالون : هو معرض كبير من حيث المساحة و ما يترتّب عنها من زيادة في حجم المعروضات و نوعها من جهة؛ و ما هو منتظر منه أن يقوم به من أدوار.

مؤهل هو للقيام بـ :

أ - إنشاء مناخ دعائيّ ضخم من خلال التّرويج له إعلاميّا.

ب - استيعاب عدّة أنماط إعلاميّة كالمنتديات الحواريّة بين الإنشاديّين، المسابقات، النّدوات الصّحافيّة ... إلخ.

يتطلّب الصّالون إمكانيّات كبيرة لتنظيمه، من أجل هذا يبحث المنظّمون عن مموّل له أو عدّة مموّلين، كي يقوم بما يجب القيام به من أدوار، و تُعتبر هذه الإمكانيّات أساس كلّ تظاهرة من هذا الحجم.

●●● سباق الأناشيد : هو مجموعة من الأناشيد يقوم الجمهور باختيار ما يعجبه منها حسب ما يتوفّر له من وسائل اختيار كالهاتف مثلاً، أو البريد الإلكتروني، و بطبيعة الحال؛ سينتج ترتيب معيّن متغيّر باستمرار، و في ذلك :

أ - إعطاء الجمهور انطباعاً **بقيمته العليا في العمليّة الثّقافيّة**، بحيث لو لم يكن الاختيار لم يكن التّرتيب و لم يكن سباق الأناشيد أصلا.

ب - إشراك الجمهور بطريقة لبقة في الصّناعة الإنشاديّة، بحيث نتعرف على نوعيّة الأناشيد المفضّلة لديه.

ج - ترويج الأناشيد بين فئات الجمهور؛ بفسح المجال له كي يستمع و يشاهد و يختار، **و الاهتمام يولّد الرّغبة.**

كما يمكن إدراج بعض الجوانب الأخرى ضمن هذا المظهر من مظاهر الاحتكاك غير المباشر كالمسابقات التي توزّع على الرّابح فيها بعض الهدايا التّشجيعيّة.

●●● اللّعبة الإنشاديّة : هي لعبة اكتشاف أو إجابة عن أسئلة، أو أيّ شيء من هذا القبيل، يتمّ تنظيمها وفق أسلوب التّنافس بين المشاركين، أو تُلغى المنافسة و كلّ من يجيب أوّلا هو الرّابح فيها، أو أيّ أسلوب آخر يراه المنظّمون مفيدا.

تشكّل هذه اللّعب مادة إشغال للجمهور، بحيث نصنع له مجالاً ثقافيّا يعيش بداخله، نختاره له، فينتج أفكاراً قائمة على الفعل و ردّ الفعل.

من فوائد هذا :

أ - **الإشهار** للإنتاجات الإنشاديّة الجديدة.

ب - توجيه أفكار الجمهور ضمن إطار محدّد.

ج - تنمية العلوم و الفكر الإنشاديّ السّليم.

أو إحداث تزاوج بين هذا النّوع و نوع آخر من الاحتكاك المباشر؛ كاستضافة إنشاديّ معيّن يتّصل به الجمهور على الهواء، و يتفاعل معهم عاديا؛ بتبادل الأفكار أو **حتّى عبارات المجاملة**، التي تعني في هذه المواقف الكثير، و إذا كان الإنشاديّ شجاعاً؛ يفتح باب النقد للنقاد المختصّين.

04 - صناعة ثقافة خاصّة :

هي إنشاء مناخ خاصّ يختلف عن المناخ العامّ، و قد تكون هناك إمكانيّة تواجد شبيهه في مكان آخر أو في زمن آخر، غير أنّ الاختلاف بين منطقتين مكانيّتين أو زمانيّتين أمر وارد الحدوث، و إلاّ لما وُجد داعٍ لأن تضفى سمة الخصوصيّة على هذه الثقافة.

تذكّر : الجاليات المسلمة في المجتمعات المختلفة عنهم عقائديّا أبرز نموذج للثقافة الخاصّة، ينجذب أفرادها لبعضهم البعض و لا سيّما إذا كانوا يتكلّمون لغة واحدة، **يحاولون تبادل العادات و التقاليد الاجتماعيّة التي تختلف من منطقة إلى منطقة**، و كما يتبادل الرّجال أخبار البلد الأمّ و الحكايات؛ يتبادل النّسوة أطباق الطّعام، أمّا عن أولويّات هذا الانجذاب؛ فيرجع إلى ما تضعه هذه الجاليات من مرجعيّة لها.

إنّ اعتماد أفكار خاصّة ليس معناه إبقاء هذه الخصوصيّة على الدّوام، فلعلّ تغيّر الوضع سيتطلّب الخروج من الدّائرة، و عليه؛ فبناء ثقافة خاصّة هو بناء جزء من الثقافة العامّة ليس بالضّرورة أن تأخذ اتّجاهاً معاكساً لها، و لكن عموماً فإنّ التربية الخاصّة؛ **قائمة على امتلاك معلومات نادرة.**

لاحظ هذا جيّدا فلا نستطيع أن نتوغّل في الحديث أكثر من ذلك ... و اللّبيب بالإشارة يفهم.

- مميّزات الصّناعة الثقافيّة الخاصّة : من بين مميّزات الصّناعة الثقافيّة الخاصّة نتجرّأ على ذكر ما يلي :

أ - تمثّل الثقافة الخاصّة جبهات مثاليّة للمقاومة ضدّ الغزو الثقافيّ (العولمة)، و في الوقت نفسه هي قواعد ثقافيّة للغزو الثقافيّ الحقيقيّ (العالميّة).

ب - إعادة بناء موازين القوى الثقافيّة **بتحصين جبهات معيّنة وفق معايير مناسبة تماماً للواقع**، و من ثمّة تعزيز هذه الجبهات لتتفوّق على نقيضاتها.

ج - إيجاد نسق تربويّ مثاليّ يختلف عن باقي الأنساق التربويّة الأخرى.

د - تكوين نسق ثقافيّ معقّد و مركّب، ذي مسائل مبلورة و خيال مفتوح قائم على أساس علميّ حقيقيّ؛ ينظر إلى الوجود نظرات كلّها جهود لفهمه و التحكّم به.

05 - المنبع الثقافيّ :

يُعدّ المنبع الثقافيّ **قضيّة استراتيجيّة**، لأنّه نبع يستمدّ الفرد منه أصول ثقافته، و تستوحي الجماعة منه مرجعيّة لثقافتها، فإذا كانت ثقافة الفرد خاصّة؛ أصبح المنبع الثقافيّ مسألة شخصيّة إن صحّ التعبير، حكراً على أصحابه فقط، دون أن يعني هذا سرّا من الأسرار بصفة جامعة.

كما يمكن أن يتعدّد المنبع إلى ينابيع **بشرط عدم تناقضها مع بعضها البعض**، كي لا تنشأ صراعات فكريّة، حيث يتخذ كلّ فرد و جماعة مرجعيّة خاصّة به لا تتفق مع غيرها من المرجعيّات، و ليس الأمر شائكاً بقدر ما هو معقّد حين يُلغى هذا الفرد الآخر، فلا يُسعى لمخاطبته، لأنّه ببساطة شديدة غير موجود في الأعين، فإذا تعدّدت المشارب في الجماعة الواحدة؛ كانت تمهيداً لانشقاقات في الأفق، إذ كيف تنقسم الفرق الإنشاديّة بربّك ؟.

حينما يتعطّل فهم الناس لبعضهم البعض؛ يزيد ضغط أفكارهم ليتصرّفوا بعد ذلك بناء عليها فقط، غير آبهين بسلامة أفكار غيرهم.

ركّز جيّدا ... لقد قلنا أنّ تعدّد المشارب تمهيد لانشقاق في الأفق، و في الآن نفسه لا يمكن أن نجمع كلّ الأفراد على رأي واحد، إذن فالاجتهاد مسألة مفروضة و محبّبة لأنّها يد الإبداع، **لكن ليس في النبع.**

- الأيديولوجيا و العقيدة الإنشاديّة : يُقصد بالأيديولوجيا علم الأفكار، أمّا العقيدة الإنشاديّة فهي ما يعتنقه الإنشاديّ من أفكار وفق ثلاثة جوانب متّحدة فيما بينها، الجانب الدّينيّ و الجانب الفنيّ و الجانب الفكريّ.

إذا ثبّتنا رؤيتنا تجاه نبع ثقافيّ واحد نتّخذه مرجعاً للإنشاديّ؛ نحن مجبرون على اتخاذ موقف سليم نحو جنود الدّعوة الفنيّة الذين يتّخذون من العالميّة نزعة حتميّة، حيث يفرض عليهم المكان وجود استحكامات دفاعيّة شديدة الفعاليّة غير قابلة للاختراق، و هو ما يجعلهم في تحصين تامّ أثناء خروجهم للعالم بأفكاره المتناقضة و الغريبة.

هناك من الإنشاديّين من ينظرون للشّيعة نظرة استغراب ... من ينظرون للإباضيّين نظرة تعجّب و استهجان.

و في الوقت نفسه؛ إذا تسامحنا مع كلّ الطّوائف حتى التي تدخل ضمن الشّرك و الخارجة عن الملّة بأفكارها؛ فإنّنا سنكون منهم، و أين سيكون الدّاعية إلى الله في موقف كهذا الذي لا يغبطه عليه أحد أو حتّى يحسده ؟.

ألا تسأل الآن : ما الفرق بين الأيديولوجيا الإنشاديّة و الإنشاد الأيديولوجي ؟.

هنا يكمن الخلل الذي يقع فيه الكثيرون، فإذا كانت الأيديولوجيا الإنشاديّة مسألة جوهريّة لا يمكن التّخلّي عنها بكونها استحكامات و تحصينات؛ فإنّ الإنشاد الأيديولوجيّ مسألة يشوبها الكثير من اللبس، حيث تكون مدعاة للانغلاق الفكريّ و **إلغاء الآخر من زاوية ضيّقة** في كثير من الأحيان، و بصفة ما يتعقّد الأمر أكثر فأكثر و تترسّب الأفكار التي تؤسّس لهذه الأيديولوجيا حتى تصبح ثقافة منغلقة على ذاتها، لا تنظر إلاّ لنفسها في المرآة.

و للأسف الشّديد فإنّ كثيراً من الإنشاديّين لهم نزعة الإنشاد الأيديولوجي، **كموروث من الثقافة العامّة التي نشؤوا عليها**، و بالتالي أصبحوا لا يفرّقون بين ما يجب أن يحترموه كأفكار دون أن يعتنقوه؛ و بين ما يجب اعتناقه كأفكار دون أن يغالوا فيها لدرجة إلغاء الآخر.

««» هل تعدّ اللّغة نبعاً مثاليّاً للثقافة ؟ :

قبل الإجابة على سؤال من شاكلة هذا المنوال؛ ألا يكون الموقف مثاليّا جدّا للتحدث عن أشياء معيّنة هي في الأصل مفاتيح كبرى القضايا الشائكة ؟.

هي الثقافة التي نتحكّم بها في المجتمعات، هي أولى خطوات العمليّة التربويّة، و لو أكّدنا على أنّ للتربية لغة معيّنة تتحكّم في نوعيّتها؛ لما كنّا مخطئين، إذ بتعبير مغاير يجب أن تُنقل المعلومات إلى النّاشئة عبر جسر لغويّ يفهمه طرفا المعادلة، و توحيد اللّغات و اللّهجات في لغة واحدة يلتفّ حولها العامّة من الناس، بدل الاختلاف الذي يجرّ معه تباين الدّلالات و أحيانا تناقضها.

لاحظ المعنى بجوهره و ليس بمفهومه السّطحيّ.

ينجذب الناس إلى الذين يتحدثون نفس لغاتهم، و لكن ما العمل إذا نظرنا إلى اللغة ليس كوعاء يحوي غيره ؟، بل كجوهر يمثل نفسه و الآخر في ذات الوقت.

و أمام تعارض هذه الفكرة مع مقولة " الفكر مدفع اللّغة أو تجانسها "، **فإنّ الفكر يبقى هو منشيء الثقافة اللّغويّة حسب ما يراه مناسباً و ما يلبّي له من احتياجات،** و ليتّسع صدرك لتقبل معلومات لم يصل إليها فكرك بعد، معتمداً على فكرة احترام وجود الآخر بعد أن كان الشّعور بكينونته مجرّد تحقيق مجال ينمو باطّراد مستمرّ.

إنّ احترام وجود الآخر هو دليل على كينونته، برهان أكيد على أنّ ثقافة ما؛ معيّنة بذاتها تنساب في الجوار، **يجب التفاعل معها،** و إذا كانت أداة انسيابها تختلف عن الأداة التي تعتمد عليها؛ فإنّ الإشكاليّة سرعان ما تتعقّد أكثر فأكثر، لأنّ تشابه الأداتين هو تشابه في الأسلوب و السّلاح.

هل سمعت أنشودة بلغتين مختلفتين ؟، مثلاً بالعربيّة و بالإنجليزيّة ؟، أو بالعربيّة و بالفرنسيّة ... ؟، إعلم أنّ في ذلك جذب لكلّ فرد يفهم تلك اللّغة، مستحبّ هذا و لو أنّ فيه بعض اللّبس، **و يكفي عموماً وضع كلّ شيء في مكانه المناسب.**

يعني فهم اللّغة جوهريّا فهم مدلولات الكلمات و العبارات و ما تشي به من إيحاءات، و نحن في هذا المقام نخرج من التشكّل السّطحيّ للغة من حيث هي إفصاح عن أفكار ما تعكس ثقافة ما، بل هي وعاء نسكب فيه معطيات نمدّها للغير في صور متعدّدة.

و عليه فاحرص عندما تنشد أنشودة بلغة غير لغتك أنّ تنظر بكلّ بصيرتك قبل بصرك إلى المدلولات العميقة لها؛ و المعاني التي توحي بها العبارات **بكلّ شكل يمكن أن تتخذه.**

أنت تخاطب الآخر هنا داخلا في ثقافته التي يحدّدها هو مبدئيّا؛ فاجعل لنفسك كلّ الحذر.

• إستيراد الثقافة : أمام ستاتيكيّة الأفكار و ضعف عجلة الحراك الثقافيّ؛ ينشأ مجال فراغيّ يُملأ بثقافة أخرى **لها خاصيّة الديناميكيّة**، حيث أنّ ثقافات من هذا النّوع سرعان ما تنتشر في كافّة الاتّجاهات؛ يميناً و شمالا، أفقيّا ثمّ عموديّا، للأمام و للوراء، ممّا يمكّن من القضاء على الهويّة الخاصّة، و تتطلّب المسألة تدخّلاً عاجلاً بهدف الدّفاع عن الثقافة المدمّرة، بيد أنّ دفاعاً في أمثال هذه المواقف يكون في وضعيّة حرجة، إذ كيف يُعقل أن يدافع الميّت عن شخصيّته غير الموجودة أصلا ؟.

يُلجأ هنا إلى ما يسمّى " استيراد الثقافة "، و هي جلب الأفكار التي من شأنها بعث الثقافة المحليّة، بالمساعدة على **إنشاء نسق فكريّ يُزرع في الجماعة قابل للنموّ و البقاء**؛ بغية مواجهة الغزو المقابل.

و الحذر واجب دائما؛ فاستيراد شيء حسّاس يستلزم أخذ كلّ الاحتياطات، و للعلم؛ فإنّ الأفكار المستوردة خليط متفاعل مع مكوّنات خاصّة بتلك المنطقة و لو حرصنا على عالميّتها، لأنّ البصمة الشخصيّة لا يمكن لها الاختفاء و لا يجوز لها الاختفاء، لأنّه اضمحلال و تمييع هويّة، بل هذه المنطقة هي أولى بعمليّات الاستيراد.

و بناء على ما سبق؛ فإنّ استيراد الثقافة هو **استيراد الأجزاء العالميّة** منها فقط دون غيرها، أو ستصبح القضيّة غزواً ثقافيّا **بأيادينا الكريمة.**

• التوأمة الثقافيّة : هي مقاسمة التفاعل الحادث في منطقة ما في زمن ما، مع جماعة أخرى، التي بدورها تعمل نفس الشّيء، معنى هذا أنّك تأخذ ثقافتي و آخذ ثقافتك، **صوريّا فقط** فليس القصد منها محو الثقافة الأصليّة لأيّة جماعة.

تعمل التّوأمة الثقافيّة على إضفاء نوع من الرّسميّة على التبادل الفكريّ بين الجماعات، و هو ما يضمن نجاحاً **مفتعلاً** في احترام كينونة الآخر.

يكون التقارب بين الجماعتين المعنيّتين بالتّوأمة في أعلى قيمه، إذ تنتقل الأفكار **عن وعي** بتنقلها، و يشعر الجميع بما يفعلونه، و تدخل الأحاسيس في القضيّة، ممّا يشجّع على الاعتناء بهذه الأفعال.

يمكن للفِرق الإنشاديّة أن تتبادل الثقافة فيما بينها بواسطة التّوأمة، مع العلم أنّ خطوة كهذه لا تنجح إذا كانت الفِرقتين من منطقة ثقافيّة واحدة، و كلّما اختلفت الثقافتين كلّما كانت العمليّة ناجحة.

لنكن واقعيّين؛ التّوأم معناه الشّبه الكبير لدرجة صعوبة التفريق بينهما، فكيف ذلك في الثقافة ؟.

إنّ نقل الثقافتين بين الجماعتين في طابع رسميّ يرسّخ آثار هذا النّقل لدرجة تساوي قيمتيه، و خاصّة إذا لُفّ بدعاية إعلاميّة كبيرة، فينشأ تفاعل مضاعف معقّد بين :

أ - الثقافة الأصليّة المنقولة.

ب - الأثر الناشئ عن الإعلام و ما يلعبه في توجيه الأفكار و تفاعلها.

ج - الآثار الجديدة الناشئة حين تكتمل التّوأمة.

06 - الحماية الثقافيّة :

هي حماية الأفكار من أفكار مسمومة ذات تأثيرات سلبيّة على الوجود، و من زاوية أخرى؛ فإنّ عبارة **حماية الأملاك الثقافيّة** هي أفضل عبارة تخدم الفكرة المراد إيصالها، و لو اقتربنا من صلب الموضوع أكثر فأكثر؛ فإنّ مساحة تفكيرنا ستمتدّ عميقاً إلى التعرّف على نوعيّة **التّحصينات و الاستحكامات** التي ستضمن حماية من نوع ما لثقافة ما، دون أن نتوغّل كثيراً حفاظاً على التركيز.

إنّ التّركيز على الفكرة و كأنّه يؤكّد على الحماية الفكريّة كوسيلة للحماية الثقافيّة؛ ليدخل من باب الاقتناع بأنّ عالم الأفكار يسبق عالم اللا أفكار. (ضع هذا نُصب عينيك)

مشكلتنا في حماية الثقافة، و يتأتّى ذلك بالحرص على حماية الأفكار أوّلا، ثمّ حماية كلّ الأشياء المادّيّة التي تؤثر عليها ثانيا، و معنى تأثيرها عليها عمق التفاعل النّاتج ممّا سبّب لها ارتباطاً من نوع خاصّ، و كأنّ الأفكار هي التي أنتجت هذه الأشياء الماديّة؛ فأصبحت جزءاً منها و من الثقافة ككلّ.

أنتجت الأفكار الإنشاد، فأصبح من الواجب حمايته كإنتاج لها، و في الوقت نفسه فإنّ العلاقة الجدليّة الرابطة بينهما تجعل الكلّ جزءاً واحدا، لا يمكن أن يفصل عاقل بين الإنشاد كجسم و الأفكار التي أنتجته !.

● الحماية الذّاتية : ما يُقصد به حماية ذاتيّة للثقافة لهو الثقافة التي تحمي نفسها بنفسها، من خلال أنماط دفاعيّة خاصّة كفيلة بإحداث جدار حماية محصّن غير قابل للاختراق.

و لا يتأتّى ذلك بصفة ناجعة و مؤثرة إلاّ إذا تمّ تحديد هويّة القوى المناوئة، تحت مظلّة **مبدأ العدوّ المحتمل**.

و لكن هل من الأسلم تكوين قوّة هكذا من الطّبيعة دون وصلها بأصلها ؟.

إنّه لمن الغباء المطلق اعتبار أيّ شيء من كينونته الشخصيّة، في حين أنّ قوّته نسبيّة فقط من حيث الكمّ و الأصل و النّوع، متجهة كلّها على اختلافاتها إلى الخالق عزّ و جلّ، الذي هو أصل مطلق لها، كائنة هي بأمره لوحده دون شريك له في التّسيير.

لو تأمّلنا جيّدا في فكرة العدوّ المحتمل و حلّلناها تحليلا دقيقا؛ لأدركنا أنّ أيّ عدوّ مهما كان لا ينطلق إلاّ من خطّ المجتمع الرّابع، فيه يحصّل كلّ طاقة سلبيّة لمواجهتنا، و كلّ قوّة يراها هو قوّة؛ إنّما هي ضعف في أعيننا لأنّها منطلقة من مجتمع ضعيف بعيد عن الله كل البعد، **و إذا اتخذنا الاتجاه العكسي له لكنّا نحن الأقوياء بكلّ القرب.**

هؤلاء الذين لا يوافقون دعوتنا من العلمانيّين مثلاً إنّما تثقفوا على ثقافة دعّمها الشيطان، و لا تعجب أن يتشدّقوا بعبارات الغلبة، نحن الأقوياء يا سيّدي و ربّ الكعبة، كلّما بعدوا عن الله كلّما زاد ضعفهم، بشتّى أنواع الضعف، و لو رأى الرّاؤون مظاهر قوى لم يألفوها من قبل أو يعهدوها، **إنّما ذلكم الشّيطان يستزلّ أولياءه أو من يرى فيه وليّا.**

هلاّ بحثت في تاريخ الخير و الشرّ ؟؛ لامسا دور المجتمع الرّابع في تدنيس كلّ جزء عبر الزّمكان من الحضارة الإنسانيّة ؟، يبتدؤها بعبادة كلّ شيء غير الله المستحقّ للعبادة، و في هذا خطوة استراتيجيّة منه **لعزلهم عن القوّة الحقيقيّة في الوجود**، ثمّ يأتي الباقي من الرّذائل، و لو كان هذا نموذجاً ثابتا لكفى التعريف و الإعلام و الإشهار؛ بل يطوّر أسلحته كلّما تطوّر الوضع، و الآن أصبحنا نسمع باستنساخ إنسان كامل، أي ولادة طفل في صورة طبق الأصل عن شخص ما، لا هو بابن أب و امرأة يسهران على تربيته في كنفهما؛ أو يتيم ذهب أبواه إلى الحياة الأخرى و تركاه وحيداً في عالم البشر.

و ذهب الأمر إلى أخطر من ذلك؛ استنساخ إنسان عن مجموعة من الأفراد من ذوي النخبة، شيء أقبح من الزّنا.

من يحميك منّ كلّ هذه المكائد إذا لم تكن مستمسكاً بأصل هذا الوجود ... و لا تنسَ أنّك بمجرّد اتّباع ثقافته **يحوّلك إلى جنديّ من جنوده**، و لو كان سيتحمّل مسؤوليّتك كاملة لما كان على الأمر غبار؛ بل سينكر كلّ مسؤوليّة له عليك يوم القيامة، ليقول : إنّما ناديتهم فلبّوا النداء، فهل ألام أنا ؟!.

● الحماية الشاملة المتكاملة : إنّ الحماية الثقافيّة هكذا كمفهوم معزول لا يمكن له أن يوفي الغرض منه إلاّ إذا كانت حماية تتوفّر لها الشموليّة و الكمال؛ بحيث تكون تحصينات ثقافيّة على كافة الجبهات، تعمل على صدّ كافّة الهجمات أو التسلّلات، و بذلك تمنع كلّ محاولة اختراق مهما كان نوعها و حجمها أو المشاركين فيها.

إنّ ما نقصده هنا هو تثقيف كلّ فئات المجتمع بما **يتناسب مع خصوصيّة كلّ فئة**، بحيث تتكاثف ثقافات هذه الفئات مع بعضها البعض لتشكّل ثقافة عالميّة واحدة، إذ المجتمع الذي نعنيه هو مجتمع عالميّ واحد، يضمّ كلّ فرد و جماعة محليّة، لا فرق بين عربيّ و أعجميّ، أو بين أبيض و أسود، أو بين غنيّ و فقير، ... **إلاّ بالتّقوى.**

و لا شكّ في أنّ وجود ثقافة خاصّة بفئة معيّنة تتكاثف مع نظيراتها له تأكيد على مبدأ الأدوار و منه على الاختصاص، فهل من المعقول أن يعمل كلّ الأفراد نفس العمل ؟، و هل من اللائق فكريّا أن نفكّر بكلّ المشاكل تفكيرا واحدا متشابها ؟.

مع العلم أنّ الموقف آنذاك سيحدّد مسؤوليّة خاصّة بكلّ فئة ... مسؤوليّة تقع على غاربها جرّاء ما عليها من أعمال، و ما حجم الأخطاء التي سترتكب ؟، و في هذا نفسه عدل للجميع، لأنّ الفكرة التي ستدور لدى الكلّ تخضعك للجزاء بقدر ما ترفعك لشرف الاعتلاء، و عندها سيقدّر الكلّ الحجم الحقيقيّ لأفعالك.

و لا داعي للتأكيد على أنّ تهميش أيّة فئة درءاً لشرّها هو الشرّ بعينه، حيث يصبح مصدراً خطيراً لطاقة سلبيّة يريد أن ينتقم بها من كلّ شيء يجده في طريقه، إنّنا نفقدهم و نفقد أفكارهم ليستفيد منهم الشيطان استفادة مثلى.

لن يعيش الناس براحة تامّة إلاّ في ظلّ رئيس يحكم هذا العالم، إمام يستمدّ قوّته من تعاليم ديننا، **يخضع لله فنخضع له** و نحن على دراية تامّة أنّ هذا الرّئيس هو الحاكم بأمر الله، بشريعة لا تقدّم إلاّ السّعادة للبشريّة، بدل الدّساتير المتناقضة و ما سبّبته لنا من آلام و فواجع، و بدل القوانين الوضعيّة التي يضحك بها البعض على الكلّ، أو التي يُنتظر منها الكثير و الكثير و هي جوفاء لأنّها بُنيت على أفكار لا تحمي الجميع، فلا أمن لأيّ أحد و لو بترسانة من القوانين.

ثمّ ما يكون القانون سوى **أفكار تنظيميّة للمجتمع**، نثقف الناس باحترامه لأنّ فيه سعادتهم الشاملة.

• العلم الصحيح : بما أنّ العلم هو الدّوائر المعرفيّة المنظّمة لهذا الوجود؛ فإنّ الثقافة يجب أن تكون مبنيّة على أسس علميّة راسيات، أي على علم صحيح و معرفة أكيدة، أمّا ما يعتقده البعض علما؛ فهي افتراءات و ترّهات ألبست لباس العلم كي تضفى عليها الشّرعيّة، و في الواقع؛ فإنّ كلّ ما يُبنى على باطل؛ لن يُكتب له النجاح، و لو بلغت درجة الثقة به مستوىً قياسيّ.

هل جال في خلدك مرّة التساؤل عن الفرق بين العلم و الثقافة ؟.

إذا كان العلم بما ذكر سابقا؛ فهو أهل لأن يعمّم ما دام مفتاحاً لكلّ مغلق، دون أن يكون مجالاً لتدخّل البشر فيه فيطبعونه ببصماتهم، مهما كانت دياناتهم و أعراقهم و ألوانهم، أمّا الثقافة فهي الهويّة في جوهرها، لأنّ كلّ إبداع له بصمة خاصّة به.

تذكر ... تختلف البصمات عن بعضها البعض و يجب لها أن تختلف.

و بالتّالي فالعلم المغشوش هو ثقافة في أصله ... عن سبق إصرار و ترصّد.

أوصانا الله فيما أوصانا بتتبّع العلوم؛ لأنّها مفاتيح الوجود الذي خلقه هو و خلق له هذه المفاتيح؛ فلو أغمضنا الأعين عن المفتاح الحقيقيّ؛ فهل سيفتح لنا شيء آخر مهما رسمنا عنه من اعتقاد و رسّخناه في النّفوس على أنّه مفتاح جيّد ؟، هل تكفي الثقة المطلقة في شيء أن يكون أيّ شيء ؟. (أعد قراءة العبارة الأخيرة متأمّلا فيها جيّدا)

هل يعثر من استرشد بالله أوّلا؛ ثمّ طرق أبواب العلم للتعرف على مسالك الخلق ؟.

المفتاح الحقيقيّ هو الذي يفتح لنا كلّ الأبواب في كلّ وقت، هو الدّوائر المعرفيّة التي تنظّم الوجود الذي هو خلق الله، المفتاح النافع الفاتح **بالتي هي أحسن.**

ثمّ هل أتاك مرّة التساؤل عن السبب الجوهريّ الذي جعل الله تعالى يبتدئ كلامه بكلمة " إقرأ " ؟، ثمّ مباشرة ما يليها " باسم ربّك الذي خلق " ؟، و كأنّ المفتاح هنا : إبحث عن المعرفة العلميّة متوكّلا على الله الذي أنشاها خالقاً هذا الوجود، و منظّماً له بهذه المعرفة التي يجب أن تبحث عنها.

««« هل يمكن أن نلغي الرّقابة الثقافيّة بالحماية الفكريّة ؟ :

سؤال له من الوجاهة ما يشفع له باعتلاء الرّيادة؛ كونه يطرح إشكاليّة من نوع خاصّ، حيث تتجه الرّؤية هنا إلى التساؤل عن جدوى الرّقابة الثقافيّة إذا كانت هناك حماية مناسبة للأفكار، و هل تكفي هذه التحصينات لصدّ كلّ غزو ثقافيّ ؟.

لنتساءل مجدّدا : كيف يمكن معرفة نجاح الحماية الفكريّة من فشلها؛ إذا لم تكن هناك رقابة على الأفكار القادمة إلينا من كلّ حدب و صوب ؟.

هل من الحكمة إلغاء كلّ عمليّة مراقبة و حراسة بدعوى توقّر الأمن ؟.

ثمّ إنّ الحماية هي خطوط دفاعيّة خارجيّة أو داخليّة مقامة، **مخافة هجومات** من شأنها تدمير كلّ إنشاديّ.

دعونا نتفق أوّلا أنّ الحذر من شيم المؤمن، أ و ما بنا من شرّ أُخذ علينا سوى من غفلتنا ؟؟؟.

باختصار ... إنّ المراقبة السريّة غير اللافتة للأنظار توحي بالتالي :

أ - حرية للإنشاديّين كي يبدعوا و ينتجوا **دون الشّعور** بشرطيّ واقف على رأس كلّ واحد منهم، و قد يتذمّرون إذا تقلّصت حريّاتهم فيهبّون مطالبين **بخيال يعتقدون أنّ الخير فيه،** و فعلنا هذا صمّام أمان إذا ما فلتت عقارب الحماية الذاتيّة.

ب - لا تستفزّ أيّ ناقص عقل ذا نيّة سليمة يجرّب عبقريّته بالهجوم على أفكار الإنشاديّين إذا رأى كلّ عنيد جبّار أمين.

ج - تكشف النقاب عن الأعداء المخفيّين عن الأنظار، الذين تغريهم السّاحة بانعدام الحراسة على فعل أيّ شيء للنيل منا، و هم بذلك يزيلون الأقنعة عن وجوههم.

أمّا عن **ميكانيزمات** المراقبة؛ فهي في العناصر المعنيّة بدراسة الظاهرة الثقافيّة، فالنّاقد الإنشاديّ هو في جوهر عمله مراقب للسّاحة، يسانده المحلل على تفسير الظواهر المستترة و العلاقات المبهمة التي تكون صعبة الإدراك عليه، و الفيلسوف حارس الأفكار المختصّ بها دون غيره ... إلخ.

و عليه؛ فالميدان مراقب جيّدا عن طريق :

أ - الثقافة الشخصيّة للإنشاديّ التي يعرف بها ما يهدّد دعوته.

ب - اختصاص بعض الإنشاديّين الذين يصلون إلى العمق أبعد من الآخرين بحكم معرفتهم الثريّة بالأمور.

الفصل الرابع :

♦ نماذج عن الفاعلين الثقافيّين ♦

01 - الشّاعر.
02 - الملحّن.
03 - الموزّع.
04 - المؤلّف.
05 - الإعلاميّ.
06 - مسؤول الرّؤية.
07 - المزيّن.
08 - المصمّم.
09 - الخطّاط.
10 - المصوّر.

الفصل الرابع : نماذج عن الفاعلين الثقافيّين

تختلف الأنساق الثقافيّة عن بعضها البعض طبقاً لدور كلّ جنس في هذه الحياة، و تبعا للعامل الزّمنيّ لكل فرد، و لا بدّ من وجود مسافة استراتيجيّة بين بعضها البعض قصد الحفاظ على السّلامة العامّة.

بعد الاطّلاع على التالي؛ سيكون من اليسير إدراك كنه الاختصاص، **كون وجود أنساق ثقافيّة مختلفة يوحي بضرورة وجود أكثر من فاعل لهذه الأنساق**، نعم ... صحيح أنّ كلّ الإنشاديّين يؤسّسون لثقافة رشيدة واحدة في نظرة إجماليّة؛ و يلزم ذلك؛ بيد أنّ اختلاف الاختصاص **مسألة تفرض نفسها**، لأنّها الواقع و لا يمكن إنكاره ... لأنّه جزء من الوجود، ربّما تستغرب من إدراج هذا في الثقافة؛ إذ من المعتقد أنّ الثقافة أفكار يتمّ تفعيلها؛ و لكن هل تساءلت عن هويّة هؤلاء الذين يملكون الضّوء الأخضر في التفعيل ؟.

هؤلاء هم الفاعلون الثقافيّون؛ هؤلاء من يملكون فعل شيء ما لنا؛ قد يكون نافعاً و قد يكون ضارّاً، حسب ذهنيّاتهم ... حسب أفكارهم ... حسب ما يتفاعلون به معنا و نتفاعل به معهم ... حسب مرجعيّاتهم.

هؤلاء هم صنّاع الثقافة الإنشاديّة.

و إنّه من خلال الكلمة المكتوبة على الورق أو الصّورة المرئيّة أو الصّوت المسموع أو التفاعل القائم على شبكة الإنترنيت؛ فإنّ القائمين بهذا؛ **سيكونون هناك حينما يأتي المستقبل**، نماذج فقط ... من مسيّري العمليّة التثقيفيّة.

01 - الشّاعر :

هو مؤلّف القصائد الموزونة و غير الموزونة سواء كانت عموديّة أو حرّة أو شعراً عاميّا، يستقي تأليفاتها من **الإلهام** بصفة أساسيّة غالبة، فإذا ما غاب عنه الإنزال؛ لم يفلح في كتابة أيّة كلمة و لو حاول ليل نهار، لأنّ التأليف هنا ليس عمليّة رياضيّة عادية متأتّية لأيّ شخص؛ بل هي أفكار في قالب شعريّ يخضع للميزان و القواعد، و كم هم القرّاء الذين يجدون مشاكل في الإبداع الشعريّ **؟!**.

يحتلّ الشاعر مساحة الأسد في الإنشاد، كون اعتبار الأناشيد فنّا غنائيّا يعتمد على القصائد الملحّنة بصفة أساسيّة، فإذا انعدم الشّعر؛ لم تكن الأنشودة من الأصل.

لفعله عدّة خصائص :

أ - يعتمد على **اللاّ شعور و على اللاّ وعي**، و هو ما يفسّر كلمة " الإلهام " عموما، أي أنّ عمليّاته العقليّة تشهد تأخّرا بالموازاة مع نظيرتها، و هو ما يعتبر في حدّ ذاته شيئاً خطيرا، حيث المكان هنا ساحة واسعة جدّا لأنشطة المجتمع الرّابع، و عليه؛ يجب **مراجعة** كتاباته في الأخير؛ و رفض ما يتبيّن أنّه يتنافى مع القواعد السّليمة للعقيدة.

ب - لا يعرف سوى اللّغة الشعريّة و لا مجال لاستخدام لغة أخرى، و بالتالي فهو أمام خيارين؛ إمّا يتحكّم طرديّا مع الزّمن في ميدانه؛ أو سيفشل في قول ما يريد قوله.

و رغم ما ذكرناه؛ و رغم الإلهام الذي هو مصدر الإبداع لديه؛ فإنّ توسعة المساحة الفكريّة للشّاعر مسألة لا مناص منها، إذ لا يعني أنّ مساحة وعيه لا تعمل؛ و كيف يبدع و لا مخزون ثقافيّ يعتمد عليه ؟، كيف يتحكّم في الكلمات و العبارات إذا لم تكن له لغة سليمة متينة ثريّة ؟.

مشكلة الشاعر في النقاط التالية :

أ - الكيفيّة المثلى التي بها يلقي أفكاره و تصوّراته و عقليّته و ذهنيّته في عبارات خاضعة لما يجب أن يخضع له الشعر كشعر له قوانينه و أصوله التي تحكمه، **و لو كان ذا نزعة تجديديّة**، قيمة الحرف و قيمة الكلمة و قيمة الوزن و لو كان عاميّا، و ليس هذا بالبسيط إطلاقا، فهو كمن يجمع ماء محيط في قارورة بسعة لتر أو قالون.

ب - وقع العبارات على الجمهور المرتبطة أساساً باللّحن، و التي يجب أن تكون ذات تأثير عميق عليهم، تتجلى به قوّة الكلمة، و لو كان أسلوبه سهلاً ممتنعا، لتنظر سطحيّا لتفرّق بين الشاعر الحقيقيّ و بين الذي يقول كلمات عادية يريد أن يقنعنا بها أنّها شعر، دون أن نقصد هنا الخطيب الناثر.

02 - الملحّن :

من يضع الجمل الموسيقيّة للقصائد الشّعريّة بصفة خاصّة، أي أنّه يلحّن النّشيدة، يستقي ألحانه من الإلهام، شأنه شأن الشّاعر؛ و لو أنّ هناك تيّاراً يعطي الموضوع نكهة العقل و التّفكير.

يتقاسم الملحّن مساحة النّشاط مع الشّاعر، كون القصائد غير الملحّنة لا تمثّل أناشيدا، فعله يسير موازياً لفعل الشّاعر، و لولا وجودهما؛ لما كان النّشيد أو كانت الأنشودة.

من خصائص فعله :

أ - يعتمد كثيراً على مخازن اللاّ وعي و إن كان يلحّن في وعيه، غير أنّ الإبداع لا يأتي من فراغ، بل هو إلهام مستقى بالدّرجة الأولى، مصدره ملك أو شيطان، و إن كان تدخّل هذا الأخير في العمليّة مجهول التفاصيل بصفة دقيقة، بيد أنّنا نؤكّد أنّه لا يترك مجالا إلاّ و ينشط فيه، فإذا كان ينشط في الملكة الأولى؛ فهل سيغيب في تلحينها ؟ ... ما زال الأمر في طور الدّراسة.

ب - يخاطب الأحاسيس و الوجدان أكثر من العقل، فهذه لغته التي يفهمها، فيجب التّحكّم الجيّد فيها، و تطوير كافّة المهارات و الأساليب التي تدخل ضمنها، لأنّها طريق مختصر إلى نفسيّة الإنسان.

يجب على الملحّن أن يكون على اطّلاع واسع بموسيقى الشّعوب، مقاماتها و طبوعها، و حتى آلاتها المستخدمة، حيث لا مكان للصّدفة على الإطلاق، و لا توجد أصلا، إنّما هي شؤون الخلق يقرّرها الله، الواضع للعلوم المنظّمة لهذا الوجود، فلو بحثنا عن ظروف إيقاع معيّن أو مقام ما؛ لأدركنا أنه انعكاس و إسقاط لثقافة خاصّة من المجتمع الذي ابتكره، **هي أفكاره ترجمها في لغة الموسيقى**، و الملحّن في هذه الحالة يمارس عمليّة التثاقف بأسلوبه.

سرعان ما تتذكّر لو عرفت سرّا من أسرار التلحين؛ هو **إسقاط اللّحن على الكلمة**، أي المعرفة بكيفيّة وضع الكلمة الشعريّة في نسيج موسيقيّ مؤلّف من النقاط و العلامات و الأزمنة، **دون أن تفقد الكلمة قوّتها**، أو تتأثّر بالشقلبات اللّحنيّة، بل أحيانا تكون الكلمة ضعيفة في عبارة عادية؛ تمتلئ تأثيراً عظيماً مباشرة إذا رافقها لحن جذاب ... جملة موسيقيّة ذات وقع رفيع في الأذن و عليها.

03 - الموزّع :

هو الفرد المكلّف بتوزيع الأصوات و القطع الإيقاعيّة للأنشودة، بعبارة أخرى هو موزّع الأدوار بين كلّ ما يراه يخدم مصلحة الأنشودة المراد توزيعها، فقد يفتتح بالآهات لوحدها، ثمّ يتبعها بالفرديّ، على سبيل النموذج؛ أو يرفقها بقطعة إيقاعيّة خفيفة ... ، إلى غير ذلك من الأمور التي يفقهها.

ينشط الموزّع ضمن إطار كبير، و أساسيّ بالدّرجة الأولى، إذ يعمل على **بناء تشكيلة توزيعيّة قائمة على الجمال؛ و على تحقيق توازن بين الموضوع العامّ للأنشودة؛ و الإمكانيّات التي لديه، سواء في الفرقة أو الأستوديو.**

و الإمكانيّات المقصودة هي في الأصل إمكانيّات المنشد أو الفرقة، فهل يستطيع أن يواكب كلّ ما يحدّده الموزّع ؟، لا تنسَ أن للمنشد صوت و طاقة تنفّس.

هناك سريان قوى من هذا النّوع بين أعضاء الفرقة الواحدة، هناك خاصيّات معيّنة بالطّفل و بالمرأة ... أضف هذا إلى أسرار التوزيع.

لاحظ بدقة ما يلي :

أ - إنّ اختيار آلة إيقاعيّة معيّنة يمثّل في ذاته **تكريس ثقافة المنطقة التي أتت منها هذه الآلة**، أو حتّى اختياره لإيقاع معيّن كالإيقاع الهنديّ الشعبيّ أو إيقاعاً معروفاً في فنّ غنائيّ ما، ما هي إلاّ دلالات واضحة المعنى و المقصود على تبيين تلك الثقافة التي تعكسها بدورها، و الابتعاد عن الرّكيك من الفنون الغنائيّة مسألة جوهريّة هنا، لها وزن ثقيل قد لا يدركه الجميع.

ب - مثلما تتحقق الخاصيّة الأولى؛ فإنّ العمليّة ككلّ ترمي إلى تبيان **مدى عالميّة الإنشاد باستيعابه لكافة الفنون الغنائيّة**، و توجيهها توجيهاً رشيداً بحيث تتوفّر الاستفادة المطلقة من الشيء داخل حيّز الارتقاء الحيويّ.

لتكن الشجاعة تاجاً موضوعاً فوق رؤوس الجميع و نتواجه بالإشكاليّة التي تقع بين الملحّن و الموزّع، فقد يعمد هذا الأخير من خلال دوره **إلى طمس عمل الملحّن بصفة مخفيّة**، إذا أكثر من المساحات الإيقاعيّة، فصار اللّحن مغيّباً عن المستمع، أو قد يضيف من عنده ما يرى أنّه يتلائم مع اللّحن، متوسّعاً أو مشتقاً من الأصل، فهو و ما أراد **شرط أن يحافظ على البصمة الخاصّة بسابقه.**

04 - المؤلّف :

يختلف دور المؤلّف هنا عن الشاعر، إذ المقصود به المؤلف النثريّ كاتب المقالات و النّصوص و الكتب ... إلخ، كل شيء باستثناء الشعر، ذلك لأنّ للشعر خاصيّة أخرى يتميّز بها، كالوزن و القافية، أمّا مميزات النثر فخاضعة للقالب الذي تصبّ فيه، كأن يكون كتابا علميّا أو خاطرة أو مقالة ... إلخ.

يعتقد البعض أنّ مساحة النشاط لهذا الفاعل قليلة نسبيّا مع سابقيه، و حجّتهم أنّ مكوّنات النشيد قصيدة و لحن لا أكثر و لا أقل، و ليست مقالة أو كتابا، إلى أن نعتبر ذلك سليماً من ناحية منطقيّة؛ يجب التّأكيد على أنّ مساهمات هذا المؤلف **قطع ضروريّة لا يمكن التخلّي عنها**، إنّها كنه التطوير و الارتقاء، بمثابة أداة توصل العلم لطالبيه، و وسيلة اتّصال دعائيّة للإنشاد.

من خصائص فعله :

أ - يعتمد كثيرا على **العقل** فهو يعطي الفكرة تحليلا منطقيّا أو استقراء أو استنتاجا، و رغم هذا فليس في مأمن تامّ من الأفكار المسمومة، التي قد تأتي على الأخضر و اليابس، و هذه الأفكار يراها هو منطقيّة جدّا ترتقي بالإنشاد، في حين أنّ أفكارا من نوع كهذا بنيت على أساس غير سليم لا من حيث المبدأ، بل **من الزّاوية التي نظر من خلالها إليها فأعطت انطباعا جيّدا صوريّا فقط**، و لو تعمّق المحلل في تحليلها تحت كافّة الظّروف الممكن تواجدها تحتها؛ لاكتشف قصورها و زيف دعواها.

ب - إنّ انطلاقه من العقل لا يعني أنّه لا ينطلق من خطّ آخر، بل **يغيّر من خطي انطلاقه** حسب ما يريد كتابته، فلو كان خاطرة على سبيل المثال لكان سائراً إلى هدفه من منطقة اللا وعي، حيث الفرق بينه و بين الشاعر هو الوزن في أغلب الأحيان.

ج - يخاطب كلّ منطقة صالحة للخطاب سواء كانت العقل أو العاطفة، و بالتالي يمكن جدّا اللّعب على هذين الخطّين ببراعة لإيصال الرّسالة المرجوّة، في حدود ما يراه مناسبا.

من للإنشاد إذا انعدم هذا الفاعل الثقافي ؟، إنّه من يثري المكتبة الإنشاديّة بمعارف شتّى يستغلّها الإنشاديّ و غيره في الارتقاء، يمكن أن يكون الناقد ... يمكن أن يكون الصحافيّ ... يمكن أن يكن المقدّم ... و غير ذلك كثير.

إن المؤلّف هو المساهم في تنمية و صقل المعرفة الإنسانية.

05 - الإعلاميّ :

مؤلّف إن كان يكتب مقالات نقديّة، أمّا هنا فهو ناقل الأخبار الإنشاديّة بصياغة صحافيّة لجريدة أو لمجلّة أو لقناة، أو مقدّمها أو أيّ شيء يتعلّق بالإعلام، **فرد يقدّم المعلومة للآخرين باحترافيّة؛ محاولا في كلّ مرّة نقل الحقيقة قدر المستطاع**، و واضع الجمهور في كلّ ما يتعلّق بها من متعلّقات، كالصّورة أو بالحدث مباشرة.

تقترن مساحة النشاط الخاصّة بالإعلاميّ مع مساحة نشاط الشاعر مثلا، أو الملحّن، مثلما لا توجد أنشودة دون ملحّن، لا توجد أناشيد مستترة معروفة لدى كاتبها فقط، ما الغاية من إنتاج أناشيد نضعها في طيّ الكتمان ؟، و إذا نظرنا إلى المسألة من نافذة الاحترافيّة؛ يتوجّب وجود شخص ما أو جماعة ما متخصّصة في إعلام الناس بما تمّ إنتاجه من موادّ إنشاديّة مختلفة، وفق طرق و مناهج تتضمّن الإعلان و الإشهار.

للإعلاميّ دور حساس كونه **يفسّر الثقافة**، يشرح التفاعل الفكريّ لجماعة ما أو لفرد ما للآخرين، من أجل إيجاد جسور تفاهم أكثر متانة و امتداد.

هو المتحكّم في عمليّات التثاقف ... هو من يمهّد للآخرين حسن تفهّم ما يحدث حولهم من ظواهر، **بنقلها على طبق الإيجابيّة.**

و الآن هو :

أ - يقدّم تفسيرات للمظاهر الثقافيّة، و لا سيّما إذا عرفنا أن توسيع القاعدة الإعلاميّة بمعلومات جديدة دائما **يزيد من فهم الناس لبعضهم البعض**، و تتضح ملابسات بعض القضايا الغامضة، و بالتالي تنشأ أحكام جديدة تلغي تلك الأحكام السّابقة.

ب - يملك كافّة مظاهر التعبير التي تمكّنه من إعلام الناس بما حدث و يحدث، خلافاً للنماذج الثقافيّة الأخرى، ربّما هو الوحيد الذي يتمتّع بهذه الخاصيّة، كونه يعمد إلى استحداث معانٍ دالّة وجوباً على الحقيقة، و **إنتاج وعي** يستطيع استيعاب ما هو موجود في الوجود.

ج - مسموع الرّأي إذ ينتظر الناس ما يقدّم لهم من أخبار، و خاصّة إذا كانت رسميّة، لأنها تقضي على الإشاعات، و التحاليل المتضاربة، و هو بعمله يصنع مناخاً معلوماتيّاً صحيّا، يغري أيّ واحد بالدّخول إليه، و في الحقيقة يمثل الدّخول إلى هذا المناخ **الوقوع تحت تأثير الثقافة المصنوعة باحترافيّة.**

إنّ الإعلاميّ الناجح هو الذي يساعد الناس على تركيز الإدراك و بلورة المعاني المشتّتة في العقول، لا أن يزيد في تشتيت أذهان الناس بمعلومات تافهة يريد أن يجعل منها خبطة إعلاميّة بأيّة وسيلة متاحة.

06 - مسؤول الرّؤية :

كي تصل الفكرة جيّدا إليك؛ ضع في ذهنك هذه العبارة " ثقافة الصّورة "، و بعدها ستدرك ما هو دور مسؤول الرّؤية في العمليّة، فهو الشخص المتحكّم في الصّورة بحيث **نرى ما يرينا إيّاه**، و قد يبدو الأمر بسيطاً في نظرك للانطباع السّائد حول العمليّة لدى العامّة، لكن القضيّة معقّدة يقينا، تتداخل فيها الإضاءة، مع زاوية التّصوير، مع حركة الكاميرا ... إلخ.

هو المخرج لدى الأغلبيّة من الناس ...

تكبر مساحة النشاط لدى هذا الفاعل مع ضرورة استعمال الصّورة لإيصال الإنشاد إلى أعمق نقطة يمكن الوصول إليها، **حاسّة الإبصار من أهمّ الحواسّ المعتمدة عند الإنسان**، فهو يقابل الحقيقة بما يراه، و لكنّ الأناشيد و إن تمّ توظيف الصّورة فيها على شكل أناشيد مصوّرة؛ فذاك لحاجة في نفس يعقوب، كون الفنون الغنائيّة قائمة جوهريّا على الاستماع لا على الرّؤية، فلو حذفنا الصّورة؛ لن ينقص شيء في النّشيد أو الأنشودة الذي هو القصيدة و اللّحن.

لنخرج إلى عرض البحر نتأمّل معا عملا آخر يقوم به مسؤول الرّؤية بعيداً عن النمط التقليديّ، بعيدا عن إضافة صورة إلى نشيد، و إدراج الصّورة هذه المرّة ليس كمكمّل؛ بل كجزء لا يتجزّأ إذا تحدّثنا عن الإنشاد بفيلم وثائقيّ، أو ذهب بنا الأمر أبعد من ذلك بقليل.

أ - يركّز على **اللّغة الصّورة** أو ما يعرف بعبارة " الصّورة أصدق تعبير "، و خاصّة إن كانت الصّورة حيّة الحركة و الصّوت، ممّا ينقل المشهد بشيئين بارزين : الفعل و الصّوت.

ب - يخاطب المشاعر و الأحاسيس كما يخاطب العقل و التفكير المنطقيّ، تبعاً لما يركّز عليه من صور، و تبعاً لما تعنيه هذه الصّورة للمشاهد من معانٍ بالدّرجة الثانية، فالعالميّة أحيانا تناقض صريح في تقاليد و أعراف المجتمعات.

ليس التركيب بين المشاهد قضيّة قصّ و ربط؛ بل هو **بناء سياق عقليّ عاطفيّ** لدى المشاهد، محاولة جادّة لصياغة جمل مفيدة من صور ربّما لا تعني شيئا إذا شوهدت على انفراد، فتفهّم هذا، لأنّه يشبه بناء قصيدة أو صناعة لحن.

إنّ النشاط داخل مجموعة مؤلّفة من مصوّرين و عمّال إضاءة و غيرهم ممّن لا ينتصب العمل مكتملا إلاّ بهم؛ يفرض تقنين عمليات الاتصال، و وضع بروتوكول من أجل الحفاظ على سيرورة معلوماتيّة جيّدة؛ و في الوقت نفسه لا ينشأ أيّ ضغط على أيّ واحد، و سرعان ما تستعيد توازنك حين تدرك أن تنظيماً من هذه الشاكلة يلعب دوراً استراتيجيّا في صناعة ثقافيّة راقية بطريقة غير مباشرة.

أرجوك ... لا تفهم ذلك كونه تعاليا و تكبّرا؛ بل من أجل المنفعة العامّة و مصلحة الجميع لا غير.

07 - المزيّن :

لا يُقصد بالمزيّن المكلف بتزيين الوجوه بمساحيق معيّنة؛ هذا مفروغ منه؛ هو المتّسع في عمله إلى مفهوم تغيير وجه المعنيّ إلى **ملامح الوجه المراد الوصول إليه**، سواء تجميلاً أو تقبيحا؛ ممّا تستدعيه الحاجة إلى ذلك.

إنّ المزيّن كفاعل ثقافيّ شخص ينقل الأفكار بواسطة ما يغيّره من ملامح على الوجوه، يهمله البعض ليس لكونه غير مهمّ؛ هم يرون بأمّ أعينهنّ ما يجتهد فيه قصد وضع وجه الإنشاديّ في إطار زمنيّ ما، و ما يفعله من أجل إخفاء التعب الذي يبدو على ضيوف برنامج ما؛ بل للرّوتين الذي يعيشون فيه، و تسارع الأدوار الإنشاديّة التي قد تطغى على هذا الذي يملك فعلاً استراتيجيّا.

حين يقابل الإنشاديّ الكاميرا؛ في برنامج ما؛ سيلزم الجمهور أنفسهم بأخذ حكم مبدئيّ عام عليه، كلّ ما يتعلّق به سيكون على المحكّ، من خلال الصّورة التي يظهر بها أمامهم، فإن بدا خائفاً يتلعثم في كلامه قيل عنه أنّه جبان، و لو بدا متسرّعا في عباراته لقيل أنّه طائش، و لا دخل للمزيّن هنا، و لكن ما نريد إثارة الانتباه إليه هو حساسيّة الوضع الملاحظ بالأعين لدى الجمهور، فما بالك لو شاهدوا العرق يتصبّب على وجهه صبّا ؟، و المسكين يحاول مسحه عبثا، ثمّ بدا التّعب على بشرته، **و الجمهور يبني انطباعاته على أوّل اتّصال بصريّ.**

دعونا ننظر إلى المسألة من زاوية أخرى؛ هل المطلوب من المزيّن أن يخفي كلّ قبيح دائما ؟، كلاّ ... بل يطبّق مبدأ الارتقاء الحيويّ، في مسعى آخر.

تتطلّب الأناشيد المصوّرة حضوراً قويّا للمنشد في أغلب الحالات، سيكون ممثّلاً في عدّة لقطات، و أمام سيناريو قويّ لا مناص من أخذ كافّة احتياطات النجاح، فهل نغامر بصورة ما تعرّض جميع الجهود للنسف لمجرّد أن وجه المنشد لا يبدو كما يجب ؟، هل يعرف الجمهور ما تمّ رصده من إمكانيّات للعمل ؟، هل سيحكم لنا بالشكر الجزيل على أشياء لا يراها لأنّ لا ثقافة لديه عنها ؟، أم سيكون ساخطاً على أداء رديء للمنشد ؟، رغم أنّ الرّداءة المقصودة تقع في وجهه فقط، لا نتكلّم عن شيء آخر، رداءة نسبيّة تستلزم شخصاً محترفاً لتحويلها إلى مصدر قوّة، و لا داعي لأن نحيطك علماً أنّ الوجه المملوء فتوّة يوحي بالقوة و الصّلابة، و العين الدّامعة ذات الجفون المنتفخة توحي بالحزن عند البعض ... إلخ.

يتأكّد للكثيرين أنّ مساحة نشاط المزيّن مقتصرة فقط على إطار ما يظهر للجمهور، و لا سيّما غير المباشر أو المنقول عبر قنوات بصريّة مرتبطة بالكاميرا، و هذه مساحة لا بأس بها جوهريّا، فهو :

أ - يركّز على خصّيصة الجمال و إخفاء القبيح عموماً إلاّ إذا تطلّب الأمر عكس ذلك.

ب - يستطيع نقلنا عبر الزّمن حيث فعله بصريّ، و لكنّ يعطي انطباعاً بفترة تاريخيّة ما.

ترتبط ثقافة التزيّن بالمرأة؛ لأنّها مفطورة على ذلك، غير أنّ المبالغة في العمليّة التزيينيّة يضفي قبحاً عليها، معطياً انطباعاً سيّئا جدّا للمشاهدات، و هو ما يجب الانتباه له بصفة دقيقة، فمساحيق التّجميل بكثرتها تخضع للتي تتحكّم فيها، و لا سبب منطقيّ لوضع أيّ شيء ليس في مكانه المناسب.

لسنا مستعدّين لرؤية إنشاديّة وجهها لوحة رسم زيتيّة.

08 - المصمّم :

يختلف المصمّم من صنف لآخر حسب المفهوم الذي نعطيه للتّصميم، فقد يكون مصمّما للرّقصات مثلا، أو رسّاما أو مصمّم أغلفة ... إلخ، و إذ كان لدى البعض لا يخرج مع غيره من النماذج إلاّ من باب واحد، فالشاعر يصمّم قصيدة، ثمّ يصمّم لها الملحّن اللّحن المناسب لها، إذن فقضيّة التصميم **قضيّة مشتركة جماعيّة**، تختلف الأدوات باختلاف فاعل النسق الثقافيّ.

لنكن متسعي المكان لينضمّ لنا أيّ صنف يمارس فعل التصميم، أي حين نطلق وصف " مصمّم "؛ فنحن نقصد من يبتدع أشياء؛ و ينسّق بينها ليعطي لنا في النهاية تصميماً يراه هو مناسباً و ملائما، من خلال احترافيّته، أ كان ذلك في صورة ثابتة؛ أو متحرّكة كالمصمّم الإنفوغرافيّ؛ أو كالذي تطرّقنا إليه في البداية، مصمّم الرّقصات الخاصّة بالأطفال أو حتى بالكبار، فهو يعتمد على حركة هؤلاء و **مدى التنسيق فيما بينها**، أو ما تعنيه رقصة كلّ طفل وحده.

إنّ المصمّم :

أ - يعتمد على ما تعنيه عناصر تصميمه من إيحاءات، سواء لونيّة أو تشكيليّة، يخاطب بها اللاّ وعي بصفة أساسيّة، و يقدّم تكريساً لثقافة ما تقدّم انطباعاً عن التّصميم المقدّم.

ب - يرتكز فعله على التعبير وفق ما يتاح له من وسائل دون أن يتجاوزها، فإذا كان مصمّم الرّقصات نظر إلى الحركة و ما تعنيه؛ و لا سيّما في انسجاماتها؛ و إنّ تصميم الملابس شيء آخر تماما، ليست الحركة من وسائله عموما، و الرّسام التشكيليّ يأخذ اللّون و انسجام العناصر، و الخطّاط يأخذ الشكل ... إلخ.

لاحظ من نقطة مماثلة أنّ كلّ مصمّم و إن بدت عمليّة التّصميم تُلبس لديه حلية؛ فإنّ الخصوصيّة شيء ثابت في كلّ تقدير لا يمكن إلغاؤها.

لدينا من الأمثلة ما يدفعنا للاعتقاد عميقاً بأنّ التّصميم لعبة لا يجيدها كلّ من وقف لها أو جلس، هناك أسرار تتحكّم فيها، تبقى الموهبة المحرّك الأساسيّ لها، هل رأيت بعض تصميمات أغلفة الإصدارات ؟، هل تمعّنت في انسجام الخطوط المستعملة ؟، الفراغات المتروكة عمدا ؟، كل هذا يغفل عنه البعض حيث ينظرون مباشرة إلى اللّون.

تؤثر على المصمّم عوامل كثيرة أبرزها :

أ - الحالة النفسيّة المسيطرة عليه أثناء التصميم.

ب - رؤيته الفكريّة للأشياء و العلاقات الرّابطة بينها.

ج - معرفته المسبقة بالانطباعات التي ستكون لدى الجمهور.

د - الوقت المستغرق في العمليّة التصميميّة.

09 - الخطّاط :

ربّما لا يُفرد له دور عند الذين يقحمونه مع المصمّمين، و إن كان ذلك صحيحا، بيد أنّ فعله الثقافي فريد من نوعه، فهو كاتب الخطّ وفق تنميقات معيّنة خاضعة لمجموعة من القواعد و القوانين، لخطوط أمثال الدّيوانيّ و الرّقعة و الثلث و النسخ ... ، و يتوغّل أكثر فأكثر هذا الفاعل ليصمّم لنا لوحات كاملة بالخطّ العربيّ، إنّه رسّام هنا، لكن دون ألوان في الأساس، أقلامه هم أدواته في العمل.

يتمحور فعل الخطّاط حول خطّ الكتابة فقط، فلا يخرج عن هذه الدّائرة على الإطلاق، كيف لا و هو المعتني المحترف مهما كانت لغته ؟.

من خصائص الخطّاط :

أ - يركّز على الخطّ دون غيره من وسائل التعبير ممّا قد يبدو للبعض موضع عجز، إلاّ أنّ المتحكّم في عمله المتعمّق فيه يكفيه ذلك كأسمى تعبير، صانعا لوحات فنيّة وفق تشكيلات معيّنة تجسّد أحاسيسه، و تمرّر رسائله إلى الآخرين.

ب - يقيّد اللّغة المنطوقة التي تُنسى في كثير من الأحيان؛ تقييداً يضمن انتقالها كأداة حضاريّة إلى الغير عبر الزّمكان.

إنّ استنطاق الحرف العربيّ في اللّغة العربيّة بمثابة استدعاء لكافة الجهود الممكنة لإبداع شيء ما من عماد القرآن الكريم، و الآن ما زالت تُطرح التساؤلات حول ابتداء بعض السّور بحروف بقيت مبهمة الشّرح و الأسباب لعقود مضت.

الخطّاط هو **مبرز الثقافة اللّغويّة**، عن طريق التركيز الشّديد على الحرف أيّا كانت اللّغة التي تتضمّنها أعماله، و لا تتذمّر من فعله على اعتباره شيئاً عاديا، هل نسيت أنّ الحرف يعني اللّغة ؟، و اللّغة تعني الاتّصال ؟، و الاتّصال يعني التواصل ؟، و التواصل يعني التجنيد ؟، و التجنيد يعني إيجاد أناس آخرين يحملون على عواتقهم هموم تبليغ الدّعوة ؟.

10 - المصوّر :

ربّما يتشابه دور المصوّر مع دور مسؤول الرّؤية إلى حدّ يصعب معه التفريق بين الدّورين، و لعلّنا نوفّق في وضع خطّ فاصل بين الإثنين، إذ تقف طبيعة الصّورة موقفاً ضابطاً لكلي المفهومين، فالمصوّر من يلتقط الصّور الثابتة غير المتحرّكة، للمنشد مثلاً أو لحفل ما، و يتماشى عمله كإعلاميّ هذه المرّة مع الطّبيعة المطلقة لدوره، و لكن يجدر بنا التوسّع قليلاً في تحديد شخصيّته إذا ما وجب علينا النظر إلى مجال أوسع ليشمل نشاطاً عامّا يقوم به، أمّا من يتصرّف في تلك الصّور؛ فذلك أمر آخر.

إنّ أحسن الصّور ما كانت **طبيعيّة تلقائيّة** بحيث يتصرّف المعنيّ فيها بصفة عاديّة جدّا دون أن يقيم لآلة التّصوير أدنى اعتبار. (نقصد من هو في الصّورة)

تنحصر مساحة نشاطه المصوّر في الأعمال العلنيّة فقط، حيث تكون الصّورة بمثابة وسيلة تخليد نسبيّ، و إعلاماً للجمهور، أمّا في الأنشطة السريّة فدوره محدود جدّا، إذ الصّورة هنا ذكرى للتاريخ و للأجيال القادمة **حين يسقط كلّ ضرر ممكن عن الإعلان عن النشاط.**

أمّا إذا تفصّلنا في أنشطته التي من الممكن العمل فيها بكلّ حريّة؛ فهي كثيرة و متنوّعة إلى حدّ بعيد، تبتدئ بالصّور الشخصيّة للإنشاديّين؛ و تمرّ بالحفلات و المهرجانات و المسابقات، أمام الجمهور و خلف الكواليس، و كلّ هذه الإنتاجات الخاصّة به تذهب إلى وسائل الإعلام بصفة أساسيّة، دون الحديث هنا عن مؤسّسات الأمن و ما يتعلّق بها، فهو يرى بأعين الكلّ؛ و ليس كلّ واحد أهلاً لاستعمال ما يرى بعينيه.

لفعله الثقافيّ خصائص مثل :

أ - يرتكز فعله على لغة الصّورة فقط و ما تعنيه من دلالات و يا لها من دلالات، و هذا بدوره ما يأخذ عدّة تفسيرات **حسب ثقافة** كلّ جماعة و كلّ فرد.

ب - لا يستطيع إبداع شيء من لدنه، فهو ملتقط مشاهد أيّا كانت هذه المشاهد، فقط، دون تدخل منه مباشر.

ج - هامش الإبداع لديه مقتصر على الإطار الذي يقرّر هو حدوده؛ ممّا قد يجعله يركّز على عناصر و يهمل عناصر أخرى.

تفرض طبيعة الثقافة التي يقدّمها المصوّر للمشاهدين الاحتراز من الشرعيّة الدّينيّة للصّور الملتقطة، و لا سيّما إذا كانت خاصّة بالنّساء؛ كالعرس مثلاً أو مهرجانات خاصة بالمرأة، فهذه النوعية من الصّور قد تكون عادية؛ و لكنّ طريقة التصوير **تعطي انطباعاً خاصّا** للرّائي، بما يشي بشيء غير سويّ.

إنّ تطرّقنا لهذه النماذج ما هو إلاّ محاولة لإثارة انتباه الإنشاديّين و غيرهم للثقافة التي يقدّمها هؤلاء، نوعيّة أفكارهم النابعة من اختصاصهم؛ و الكيفيّة التي ينظرون بواسطتها للأشياء و العلاقات التي تربط بينها، و عليه؛ النظر في إمكانيّة التأليف بينهم قصد المستطاع، لجعلهم يقدّمون ثقافة إنشاديّة واحدة ... للاختصاص فيها الأثر البليغ.

و هناك نماذج أخرى لم نتطرّق إليها.

الفصل الخامس :

♦ الثقافة الجماهيريّة ♦

01 - الثقافة الشعبيّة بين المفهوم و المصطلح :
● اختلاف الثقافات الشعبيّة ● النسق الثقافيّ ● الأسطورة.

02 - المقاومة و الاستسلام :
● أثر الموروث على تقبل الجديد ● استدعاء من أقبية التاريخ.

03 - بناء حضارة :
» ما جوهر العلاقة بين الحضارة و الثقافة ؟.
● حضارة الأنبياء ● شروخ و تصدّع و انهيار.

04 - القيادة الثقافيّة :
» من يقود من ؟.
● ثقافة الوافدين من فنون غنائيّة أخرى ● الثغرة الثقافيّة.

05 - حتميّة التقدّم :
» ما الفرق بين العولمة و العالميّة ؟.
● الخصوصيّات الثقافيّة ● الثقافة الإلكترونيّة.
» كيف نوفّق بين العولمة و العالميّة حينما يتعلّق الأمر بخطاب ثقافيّ ما ؟.

06 - الثورة الثقافيّة أم النّهضة الثقافيّة ؟ :
● أوجه التشابه ● أوجه الاختلاف ● متطلّبات الثورة و النهضة ● الحرب الثقافيّة ● نشأة الفنون الغنائيّة.
» ما هي نوعية الثقافة التي يقدّمها الإنشاد ؟.

الفصل الخامس : الثقافة الجماهيريّة

01 - الثقافة الشعبيّة بين المفهوم و المصطلح :

يُقصد بالثقافة الشعبيّة عامّة مجموعة الأفكار و العواطف و الأوضاع المعبّرة عن دلالات معيّنة لدى الجماعات غير الخاصّة، المتطوّرة بفضل آليّات يتدخّل فيها **الزّمكان** بنسبة تركيز شديدة.

لاحظ هذا جيّدا : تتجه الثقافة الشعبيّة في منحاها الزّمنيّ إلى كلّ شيء **تتبنّاه العواطف و الأحاسيس**، بينما يتحكّم العقل في المنحى المكانيّ لها.

معنى ذلك أنّ الشّعب لا يفرّق بين الخير و الشر بعقله إلاّ إذا وُجدت **ثقافة مناسبة متجدّدة باستمرار**، و هو المقصود بالتّوعية، و إذا انعدمت؛ فإنّ الشّيطان سيتدخّل لإزاحتهم عن الصّراط المستقيم، و أين العقل الذي سيكون غائباً في هذه الحالة ؟، أو بالأحرى مغيّبا بالذّنوب و المعاصي، ممّا تجعله لا يفرّق بين النّافع و الضّار.

يعبّر البعض عن الثقافة الشعبيّة بمصطلح " فولكلور "، مثلا الرّقص الفولكلوري، الغناء الفولكلوري، و يعكس هذا المصطلح وضاعة هذه الثقافة كما يعكس رفعتها، كون الشعب إذا تلقى تربية رفيعة؛ ارتفعت ثقافته و انعكست في أنشطته و سلوكاته، و العكس صحيح.

مع العلم الأكيد أنّ الثقافة الشعبيّة هي شفهيّة أكثر منها مسجّلة مقيّدة، ما يجعلها عرضة للإضافة و الإنقاص أو الاختزال و حتّى التّزوير؛ من باب انتقالها للآخرين سواء عبر المكان أو الزّمن، و أغلبها موجودة لدى كبار السنّ، بما يُعرف عنهم من سهو و نسيان، و يعكس هؤلاء تجاربهم و خبرتهم في الحياة في شيء يسمّى " الثقافة "، فلا تأخذنّك الغرابة فيما يردّدونه من أناشيد أو أراجيز **بما تحويه من أساطير و حكايات مبالغ فيها**، بل وصل الأمر حتّى إلى إدراج أخبار عن الأنبياء صلوات الله عليهم و سلامه؛ لا أساس لها من الصّحّة، و لا يدرون كيف وصل إليهم ذلك، بل لا يتساءلون حتّى عن صدق الإخراج فيما يروونه لأولادهم و لأحفادهم و لبعضهم البعض.

ما نريد قوله هنا أنّ هناك مغالطة بين المفهوم و المصطلح، حيث نعبّر عن الثقافة الشعبيّة بكونها شيء له قيمته الجوهريّة، في حين أنّها ملوّثة تلويثا خاصّا لا يجب الاعتماد عليها في إنشاء حضارة راقية.

- اختلاف الثقافات الشّعبيّة : بطبيعة الحال تختلف الثقافات الشعبيّة فيما بينها، نظراً لاختلاف عقول و نفسيّات الأفراد و الجماعات، مع أخذ منحى الحركة الثقافيّة بالحسبان أيضا ... الفعل و ردّ الفعل ... تسارع الأفكار ... نوعيّة النّزعات ... إلخ، كلّ ذلك يُحسب دون أدنى إهمال.

و من الطبيعيّ جدّا و المألوف اختلاف الناس فيما بينهم، و لو لم يكن أيّ اختلاف لكان في المسألة سرّ ما.

هل من المعقول إنشاء ثقافة شعبيّة واحدة تنعدم فيها الخصوصيّات ؟.

هل من المعقول توحيد شعوب العالم في ثقافة هم من أنشؤوها دوسا على خصوصيّة كلّ شعب ؟.

تمثّل الثقافة الشعبيّة **تعبيراً عن الشّخصيّة القاعديّة للمجتمع**، و هي الواجهة الموحّدة لهم أمام الثقافات الأخرى، كي لا يحدث بينهم صراع، و بهذا نتّجه لدراسة كيفيّة تكوين هذه الشخصيّة، فمن غير المعقول أن تتكوّن هكذا على المباشر بين ليلة و ضحاها، بل يلعب الزّمن دوراً لا يستهان به، كما أنّ هناك عوامل تتحكّم بها، من بينها عشوائيّا :

أ - وسائل الإعلام.

ب - المجتمع الرّابع.

ج - الطبيعة.

د - شخصيّة الفرد.

هـ - شخصيّة الجماعة الخاصّة.

إقحام اختلاف الثقافات الشعبيّة هنا معناه وجودها في مواضيع الإنشاد، طريقة تناول معيّنة، لغة أكاديميّة و غير أكاديميّة مقصودة.

زيادة على ذلك؛ فإنّ الجمهور المخاطب العالميّ مزيج من شتّى الثقافات الشعبيّة، و تمرير رسائل بصفة عشوائيّة أمر غير مقبول تماما.

هلاّ لاحظت اختلافات في ثقافات الشعوب ؟، أطباق الأكل مثلا، اللّباس، المساكن ... إلخ، كلّها تباينات و انعكاسات أفكار، و هو دليل في الوقت نفسه على أنّ الثقافة تستخدم العلم و لو بنسبة بسيطة.

- النّسق الثقافيّ : إنّه البناء الفكريّ المنسجم مع بعضه البعض، له غرض يؤدّيه، و هدف أنشئ من أجله، إذ تتحد الأفكار مع نظيرتها خدمة لحاجيات يُقتضى تلبيتها.

مسألة أخرى يجب تداركها؛ متانة البناء الفكريّ أو هشاشته شيء واجب تدارسه، دون تغافل، فإذا كانت الأفكار تتحكّم في غيرها؛ فهل من الحكمة تركها هكذا دون رقيب ؟.

إنّ القضيّة برمّتها تتجه إلى **فعالية النّسق الثقافيّ** في المحافظة على نفسه، و المحافظة على **إشعاعه**.

و ليس النسق الثقافيّ واحدا عند كلّ الجماعات، و لو كانت جماعة واحدة، فثقافة الأفراد تختلف من شخص لآخر، كما أنّ الجماعة الواحدة تبدو واحدة و نقول عنها كذلك نسبيّا؛ و لكن في جوهر الأمر هناك اختلافات بين أفرادها، اختلافات ضروريّة يمليها اختلاف قوى هؤلاء الأفراد، و يجب أن يختلفوا، فهم ليسوا نسخا طبق الأصل عن بعضهم البعض، و لا يجب أن يكونوا كذلك في يوم من الأيّام.

مشكلتنا نحن الإنشاديّون في الأنساق الثقافيّة؛ فإذا كان النسق يقبل الآخر بكينونته؛ فلا حرج، بل يجب أن تكون هكذا، أمّا إذا كان نسقاً منغلقا على نفسه لا يقبل الآخر، بل لا يقبل حتّى النظر إلى الآخر على كونه كياناً له نسقه الثقافيّ هو أيضا؛ فتلك نقطة غير مقبولة البتّة.

يمثّل النسق الثقافيّ تشكيلاً ذا هويّة خاصّة، حيث ينظر به الفرد إلى الوجود، فإذا غيّر أفكاره تغيّر نسقه ... تغيّرت نظرته مجدّدا إلى الوجود.

أمّا عن الجماعة فتقريباً لا يختلف الأمر كثيرا، و لكن لاحظ ما يلي :

أ - تلعب المصلحة الشّخصيّة دوراً هامّاً في النسق الثقافيّ للجماعة.

ب - تحتلّ الأحاسيس و العواطف مساحة كبيرة داخل الحراك الثقافيّ للنّسق.

ج - هناك تفاعل من أنواع كثيرة يجري داخل هذا الحراك.

و بالتالي فإنّ للأنظمة الإنشاديّة أنساقاً ثقافيّة، هذا ما نرمي الوصول إليه، و إذا كان النسق قويّا؛ نجحت الفرقة أو الجهاز في المسيرة و تحرّكت إلى الأمام **محرّكة معها كافّة الأنساق الضّعيفة**، أو الأنساق القويّة التي ترى **من مصلحتها التحرّك وفق منحى خاصّ.**

أمّا عن التصدّعات و الشروخ التي تحدث داخل الفرقة؛ فهي نتيجة غياب نسق ثقافيّ صلب، ممّا يؤدّي إلى ظهور أنساق فكريّة تحاول فرض رؤيتها على الآخرين، و تنمو عمليّة الإظهار شيئا فشيئا إلى حدّ يصل فيه الوضع إلى الانفجار.

ليس غريباً أن يسمّى ما نحن بصدد الحديث عنه " الفكر الفلسفيّ القاعديّ ".

من الأفضل أن تتأمّل التالي : مجموعة من الأفكار المشتركة القاعديّة **القائمة على العقيدة الإنشاديّة**، تجمع بين أفراد الفرقة، هذا هو تعريف الفكر الفلسفيّ القاعديّ باختصار شديد، لو سألت كلّ أفراد الفرقة الإنشاديّة واحداً بعد آخر؛ عن هدفه الذي يرمي تحقيقه؛ لوجدته هدفاً واحداً مشتركا، هذا كلام نظريّ، و الواقع شيء آخر.

لماذا الواقع شيء آخر ؟، هل تمعّنت جيّدا ؟.

لأنّ الواقع مزيج من **عدّة أنساق** ثقافيّة للأفراد و الجماعات ... باختصار شديد و تلخيص شامل.

• الأسطورة : ثقافة تركز على الخيال جهلاً أو تجاهلا، لأسباب متعدّدة مثل الاعتزاز بالماضي التليد، و عادة ما تلعب الأسطورة محرّكا نفسيّا قويّا و لو كانت **وهما**، إذ يصدّقها الشعب و يثق فيها ثقة عمياء بل يراها شيئا مقدّسا، لا رغبة في التّصديق؛ بل بما توصل إليه من مجد عبر ذكريات من البطولات الحقيقيّة، أو المبالغ فيها، التي لا أساس لها من الصّحّة.

إذن لا تعجب إذا وجدت في بعض الأناشيد قصصاً بُنيت على أساطير شعبيّة، و كن حذرا في تصديق ما جاء فيها.

ألم نقل أنّ المجتمع بأحاسيسه و عواطفه ؟، رغم أنّ الأسطورة مادّة خرافيّة؛ و لكن الانتقال بأحاسيس الجماهير إلى مرتبة عليا من النشوة العارمة هو ما يجعلها محبّبة إلى النفوس، و لا سيّما إذا كان الواقع لا يبعث على الاطمئنان، ميؤوس منه، ممّا يضاعف من درجات **الاحتماء** بالأساطير، كمنطقة ذات خمس نجوم.

و إذا كانت الأسطورة فكرة مبالغ فيها؛ علينا الإلحاح في التساؤل حول كواليس تحوّل أيّة فكرة إلى أسطورة؛ لأنّ كما هو معروف لدى الباحثين أنّ الأساطير تكون إمّا فكرة خياليّة لا أساس لها من الوجود؛ أو فكرة عاديّة تحوّلت إلى شكل من أشكال الخرافات **تحت تغذية من نوع ما**، و للأسف الشديد فإنّ كثيراً من وسائل الإعلام بما تمتلكه من احترافيّة موضوعيّة و سلطة على صناعة الثقافة؛ تحوّل الإنشاديّ إلى أسطورة و كأنّه ليس بشرا، وأمام الجمهور الذي يكون بعواطفه و أحاسيسه؛ ترتفع درجة الحبكة إلى أعلى مستوياتها.

و لو كان الإنشاديّ المرفوع إلى مقام كهذا من أصحاب الوعي فعلا؛ لما نظرنا إليه من مجال ضيّق، و لكن عادة ما يكون في بداية الطّريق دون تدريبات على ما ينتظره من مهامّ قياديّة، فيشرع في الانهيار شيئا فشيئا **تحت إعجاب الأطفال الذين تعدّوا سنّ الرّشد.**

و مع ذلك فإنّ توظيفاً جيّدا للوسائل الإعلاميّة؛ و التّنسيق بينها؛ يمكن أن ينشر ثقافة أُريد لها أن تنتشر.

لقد قدّست الشعوب القديمة ملوكها و قوّادها العسكريّين ... لقد حوّلتهم إلى أساطير، ثمّ إنّ الجماهير هي من قضت على ملوكها في أوروبّا، لمّا عرفت أنّ هذا الملك ما هو إلا بشر مثلهم، زالت هيبته من النفوس، فتجاسر الرّعاع على دكّ خطوطه الدّفاعيّة التي كان يحمي بها نفسه منهم، و لو أنّه بالغ في الحماية.

ألا تخشَ أن تُمحق أسطورتك حين يزول كلّ مهاب في أعين الأطفال الذين تعدّوا سنّ الرشد ؟.

إنّ المبالغة في رفعك إلى الأعلى حتّى صرت ملكاً من ملوك أوروبّا هو ما سيهوي بك إلى القاع، و يا له من قاع، فتبرّأ من ثقافة قاتلة، و لربّما قتلت آخرين معك.

02 - المقاومة و الاستسلام :

أمام تحدّيات كثيرة أبرزها الغزو الثقافيّ في شتّى صوره؛ السّلميّ الهادئ أو الثوريّ الاكتساحيّ؛ فإنّ ما يمكن ملاحظته لا يكون خارجاً عن مقاومة أو استسلام، أي مقاومة ثقافات أخرى تهدّد الثقافة المحليّة، أو الاستسلام التّام لها، في إطار صراع الثّقافات، تكون الغلبة فيه لباسط ثقافته؛ فارضها على الآخرين.

ستأخذ القضيّة الآن منعرجاً آخر؛ فإذا كان الاستسلام دليل خنوع و ذلّ؛ فهل يمكن أن تكون المقاومة دائماً برهان قوّة و اعتزاز ؟.

كلاّ ... يجب أن نعرف قبل ذلك ماذا نقاوم و لمَ سنستسلم ؟.

نقاوم ما يضرّ ثقافتنا الأصيلة المنطلقة على قاعدة دينيّة فقط، و نستسلم لكلّ ما يعزّز هذه الثقافة التي هي ثقافتنا، فلا نقاوم ما يهدينا إلى الصّواب، و لا نستسلم لما يغرقنا في القذارات.

و لكن ما موقع الثقافة الإنشاديّة من الإعراب ؟، هل نستسلم لأفكار إنشاديّة أخرى مثلا ؟.

لنكن واقعيّين تبحث عقولنا عن الحقيقة؛ **الدّين كامل و العلم ناقص**، و عليه؛ فإنّ تعلّمنا يقتضي البحث عن المعارف المختلفة، نبحث عن الحكمة، و قد نجدها في أنساق ثقافيّة أخرى، و لكنّنا لا نبحث عن الدّين لأنّه لدينا و الحمد لله على ذلك، فلتعرف ما تأخذ و ما تترك.

● أثر الموروث على تقبّل الجديد : و كما تكون المقاومة و الاستسلام لثقافة خارجيّة آتية من خارج محيط الشّعب؛ فقد تكون عن جزم نتيجة ثقافة قادمة من الدّاخل، تحمل مميّزات بديلة، تُرى بوضوح في مفهوم " صراع الأجيال "، الذي هو ثقافيّ بالدّرجة العظمى، حيث ينظر الجيل الجديد إلى نظيره القديم **من موضع يبعث على الاختلاف عنه**، في حين يتشبّث الجيل القديم بموروثاته رافضاً تغييرها أو حتّى النظر فيها، لما تلقنوه من تربية في هذا الصّدد.

من هذا يتّضح بصفة قطعيّة إنكار بعض المنشدين القدامى ما يرد من مواضيع حديثة في الإنشاد المعاصر، معذورين و حقّ لهم ما يتّخذونه عذرا، لأنّهم تربّوا على أفكار داوموا عليها؛ وضعوا أنفسهم من خلالها في زجاجة مختومة ثقافيّا بسبب :

أ - الخوف من الجديد لأنّه مفردة تعني المجهول الذي يتطلّب اكتشافه الكثير من التضحيات.

ب - اللا شعور المتحكّم في كثير من الأفعال، تغلب عليه سمة السلبيّة هنا؛ كونه يركن إلى السّكون الذي يعني له **الأمن**.

ب - العادة؛ و من مارس فعلاً و داوم عليه اكتسبه.

إنّ الثقافة التي أغلقت على أصحابها كافة أبواب التطوّر لا يمكن أن تنتظر منها أيّ خير، و إنّ الأفكار المتوارثة إن أردنا أن تكون فعّالة؛ علينا أن **نطعّمها بأفكار** تقبل التطوير الذاتيّ.

كان يجب عليك أن تتساءل عن السّبب الرئيس الذي يجعل من الشيخ لا يقبل أفكار الشّاب ... إلاّ قليلا.

● استدعاء من أقبية التاريخ : يمكن اختيار أفكار معيّنة من أرشيف الحضارة البشريّة و إعادة ترويجها بين الناس مجدّدا حسب المراد منها، و كثيرا ما يُلجأ إلى هذه الطريقة، فالديمقراطيّة التي ينادى بها ليست من إبداع مفكّري العصر الحاليّ إطلاقا، بل هي من المخزون المعرفيّ اليونانيّ.

هو التناسخ الفكريّ الذي يعدّ سلاحاً ذا حدّين، إمّا أن نعيد التّرويج لأفكار سلبيّة أو لأفكار إيجابية، مع تحيينها لتتلائم مع العصر الجديد المطروحة فيه.

هل تعتقد أنّ مواضيع الإنشاد جديدة كليّة ؟.

الدّعوة إلى عبادة الله وحده موجودة منذ العصور القديمة، منذ سيّدنا آدم عليه السّلام، و الأخلاق السمحة معروفة منذ القدم، إذن ... هل يمكن اعتبار أنّ الإنشاد حالة مستنسخة من الثقافة الإنسانية ؟، الثقافة التي أنشئت أغلب الفنون الغنائيّة ؟.

يسمح الاستدعاء الثقافيّ بتربية الناشئة **وفق اتّجاه مرسوم**، ليس هذا فحسب؛ بل **يساهم فيه هؤلاء عمليّا**، و لمَ القلق ما دامت المساحة التي ينشط فيها الجيل محاطة بسياج خاصّ لا يستطيع أحد تسلّقه أو حتّى الاقتراب منه.

طبعاً هناك قصد من استعمال كلمة " سياج "، فالاتجاه الذي نعنيه إمّا للخير أو للشرّ، و السّياج يتبع القيمة الأخلاقيّة المقصودة، فهل يُعقل أن نصنع سياجاً جهنميّا لثقافة تنشر الخير ؟.

و العكس صحيح ... لا تنتظر حدوداً ناعمة تحمي الشرّ، لا تنتظر أن يحمي الحقّ الباطل.

03 - بناء حضارة :

هي الثقافة في مفهومها المعقّد، لقد تعرّضنا سابقا للثقافة كنسيج فكريّ و لا فكريّ، مؤلّف من أنشطة إنسانيّة مختلفة، و ها نحن الآن نتجاوز ذلك إلى شيء آخر يتبع ما ذُكر سابقا، ألا و هو " الحضارة "، فهل كلّ ثقافة تشكّل حضارة ؟، أم يمكن لثقافة ما أن تنهار قبل أن تشكّل حضارة ؟.

" الحضارة " مصطلح يُطلق على الإشعاع الثقافيّ الخاصّ **بالجماعة** فقط، تشمل مظاهر كاللّغة و البناء و اللّباس، و ربّما يتصادم هذا مع غيره من الإشعاعات الثقافيّة؛ فيتشكّل **صراع الحضارات**، و هو مسألة ثابتة حقيقيّة إذا كانت الثقافات غير متفتّحة، تحمل بذور نظرة عدائيّة للآخر، أو تلغي هذا الآخر مهما كان، و مهما كانت أفكاره، فهي حضارة عنصريّة **لا تريد الاعتراف بأيّ شخص خارج محيطها، حتّى و لو نادى بالحقيقة أو بجزء منها.**

إذن صراع الحضارات هو صراع الثقافات؛ هو صدامات أيديولوجيّة مهما كان الغطاء الذي ترتديه، و إنّ أيّة حركة أو مشهد؛ إلاّ و له معنى يُدرك لدى الفرد و الجماعة، و ينشأ صراع الثقافات مبدئيّا عند حدوث سوء فهم للحركة أو للمشهد.

لاحظ جيّدا ما المقصود هنا بالحركة أو بالمشهد، و من هم الذين يسيؤون فهمه ؟.

إنّها مظاهر الثقافة ببساطة شديدة، و المعنى هو ما يقرؤه الآخرون في هذه المظاهر الثقافيّة، هو ما يقرؤونه في اللّغة و الأكل و اللّباس ... ؛ و أنت داعية تدعو الناس إلى الله بالفنّ، فهلاّ اطلعت على الأقلّ على هذا الفنّ كمظهر من مظاهر الثقافة ؟، أم تسير في العالم على غير هدى ؟.

و العالم حضارات ... **التي لم يؤسّسها الرّعاع** و رغم ذلك اخشَ على نفسك أن تُفهم بسوء، و أنت تخاطب بسطاء الناس و رجال الشارع؛ و إن صفقوا لك طويلا.

هذا إن افترضنا حسن النيّة؛ و اعتبرنا أنّ الكيانات الثقافيّة التي تتصارع مع بعضها البعض و لو خفية و بطرق غير بيّنة؛ تفتقر إلى الفهم السّليم للآخر.

»»» ما جوهر العلاقة بين الحضارة و الثقافة ؟ :

هل لك عقل تنظر به إلى اعتبار أنّ كلّ حضارة هي ثقافة، و ليست كلّ ثقافة حضارة ؟.

و عليه ... فإنّ الزّمن عامل استراتيجيّ في تحويل مجموعة الأفكار التي هي مزيج من المعارف الثلاثة من أفكار مؤقتة إن صحّ التعبير؛ إلى أفكار ثابتة يتبنّاها الآخرون أوّلا؛ ثمّ يطوّرونها ثانيا؛ و ينشرون ما تحصّلوا عليه ثالثا.

يمتدّ مفهوم " التحضّر " الآن إلى " التثاقف " الذي قلنا عنه سابقا : أنه **سيرورة المبادلات المعلوماتيّة بين الأفراد و الجماعات**، الأخذ و العطاء، و هي عمليّة جدّ مثمرة، كونها مضادّة للانغلاق الثقافيّ، و بالتّالي مصل مضادّ للرّكود المعرفيّ الخاص بكينونة الآخر.

ألا ترَ في هذا تداخلاً بين الحضارة و الثقافة ؟، هناك شيء لا يبدو واضحاً في الصّورة، أ ليس كذلك ؟.

انغلقت حضارات عبر التاريخ على نفسها غلقا ماديّا أو معنويّا، أي انغلقت ثقافيّا و مع هذا فهي حضارة، فأين الإشكاليّة ؟.

تتحقق الخطوة الأولى (تبني الأفكار)، و تتحقّق الخطوة الثانية (التطوير)، و لكن عند تطبيق الخطوة الثالثة يتحطّم كل شيء، و هذا ما حدث لكلّ الحضارات السابقة التي ألغت وجود الآخر، ألغت سيرورة المبادلات المعلوماتيّة منها إلى الآخر و من الآخر إليها، و دائما عبر الزّمن.

ألا يعني هذا الكلام أنّها كانت تعولم بدل أن تعالم ؟، كينونة الآخر لا توجد في قاموسها الثقافيّ، في حين أن هذا الآخر الذي تلغيه **يصدر إشعاعاً فكريّا ثقافيّا في الوجود**، و عليه فإنّ معظم الأنبياء أتوا إلى أقوامهم **من** أقوامهم.

• حضارة الأنبياء : ربّما يعتبر البعض أنّ مصطلحاً كهذا غريب بصفة ما، لدرجة ما، و لكن إذا تمّ تفسيره؛ زال الغموض، ذلك لأنّ الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين؛ لا نفرّق بينهم تفرقة تبليغ و إرشاد، كلّ و زمنه، كلّ و ظروفه، كلّ و شخصيّته، دعوتهم واحدة قائمة على عمود التّوحيد، أفكارهم مختلفة قليلا لكن يتّحدون جميعاً في مجموعة من المبادئ، بها ينظرون إلى الحياة الدّنيا و الآخرة، و بالتالي نجزم أنّ ثقافاتهم هي في الواقع و الأصل ثقافة واحدة مأخوذة من المعرفة العليا، و هم وسائل الاتصال بين الله (الرّوح العظمى) و الناس.

لقد أتوا بأفكار منشؤها الوحي، لهداية البشر إلى خير السّبل، و حتّى أبونا الأوّل آدم عليه السّلام هو نبيّ يوحى إليه، أي أنّ حضارة الإنسانيّة منذ بدء الخليقة **حضارة أقامها نبيّ**، ثمّ تنوسيت تلك الثقافة، و أتت ثقافة أخرى ثمّ أخرى و ثقافات شركيّة أو إلحاديّة، **بتدبير من الشيطان**، و بين الفترة و الأخرى يرسل الله من يعيد بعث حضارته من جديد، لأمم معيّنة ضلّت بذاتها كعاد و ثمود؛ أو نشراً عالميّا كرسالة رسولنا محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم.

نحن الإنشاديّون **نعيد استنساخ** حضارة الأنبياء في ثوب فنيّ، هذا كلّ ما في الأمر.

• شروخ و تصدّع و انهيار : و كما تبنى حضارة بعوامل ترفع من قيمة ثقافتها في نظر الآخرين؛ فإنّها سرعان ما تنهار أو تكون في طريقها للانهيار مثل :

أ - اختلال التوازن بين الفرد و الجماعة بحيث يغالى في إعطاء قيمة لأحدهما على حساب الثاني.

ب - الابتعاد عن القوّة المطلقة. (الله)

ج - التطرّف و الشّوفينيّة.

و حينما تنهار حضارة أو توشك على الانهيار؛ فإنّ هناك أفكاراً **تستعدّ لتصبح حضارة**؛ بحيث تستغل الحضارة المنهارة في إعلاء كلّ شؤونها، ثمّ هي و ما تعلّمته من التاريخ.

هل تحلم أنّ أفكاراً إنشاديّة ما يمكن أن تتحوّل إلى حضارة تعيد لهذا الدّين مجده المفقود ؟، يجب أن يكون لديك أمل، لأنّ المسائل تجري على هذا المنوال في الوجود، و ما هو المانع يا سيّدي لو عرفت كيف تضع نفسك على العرش أوّلا ؟؛ ثمّ تقوم بتثبيت ما يجب تثبيته ثانيا ؟، **و كلّ شيء بالثقافة.**

إنّ ظهور شروخ و تصدّعات في الحضارة؛ معناه استسلامها للقوى المناوئة، و من يدري ؟، فلربّما هي جهود مستمرّة لضربها، حتى كللت في النهاية بالنجاح، لأنّها كانت قويّة بعوامل معيّنة، ثمّ ما لبثت أن سقطت خطوطها الدّفاعيّة.

04 - القيادة الثقافيّة :

تتمثل القيادة الثقافيّة في غلبة ثقافة على أخرى، ممّا يستدعي انزياح المغلوبة نحو الغالبة، وجوباً لأنّ الأفكار تملأ كلّ الوجود، **فلا وجود للفراغ الفكريّ**، و لعلّ العولمة تصبّ في قالب كهذا، إذ تمثّل القيم الأعلى بغضّ النظر عن القيمة الأخلاقيّة، ممّا يجعل الثقافات الأخرى تدور في فلكها دون أن تخرج عنه، و لو حتّى محاولة.

تتحكّم الأفكار في كلّ شيء في حياتنا، في المنزل في الدّراسة في العمل، في المسجد ... ، و بالتّالي فإنّ تنظيماً ما للقضايا و المسائل سرعان ما يطفو على السّطح، هو النّظرة و الرّؤية نحو كلّ شيء في الوجود؛ بما في ذلك من الفرد لنفسه، تكون مزيجاً من الأحاسيس و العواطف و الإدراكات العقليّة.

و لا تكون هناك قيادة ثقافيّة إلاّ إذا حدث تعميم ثقافيّ على حساب ثقافات ضعيفة بطبيعتها، أو **قويّة تخلّى عنها أصحابها.**

لنشرح أكثر؛ حتى تكون لدينا قيادة ثقافيّة؛ يجب توفّر مجموعة من الثقافات تتفاوت درجة القوى لديها، و بالتالي فإنّ الثقافة القويّة ستجذب معها الثقافات الأخرى، أمّا عن كيفيّة اختلاف القوى؛ فذلك راجع إلى عدّة عوامل منها :

أ - التفوّق المادّي من اكتشافات علميّة و اختراعات مختلفة تسهّل الحياة اليوميّة للناس.

ب - القوّة الاقتصاديّة التي تكفل العيش المحترم الكريم لكلّ فرد، أو على الأقلّ نسبة فقر ضئيلة جدّا.

تأثير ثقافة قويّة عليك لا يعني في كافّة الأحوال أنّ قوّتها ستنتقل إليك، بل قد تبقى ضعيفاً تتحرّك في مكانك دون أدنى تقدّم، تُستعبد روحك و نفسك مثلما تقيّد الأغلال جسدك و أنت لا تشعر بشيء، بل قد تجعلك هذه الثقافة تدافع عنها لمصلحتك رغم أنّك في الحقيقة لا مصلحة لك في العبوديّة.

لن يستشيرك القائد في أيّ شيء، فأنت تنفّذ الأوامر الصّادرة إليك بكلّ محبّة و سرور.

»»» من يقود من ؟ :

سؤال جوهريّ، فمن الضروريّ أن نتولاّه بالإجابة، فإذا كانت القيادة الثقافيّة أمراً واقعا؛ فهل لنا أن نرفع انشغالا فحواه **ما هويّة القائد الثقافيّ الحقيقيّ الذي يجب أن يتولّى منصبه عن جدارة ؟**، نظراً لمجموعة عناصر الوعي من جهة؛ و الجوهر الثقافيّ من جهة ثانية؛ و الأطر الثقافيّة من جهة ثالثة، و خاصّة تحت مظلّة ما قيل سابقاً، فلا عبوديّة إلاّ لله، و عليه فالقوّة الثقافيّة يجب أن تعمّ كلّ العالم، و تشمل كلّ الأفراد و الجماعات، و كأنّها تيّار واحد كبير يسري في جسم المعمورة.

القيادة هي توجيه الآخرين إلى هدف أسمى، و هي هنا من حقّ الإنشاديّين الذين يتمتّعون بوعي مفقود عند غيرهم، و لنكن حذرين مع ذلك لأقصى درجة؛ فقد يتوفّر وعي عند جنود دعوة فنيّة أخرى غير الإنشاد، فالحقّ حقّ و هو أولى أن يتبع، و الحكمة ضالّة المؤمن.

و لا يُفهم من القيادة أنّها تربّع على كرسيّ العرش مع إعطاء أوامر بالإشارات، هي التموقع في الأمام، رفقة دعاة آخرين **يُعمل معهم بالتّوازي و التّنسيق**، و إذا كانت الثقافة هي المتحكّمة بالعقل الإنسانيّ ماديّا و معنويّا حيث تختفي أفكار أُريد لها أن تختفي، و تتعزّز الأفعال شيئا فشيئا لتصبح عادات و تقاليد؛ لن يسأل عنها أحد في الجماعة إن كانت صحيحة أم خاطئة، اللّهمّ إلاّ إذا فُعّلت المعرفة المرسلة، و نمت أفكار مناقضة لتعيد المياه إلى مجاريها، و هنا فقط تتوفّر قيادة ثقافيّة من جديد، لتقود الجموع المخطئة إلى الصّواب، بيد أنّ الجلوس على العرش يكون من باب الاختصاص لا أقلّ من ذلك و لا أكثر.

القيادة الثقافيّة هي **استغلال العناصر المجنّدة ثقافيّا** لتعميم ثقافتها، مع إعطائها أضواء الإبهار كاعتماد رسميّ.

• ثقافة الوافدين من فنون غنائيّة أخرى : باب التوبة مفتوح للجميع، و مثلما نفرح ببعضنا البعض؛ نبتهج بهؤلاء القادمين من فنون غنائيّة أخرى، كأفراد بيننا في العائلة الإنشاديّة، هؤلاء الذين سئموا النأي عن الواحد، و أقبلوا على الدّعوة الفنيّة، **بكلّ ما يملكون من خبرات يضيفونها للزّاد المعرفيّ الخيّر، ...** مواهب كانت مستغلّة في السّبيل المنحرف؛ فلمّا تاب الله عليهم؛ صار لزاماً استغلالها في السّبيل القويم، صراط الله الهادي لكلّ خير.

و لكن هناك أمر في غاية الأهميّة؛ هل يملك هؤلاء الوافدون الجدد ثقافة مناسبة جديدة ينشرونها بين جمهورهم القديم أوّلا ؟، ثمّ يتقاطعون معنا في شريحة جماهيريّة ما ؟، هل يصلح هؤلاء لتولّي القيادة الفنيّة ؟، هل الدّخول هكذا مباشرة إلينا من باب الرّجوع إلى الله يكفي لنقول أنّهم واعون بما يفعلونه و ما سيفعلونه ؟؟.

أسئلة استراتيجيّة، و لو أنّ الكثير من الإنشاديّين يهملون الإجابة عنها، أو ربّما لا ينتبهون إلى التّغيّر الثّقافيّ الطّارئ المحدث لحالة الطّوارئ.

ألا يُستحسن الجلوس إليهم فنعلّمهم أمور الدّعوة ؟، لقد كانوا يمارسون فنّا غنائيّا ما للدّنيا، فأضحوا ينظرون إلى الآخرة شغلهم الشّاغل، و لن تكفي هذه النّظرة العامّة؛ و بالتّالي فإنّه يتعيّن تثقيفهم بما يجب أن يعلموه، لا يجب تركهم هكذا دون العناية بهم، سيتحوّلون إلى عناصر خطيرة على الدّعوة الفنيّة بما يحملونه من أفكار مأخوذة من ماضيهم، صحيح أنّهم رجعوا إلى الله، و لكن هذا كفكرة إجماليّة؛ و ما نخشاه هو **تحرّكاتهم بنوايا طيّبة ... و من الطّيبة ما قتل.**

لنستدرك شيئا آخر قد لا يخطر على بالك؛ ما العمل مع من يقدّمون أعمالاً إنشاديّة و ليسوا من العائلة ؟، إذ ليس من المعقول أنّ كلّ من ينشد عن الله و رسوله الكريم صلّى الله عليه و آله و سلّم نعتبره منّا ؟!، هناك فنّانون من مجالات أخرى يقدّمون أعمالاً هي في الواقع ليست من الإنشاد نظراً لاستعمال آلات العزف الموسيقيّة فيها، و عادة ما يكون هذا في رمضان، ثمّ يعودون لما كانوا عليه، لا ثقافة لديهم مثل ثقافتنا، لا أفكار لديهم مثل أفكارنا، و لو فرضنا أنّهم يحترمون الخطوط الحمراء؛ ما العمل معهم ؟.

من المفروض أنّك تعلم جيّدا أين ستقف.

• الثّغرة الثقافيّة : كثيرا ما تأخذ التّائبين الرّغبة العارمة في اتّباع نهج إنشاديّ عالميّ كردّ فعل قويّ على ما يحدث لهم ثقافيّا، نتحدّث هنا عن الإنشاديّين الجدد القادمين من فنون غنائيّة أخرى ضارّة لا تجوز ممارستها، فينجذبون للعائلة الإنشاديّة بشكل متسارع، و من ثمّة يعيدون صياغة أفكارهم تبعاً للثقافة الجديدة التي من المفروض الاندماج فيها، حيث نلاحظ اعتزالهم الجمهور القديم، لمجرّد انتقالهم إلى ثقافة جديدة لا يقبلها هؤلاء، لأنّهم ألفوا شيئا ثمّ **فجأة توقفت عنهم التغذية الثّقافيّة التي ألفوها**، فهل هذا من العقل و الحكمة ؟.

بالطّبع فإنّ الجمهور القديم **يقدّس** فنّانه بدرجات متباعدة، و على الإنشاديّ التائب أن يستغلّ هذا التّقديس، كأن يعمل على إنتاج أناشيد تشبه إلى حدّ بعيد ما كان يمارسه من فنّ غنائيّ، **و هذا للإبقاء على الجاذبيّة**، فلو غادر كل شيء بسمة جزافيّة لخسر جمهوره القديم، و في الحقيقة هم من خسروه، و لكنّه يفتقر إلى تقنيّات استغلال الثغرة الثقافيّة التي وجد نفسه موضوعاً عليها كأمين و رسول.

و لا داعي للتذكير بما يجب الحفاظ عليه.

هذه الخطوة الاستراتيجيّة أفضل بآلاف المرّات من أن نخصّص منشداً يخرج من عندنا غير عارف بالجمهور الذي سيخاطبه، و الأدهى و الأمرّ أنّهم لا يعرفونه، فكيف ستمرّ الرّسالة من شخص غريب و كيف سيتمّ قبولها ؟.

... و أهل مكّة أدرى بشعابها.

05 - حتميّة التقدّم :

نعم فالتقدم حتميّة مفروضة على الجميع، ليس ضرورة كما يتصوّره البعض؛ و لا يعتبرنّ أحد أنّ **التوقف جوهره التوقف**؛ بل هو التّخلّف ... فأنت تتحرّك إلى الأمام أو إلى الوراء، إمّا تصعد أو تنزل؛ إمّا الرّبح أو الخسارة.

و عليه فالاتجاه و المستوى محدّد بنوعيّة الثقافة المتبنّاة، و آلات الهدم غير آلات البناء ... تذكّر هذا دائماً، فمشاكلنا من استعمال ما هو مصمّم لوظيفة ما بصفة عامّة.

إنّ التقدم المقصود هو تقدّم ثقافيّ على جميع الأصعدة و الأجنحة، كي لا ينشأ اختلال في الجماعة العالميّة، نظير تقدّم جهة عن جهة، فهذا من شأنه أن يبعث على نموّ قوى غير متجانسة مع بعضها البعض، أي أنّ عمليّة التحرّك التطوّري عمليّة شاملة لكلّ ما يجب أن يشمله التّطوّر، فلا تطوّر صناعيّ يهمل الزراعة، و لا تطوّر تكنولوجيّ يهمل الأخلاق.

و التقدّم لا يكون سوى في الأشياء الماديّة فقط، أي أنّ الأخلاق و العبادات ثابتة بجوهرها، لا يمكن أن تتقدّم لأنّها وصلت إلى نهاية أرادها الله عز و جل، و أيّ تقدّم مزعوم لها انتكاسة حقيقيّة.

إنّ التّقدّم المعروف بمصطلح " الموضة " هو جري بائس عابث وراء الدّنيا و تفاهاتها، موضة اليوم ستكون قديمة غدا مضحكة، و العكس صحيح، ألا ترَ أنّ هناك موضات ترجع للظّهور مجدّدا ؟، فهي كالقمر يظهر و يختفي، ثمّ يظهر مجدّدا ليختفي و هكذا دواليك.

إنّ الأخذ بمظاهر معيّنة فقط دون النظر إلى ما تحت السّطح برؤية نقديّة جيّدة؛ يفرغ المسائل من محتوياتها الجوهريّة، و عبثا ما يُرام للقضيّة من ترقية و تطوير، **فالأشكال لا تغني عن الأجسام.**

»»» ما الفرق بين العولمة و العالميّة ؟ :

بون كبير جدّا ذلك الذي ينمّط العلاقة بين العولمة و العالميّة، و ليست العالميّة كالكونيّة كما يردّده البعض غافلين، حيث العالم هو الكرة الأرضيّة بما تحويه، أمّا الكون فهو كلّ شيء خارج العالم بما في ذلك هذا الأخير، و بناء عليه؛ فمشكلتنا هي رفع الالتباس الواقع عن العولمة و العالميّة فقط، أمّا الكونيّة فشيء آخر لا ننظر إليه الآن.

يقع الفرق الجوهريّ بين العولمة و العالميّة في نقطتين هامّتين :

أ - تعترف العالميّة بالخصائص غير المشتركة بين الشعوب و القبائل، إذ تحترم تقاليدها و عاداتها شريطة أن تكون غير مخرجة من الإسلام، فإذا كان فيها حرج؛ وجب تغييرها إذ تصبح ضارّة بالفرد و جماعته.

ب - لا تحتاج العالميّة إلى أن تعولم لأنّها خطاب موجّه لكلّ الناس، و بطبيعة الحال فإنّ كلّ هؤلاء لديهم ميزات تجمعهم و إن اختلفوا، ميزات موجودة عندهم بالفطرة لا تحتاج إلاّ إلى تنمية مستدامة، و توجيه في القنوات السّليمة.

و لكن يجب أن نقول أنّ العلم مثلاً مؤهّل لأن يعولم، فهو ليس موجوداً لدى البشر، و لا يجوز كتمه عمّن يريده بنيّة طيّبة، و الإسلام عالميّ كذلك.

إذن ليس صحيحا ما يُزعم؛ عن حصر المجال كله بين العولمة و العالميّة في بسط النفوذ و السيطرة، بل إنّ حقيقة الصّراع لم تكن لتظهر لولا ظهور الثّقافة التي تريد الانتشار في العالم تحت ضغط الأفكار التي تنظّم كل شيء، و العلم أداة تنظيم مثلى لأنّه مفتاح الوجود، و إذا عرفت أنّ الأفكار عالم يسبق عوالم أخرى؛ فهل من الحكمة ترك الأمور تسير هكذا دون رقيب ؟.

لا نعتقد كإنشاديّين أنّ العولمة وليدة انتهاء الحرب الباردة، بل كان مخطّطا لها منذ قرون، و لكن لم تكن لتنجح لعدم توفّر الظّروف الملائمة آنذاك، فقسّمت الشّعوب و ظهرت القوميّة، و اللّغات المعروفة الآن، و بذلك تهيّأت الأسباب.

و كأنّنا نودّ قول ما يلي : كان من الضّروريّ **ترويج ثقافة خاطئة تمّت عولمتها عبر عقود؛** من أجل إطلاق صرخات نداء جديدة تدعو إلى إلغاء كلّ ما رُوّج سابقا، مع استعمال جانب من العلم مساعد على تحقيق الهدف المطلوب، فهل ما زلت تعتقد أنّ العولمة من نتائج سقوط عرّاب المعسكر الشيوعيّ ؟، في حين أنّ العالميّة أقدم منها، يرجع تاريخها إلى الأنبياء.

• الخصوصيّات الثقافيّة : يُقصد بالخصوصيّات الثقافيّة الأنساق الثقافيّة **الخاصّة** المختلفة فيما بينها، اختلافا وضعه الله في الطّبيعة، و ما هذه الأنساق سوى أفكار خاصّة مبنيّة على العمر مثل ثقافة الطّفل، أو على الجنس مثل ثقافة المرأة، على سبيل النموذج، **بناء على الاستعدادات الموجودة لدى هذه الأنساق.**

إنّ انعدام نسق ثقافيّ خاصّ معناه سيطرة باقي الأنساق الثقافيّة على هذه المساحة ممّا ينذر بخطر وشيك، كون أنّ النسق الثقافيّ الخاص المفقود يوفّر تربية مناسبة جدّا لا توفّرها باقي الأنساق، ضامناً إشباع حاجيات مهمّة تقتضيها الخصوصيّة، فلو غابت أناشيد الأطفال لغمرت باقي الحقول هذه الفئة العمريّة، مغيّبة بعض المواضيع التي لا تعالجها بطبيعتها، أو تعالجها بطبيعة مختلفة غير مناسبة للأطفال.

" إنّ التفاعل الإيجابيّ الذي هو جوهر الاتّصال بين مختلف الثقافات تفاعل مقام على أساس احترام أفكار الآخر **دون أن يؤدّي ذلك إلى فقدان الهويّة،** فهي شخصيّة قاعديّة إذا ذابت ذابت الكينونة، و بالتالي لم يعد هناك حديث ذو معنىً عن ثقافات **تسعى لنزعة التثقيف متمتّعة بها،** كونها تجسّد قوّتها حيث التعرّف على الآخر هو بمثابة اكتشاف نقاط الضّعف و القوة لديه، بل نصبح أمام هيكل واحد لا يرى سوى نفسه في المرآة ".

هل تعلم أنّ العولمة تقضي حتّى على الخصوصيّات الثقافيّة الخاصّة ؟.

ثابتة هي لا يمكن إلغاؤها، فلو تغاضينا عن فوضى الأنساق الثقافيّة، و أدرجنا كلّ ذلك في خطاب يتّسم بالشموليّة قدر المستطاع؛ فإنّ تربية هذه الفئات تقتضي عمقاً كبيراً لا يمكن أن يصله الخطاب الشموليّ، و عليه؛ فاحترافيّة الإنشاديّ تبقى عملة نادرة تثبت جدارتها هنا، و لا تنس أنّ **الاحترافيّة تقوم على العلم.**

• الثقافة الإلكترونيّة : هل ترَ أنّه كان من اللاّزم استعمال مصطلح " الثقافة الإفتراضيّة " ؟، أو نقول " الثقافة الإفتراضيّة الإلكترونيّة "، قضاء على كلّ سوء فهم، في حين أنّ المفهوم واحد لا نختلف عليه.

ما يُقصد هو ثقافة الإنترنيت، أو بعبارة أكثر دقة؛ المجتمعات المقامة على بيئة افتراضيّة لا أساس لها في أرض الميدان الواقعيّ، فهي في بيئة خياليّة حقيقيّة في الوقت ذاته.

أما سمعت عن " المجتمعات الإلكترونيّة " ؟، مجتمع أفنان الإلكترونيّ على سبيل المثال، فإذا كنت قد التقيت بهذا المصطلح فحلّل ما يعنيه، و افهم أبعاده جيّدا.

هذه ثقافة لها أولويّة كبرى في مرحلة حسّاسة من تاريخنا هذا، حيث أصبحت الإنترنيت قبلة الجيل الجديد لما تقدّمه من مساحات و هوامش فسيحة للتبادل المعلوماتيّ، و هي التي **ستشكّل عقليّة الجيل القادم و الأجيال المتعاقبة.**

أنشئت الإنترنيت قصد **إقامة دولة عالميّة واحدة** لا وجود فيها للحدود و العملات و الرّسوم الجمركيّة، بتربية النشء على التقارب العاطفيّ شيئا فشيئا، و إذا ألفت الشّعوب بعضها بعضا؛ تآلفت، فطالبت **بكلّ قواها** إزالة كلّ ما يعيق تواصلها في أرض الميدان، و لا تستغرب؛ و لا تضع مبادئ لك عقبات لذلك كالسّيادة و حبّ الوطن و الأعراف القبليّة و ما شابه، تأكّد أن ذلك سوف يتلاشى و ينقشع مثل الضّباب، بمجرّد ترسيخ الثقافة الجديدة، فالتربية أداة مخيفة في أيادي من يعرف كيفيّة توجيهها، و هؤلاء الذين يفاخرون بأوطانهم و حبّهم لبلدانهم؛ سيختفون و ستختفي أفكارهم، ليحلّ محلّهم جيل جديد لا يعترف بالقيود مهما كانت، فاخشَ لو نُظر إلى الدّين كقيد تُرى ضرورة إزالته.

مطالبة هؤلاء بإزالة الحدود و سحق كافّة أشكال التفرقة بين الشّعوب معناه شيء واحد؛ لديهم ثقافة عالميّة استقوها من العالم الافتراضيّ فصارت أفكارهم تختلف جذريّا عن سابقيهم الذين نشؤوا على حبّ الوطن و ما يقتضيه هذا الحبّ.

ألا تلاحظ شيئا خاصّا ؟ : **من أجل تغيير العالم الواقعي؛ تمّ إنشاء عالم افتراضيّ تروّج فيه ثقافة ما لتقضي على الثقافة الموجودة في العالم الأوّل.**

»»» كيف نوفّق بين العولمة و العالميّة حينما يتعلّق الأمر بخطاب ثقافيّ ما ؟ :

هناك علاقة وطيدة بين العولمة و منظّمات المجتمع المدنيّ، بما فيها من إعلاء مبادئ الدّيمقراطيّة، و إثارة حقوق لا نتحدّث عنها بالضّجّة الإعلاميّة التي هي عليها الآن، نظراً لكونها حقوقاً مشروعة لدى جميع مستحقّيها كحقوق المرأة و قضايا البيئة و حقوق الطّفل، و الجمعيّات غير الحكوميّة و الشّركات الخاصّة التي تنمو باطّراد عظيم، أي أنّ العولمة جعلت الجميع يتسابق من أجل الظفر بأرباح مختلفة على شتّى المستويات و الأصعدة، و ثار الغبار في كلّ مكان، ممّا جعل الفرد لا يفرّق بين ما هو أوّلا و ما هو ثانيا، و أيّ خطاب لأيّة جماعة كانت؛ أضحى مجرّد كلمات جرداء مضافة إلى الجوّ المشحون المكهرب، أين تداخلت المعلومات و تشابكت المصالح، و كأنّ هناك من يثير الجميع عمدا لهدف في نفس يعقوب.

يقول أحد الإنشاديّين : " ... **لعلّ انتشار وسائل الإعلام بالشّكل الذي هي عليه الآن؛ ما هو سوى خطّة لتربية النشء الجديد على إحساس التّقارب فيما بينهم، كتمهيد نفسيّ يجعلهم يطالبون بدولة عالميّة واحدة**، يُلغى فيها الجيش إذ لا خطر خارجيّ **حقيقيّ** سيهدّد سلامتها، مع الحفاظ على أجهزة الأمن الأخرى التي تخدم الوضع العالميّ الجديد آنذاك ".

هي مشكلة حقيقيّة لا شكّ في ذلك، فالعولمة و العالميّة مفهومان لحقيقتين تختلف عن بعضهما البعض، و لا يكون الاختلاف عبارة عن قسطين معلومين جامدين، إنّما هي **متعلّقات** تسير في نمط ما **بالتوازي**.

و نجد أنفسنا مضطرّين كما هي العادة إلى الحديث عن المرجعيّة التي يجب أن نقف عندها أوّلا، و نأخذها معنا أينما ذهبنا ثانيا، قصد الحفاظ على **خطّ رفيع هو كلّ شيء في التفرقة بين العولمة و العالميّة**، بين أن نرفض كلّ ما يعترض طريقنا جزافا؛ و بين أن نقبل كلّ ما يتساقط علينا من أفكار و لواحقها، شريطة انسجامه مع الفطرة التي فطر الله عليها عباده.

هل أتاك أنّ مستقبل الخطاب هو **كائن حيّ** له عواطفه و أحاسيسه ؟، له أدواته العقليّة التي يعتمد عليها لتحصيل أفكار يراها تناسب خطّ سيره ؟، له إدراكات ؟، لتتدرّج في التحصيلات كي نمنعه صدمات الرّفض؛ بناء على حالاته النفسيّة، لنخاطب اهتماماته ... **لنصنع له ما يهتمّ به.**

06 - الثورة الثقافيّة أم النهضة الثقافيّة ؟ :

تمرّ حتميّة التقدّم على بابين رئيسين قصد الدخول في مرحلة جديدة متطوّرة عن التي سبقتها.

ربّما تشكّل هذه العبارة محوراً جديّا للنّقاش، كونها المعبر الاستراتيجيّ نحو أهداف ترمز للنّجاح، و تبقى الفكرة العامّة ثابتة، بيد أنّ الطريق المحقق لها يختلف حسب عقليّة كلّ فرد، بعضهم يرى أنّ النهضة لا تكفي تحت ضوء التخلّف العظيم الذي يعاني منه الإنشاد، و يشبّه الوضع بمريض مقعد ينهشه المرض نهشا، و لا يتعلّق الأمر بعمليّة جراحيّة واحدة؛ بل بعدّة عمليّات و كلّها معقّدة، و في سباق مع الزّمن، فهل تكفي حقنة أو قرص دواء ؟.

من الغريب أنّ البعض يشغلون أنفسهم؛ و يشغلون معهم الآخرين **بتفصيل ملابس جديدة** لهذا المُقعد !.

... مرئيّ للجميع أنّ الثورة الثقافيّة لا تتفق مع النهضة الثقافيّة :

- أوجه التشابه :

أ - التركيز على فعالية عالم الأفكار المحدّد لما دونه، و الذي ينمو باستمرار.

ب - إمكانيّة استغلال الواحدة منها الأخرى حسب الظّروف و النّتيجة المرجوّة.

ج - تتوجّه إلى جمهور واحد عامّ هو الجنس البشريّ.

- أوجه الاختلاف :

أ - التّصرّف الذي يرافق مجموعة عناصر الوعي.

ب - إمكانيّة تخصيص جمهور مستهدف بالثّورة أو بالنّهضة.

• متطلّبات الثورة و النهضة : تتطلّب الثورة الإنشاديّة أو النهضة الإنشاديّة شيئاً في غاية الأهميّة؛ " المهارة " التي تأتي في الخطوة الثانية **بعد حصولنا على المعلومة التي بها يتمّ التحرّك**، و المهارة هي قدرتنا على فعل شيء ما فعلاً سليماً صحيحاً **ينشد الكمال و لا يكتمل**، أي بعبارة أخرى هي الموهبة الابتدائيّة إن صحّ التعبير، حيث أنّ اكتساب المهارة يمرّ عبر ممارسة الأنشطة، فتضاف إلى الرّصيد المعرفيّ للإنسانيّة كمخزون بصبغة تراكميّة.

إنّ المهارة هي أن تتحرّك وفق قواعد مدروسة مكنونة في قلبك.

هل يكفي حفظ القرآن الكريم وحده كي ننهض بالإنشاد ؟، لماذا كان الإنشاد متأخّراً لعهد قريب حتّى بدايات القرن الواحد و العشرين رغم أنّ المنشدين كانوا من جيل الدّعوة ؟.

لكلّ مقام مقال، على الإنشاديّ الحفاظ على الإسلام كدين له شامل، يعمل بما يوصي به، و يا للعجب حين تكون أمّة إقرأ لا تقرأ.

تذكّر ... للنّهوض بالإنشاد يجب توفّر بعض العناصر كمتطلّبات للثورة أو للنهضة، داخلية و خارجيّة، مثل :

أ - مرجعيّة دينيّة سليمة من الشوائب و المغالاة.

ب - إلمام بالعلوم المختلفة.

ج - الاستعداد الفطريّ للاختصاص.

د - مراعاة من يتواجدون في الرّواق.

• الحرب الثّقافيّة : هي الحرب المعتمدة على المجابهة الفكريّة و ما يكتنفها من أنشطة متتابعة **دون اللّجوء إلى القوّة المسلّحة**، و إذا نظرنا عمليّا إلى هذا المفهوم؛ فإنّنا بلا شكّ سنضع اليد على كثير من العناصر التي تقع ضمن نطاقه، و من المحتمل بصفة مؤكّدة أنّ الأغلبيّة ستتذكّر الحرب الباردة بين المعسكرين عقب انتهاء الحرب العالميّة الثانية، و ما ترتّب عنها من مشاحنات كادت تؤدّي إلى إذكاء النّار مجدّدا حين يتعلّق الأمر بتضارب المصالح.

في كفّة أخرى؛ تُستعمل الحرب الثقافيّة كتمهيد قبل الحرب المسلّحة، مهمّتها التحضير النفسيّ على مستوى الأفكار و العواطف و الأوضاع، لتشتعل الأحاسيس وقود الأفراد و تنتشر في كلّ شيء عبرهم، فهم المؤثّرون في الوجود المحيط بهم.

إنّ جوهر الصّراع بين الخير و الشرّ هو صراع بين الأفكار الخيّرة و الأفكار الشرّيرة، و إذا وضعنا عوائق للحيلولة دون تطوّره إلى نزاع مسلّح؛ فإنّنا سنكون قد خصّصنا مساحات شاسعة للحرب الثقافيّة، بكلّ ما تحمله الكلمة من أبعاد، حيث إنّ الدّعاية للأفكار من أجل اعتناقها تصبح السّمة الغالبة على المناخ العام، و لك أن تتخيّل إلى أيّ مدى يمكن أن تصل إليه هذه الدّعاية ؟، و ما سوف تستعمله من وسائل ؟.

إنّ صراع الحضارات ما هو إلاّ امتداد لحرب ثقافيّة ابتدأت هكذا بسيطة بأفكار يصارع بعضها بعضا؛ ثمّ تطوّرت إلى مظاهر أخرى، فاذكر أنّ للشيطان ثقافة يحاول نشرها بيننا بوسائل متعدّدة، **خبيثة، مستغلاّ أطرافاً أخرى لضعفها أو لجهلها أو لشيء آخر ...** و لك ما يجول في ذهنك.

• نشأة الفنون الغنائيّة : نسمع كثيراً بعبارة " ثقافة البلوز "، أو " ثقافة الجاز "، ممّا يجعلنا نتساءل عن فحوى هذه العبارة و طبيعتها، و لا سيّما إذا كنّا ندرك و يدرك الآخرون أنّ فنّانيها لهم ملابس خاصّة تميّزهم و طقوس غناء منفردة، و كأنّ كلّ فنّ غنائيّ له جوّ استثنائيّ.

إذن **يجب دراسة جذور هذه الفنون عميقا**، و لا خيار لأحد في ذلك إطلاقا، كي نتعرّف عن قرب و بصفة دقيقة على ملابسات نشأتها، و لا سيّما عبر التاريخ الذي شهد بتألّق بعضها في سماء النجومية، و لسنا مضطرّين إلى قتل الفنّ أثناء عمليّة التشريح، كي نتعرّف على مكوّناته، فلسنا هنا لتذوّقه؛ بل لاستخلاص ما يجب استخلاصه، و لا نكتفي بما يشاع سطحيّاً، فلا شيء يقلّل من قيمة البحث و الدّراسة مثلما يفعله التسطّح، الذي هو في الحقيقة نظرة بسيطة إلى الوجود، و هل هذا الأخير بسيط ؟.

و لكن قبل ذلك نحن مدعوّون للتمييز بين ماهية الفنّ الغنائي الدّينيّ و نظيره.

و على كلّ حال فإنّ الشيطان لعب دوراً استراتيجيّا في نشأة بعض الفنون الغنائيّة، أو على الأقلّ حاد بها عن المنحى السويّ.

إنّ الفنّ الغنائيّ هو الرّمز بالخواطر إلى المقصود، سواء كانت دندنة أو نقراً بالأنامل على أجسام صلبة، و هو إمّا ثوريّ أو نهضويّ، يقوم على الأحاسيس الوجدانيّة أكثر من الإدراكات العقليّة، و بالتالي **فإنّ اصطباغه بصبغة الفنّ لا يعني أبداً أنّه أخلاقيّ مفيد للمجتمع**، هي أفكار قادمة من اللا شعور، و كما توحي الملائكة بفعل الخير ... توحي الشياطين بفعل الشرّ.

●●● الفنون الغنائيّة الدّينيّة : هذه الفنون لصيقة بالدّين كما هو مرئيّ من الوهلة الأولى، فلقد نشأت في حضنه، فصارت تعبيراً عن الثقافة الخاصّة به، و قد يدخل فنّ الرقص معها، بغضّ النظر إن كانت الأديان سماويّة أو وضعيّة، سليمة أو محرّفة.

تتميّز ثقافة الفنّ الغنائيّ الدينيّ بـ :

أ - التعبير عن طقوس العبادة.

ب - التعبير عن تعاليم الدّين و الممارسات المتّخذة على ضوئه.

ج - قدسيّة الآلات المستعملة و حتّى أصحاب الفنّ الغنائيّ.

تختلف أسماء الفنون الغنائيّة الدينية من دين لآخر، نذكر على سبيل المثال لا الحصر " التّرانيم "، تخصّ النّصارى، " المزامير " تخصّ اليهود، " الأناشيد " تخصّ الإسلام، بيد أنّ هناك استعمالاً خاطئاً تمّت ملاحظته على الأسماء، ممّا يفسح مجالاً للخلط بينهم، و إذا اختلطت الأسماء **اختلطت المفاهيم في ظلّ العالميّة**، و لا سيّما على الجمهور الذي لا ينتبه لهذا الخلط، و تمزج الثقافات التي يجب أن تبقى محتفظة بهويّتها الكاملة.

●●● الفنون الغنائيّة غير الدّينيّة : أمّا الفنون الغنائيّة غير الدينية فهي ثقافة إنسانيّة خالصة أو تكون، و عادة ما تكون تفاعلا تعبيريّاً عن الأحوال النفسيّة و الإجتماعيّة للأفراد و الجماعات، كالاضطهاد الممارس ضدّ السّود في الولايات المتحدة الأمريكيّة و ما نشأ عنه من بروز فنّ الرّاب، **الذي يعكس ثورتهم على الأوضاع التي كانوا يعيشونها آنذاك.**

و مثلما كانت الموسيقى الكلاسيكيّة في أوروبّا ثقافة الطّبقة الأرستقراطيّة؛ فإنّ الثورة على الأخلاق و المعايير الاجتماعيّة ميّزت فنّ الهارد روك، حتى قيل أنّه لشعب اللّيل أصحاب جهنّم، أي لعبّاد الشيطان، و هكذا فإنّ الفنّ الغنائيّ غير الدّينيّ يبقى مرآة تعكس الأوضاع الاجتماعيّة مهما كانت طبيعتها، سلبيّة أو إيجابيّة، في البيئة التي يُعاش فيها، فخذ مثلاً فنّ الموسيقى الأندلسيّة التي تميّزت بالنّوبات، أو الفلامنكو أو التّرقي أو القناوي ... إلخ.

هل يُعاب على الإنشاديّين إن طعّموا أناشيدهم بهذه الفنون الغنائيّة ؟، لنعتبر ذلك بمثابة صنّارة نصطاد بها المولعين، طبعاً مع الحذر أينما وجب.

لنعلم أوّلا أنّ الجماهير ستتوجّه إلى فنّ غنائيّ غير دينيّ ما مهما كانت نوعيّته، و لنأخذ هذا بحسن نيّة، ربّما لم تجد ما يخاطبها بصدق و واقعيّة، فهل نلوم الجمهور أم نلوم الإنشاديّين على جهلهم بالفئة المخاطبة ؟.

لقد وجد هؤلاء ضالّتهم في الفنون الغنائيّة، لقد وجدوها تعبّر عمّا يختلج في وجدانهم، فأقبلوا عليها بابتهاج لا نظير له، أمّا الإنشاد فهم ما زالوا **لا يعلمون عنه شيئا**، إن افترضنا احتوائه على ما يشبع حاجياتهم.

»»» ما هي نوعيّة الثّقافة التي يقدّمها الإنشاد ؟ :

تجد في كتاب تأمّلات في الفلسفة الإنشادية ما يلي :

" تختلف ثقافات المجتمعات لاختلاف العوامل المؤثّرة عليها، و إذا كانت الفنون الغنائيّة جزءاً من هذه الثّقافات؛ فإنّها تخضع لقيمتي السّلب أو الإيجاب، بمعنى آخر؛ ثقافة أيّ مجتمع كان تحوي أشياء إيجابيّة و أخرى سلبيّة، **فيحدّد الفنّ الغنائيّ السّائد جملة ما يحدّده الشّخصيّة القاعديّة للمجتمع**، و بالتّالي فإنّ هناك **عمليّة تسلسل منطقيّة عقليّة**، يحدّد الفنّ الغنائيّ من جملة ما يحدّده **هويّة الشّخصنة** التي يحملها الفرد، إذ أنّ الفنّ الغنائيّ و التّشخصيّة في جدل،

تربط بينهما علاقة تأثير متبادلة ".

و ربّما تختلف الآراء لدرجة غير معقولة فيما يخصّ آثار الفنون الغنائيّة على الجمهور، و بطبيعة الحال فإنّها تشترك في أشياء و تتباين في أشياء، و ما يهمّنا هنا تباينها لنستخلص في النهاية نوعيّة من الأفكار يقدّمها فنّ الإنشاد دون غيره من الفنون الغنائيّة :

أ - يقدّم فنّ الإنشاد ثقافة إسلاميّة 100 %، منسوخة في الكلمة و اللّحن و التوزيع و ما يرافق ذلك من متعلّقات خاصّة بالموسيقى و الشعر ... إلخ.

ب - يدعّم الإنشاد كافة العلوم المفيدة للبشريّة، باعتبارها أبوابا مختلفة للتعرّف على الله الواحد الأوحد.

ج - يحرص فنّ الإنشاد على إعدام كلّ ما من شأنه توليد طاقة سلبيّة يتغذّى منها المجتمع الرابع من أجل غواية بني البشر.

لهذه الأسباب و لغيرها ... نحن إنشاديّون.

... لنحوّل الإنشاد إلى منابر متحرّكة نوزّع من خلالها القيم الإسلاميّة الحقيقيّة الخالدة.

الفصل السادس :

♦ إنشاء أسرة إنشاديّة ♦

01 - الخلفيّة الثقافيّة للزّوجين :
» هل يمكن أن يهدّد اختلاف بيئة الزوجين نجاح مشوارهما الزواجيّ ؟.

02 - الثقافة المشتركة :
● التثاقف الزواجيّ.

03 - الثقافة الموجّهة :
● التوجّه الثقافي ● الأنشودة المدرسيّة ● التأثيرات الخارجية.

04 - ثقافة الامتداد :
● جماعة الرّفاق ● أماكن قضاء وقت الفراغ.

05 - الوعاء الثقافيّ :
» كيف يفكّر الأطفال ؟.
● الاتصال الثقافيّ بالأطفال ● الصّناعة الثقافيّة الطفوليّة ● الطاقة الثقافيّة.

06 - النّقد الثقافيّ :
● مرجعيّة الأفكار ● المنطقة المشتركة.
» إلى أيّ مدى يمكن أن ننقد الآخر ؟.

الفصل السادس : إنشاء أسرة إنشاديّة

ربّما تنتابك بعض الغرابة حين تجد فصلا كاملاً مخصّصاً لإنشاء أسرة إنشاديّة، حيث لا تناسب مع الثقافة في نظرك، و معذور أنت في أعيننا حتّى نضع بين يديك حجّتنا المتمثّلة في كون الأسرة هي **الخليّة الأساسيّة** للمجتمع، بها و فيها نصنع ثقافة معيّنة حسب إرادتنا، نحن الآباء و الأمّهات؛ لهؤلاء الذين سيكونون مثلنا في الغد القريب.

لا مفرّ من غرس ثقافة إسلاميّة صافية خالية من الشّوائب في نفوس النشء إذا أردنا فعلاً أن يستثمروا في الدّعوة الفنيّة، ثمّ لنرحل هانئين إلى الدار الأخرى، و لننتظر دعواتهم لنا ربّ الدّارين بالغفران.

01 - الخلفيّة الثقافيّة للزوجين :

تأمّل ما يلي : " من غير المعقول أن تعيش الجماعة العالميّة بجنس واحد فقط، الرّجال دون النّساء أو النّساء دون الرّجال، فهذه فكرة لا يمكن مطلقاً أن يُكتب لها النّجاح، **لأنّها تنافي فطرة البشر**، فلا يجب أن يتبنّاها أحد، سقيمة عقيمة و لو بُرهن عليها ما يُتّخذ من العلم عليه إزارا؛ فالدّور الذي تلعبه المرأة في المجتمع **دور حيويّ استراتيجيّ** إذا ما قورن بدور الرّجل ".

تؤثر الخلفيّة الثقافيّة للزّوجين على إنشاء أسرة إنشاديّة، كون الأفكار المعتنقة من طرف الزّوج و الزّوجة تؤثر في بعضها البعض من جهة؛ و تؤثر على رؤيتهما الثنائيّة للأشياء و القضايا و المسائل من جهة ثانية.

و الخلفيّة الثقافيّة هي العادات و التقاليد و الأعراف أيضا، على اعتبار أنّ هذه الأخيرة مجموعة من الأفكار التي تعكس **الشّخصيّة القاعديّة** للمجتمع.

حين تزفّ الزّوجة لزوجها أوّل مرّة؛ **تكون مشبعة بمجموعة من الأفكار التي ألفتها في منزل وليّها الشرعيّ، أبيها و أمّها، محيط المنزل مثلا، حيّها أو شارعها، قريتها أو مدينتها**، كل ذلك عبارة عن تفاعل نشأت عليه منذ الولادة، تترك الحضن الحنون ليتلقفها حضن زوجها، و يحاول جاهداً أن يعوّضها فيما فقدته، هذه هي سنّة الحياة، لا بدّ أن تنتقل إلى رجل يحميها و يوقر لها ما كانت و أصبحت تحتاجه.

أمّا هو فأصبحت لديه أنثى يرعاها أكثر من أخته، هي كلّ شيء بالنسبة إليه، أي أنّه أضحى زوجاً بثقافة إضافيّة زيادة على ما كانت لديه.

دعونا نستدرك شيئاً آخر الآن؛ إذا كانت الزّوجة ثيّبا؛ فإنّها ستضيف ثقافة زواجها الأوّل إلى الثانّي، أو الأوّل ثمّ الثاني إلى الثالث، أي أنّها ستراكم الخلفيّات الثقافيّة بعضها فوق بعض **مع خلطها جميعها في بوتقة واحدة**، و إذا كان لديها أولاد؛ فهم في الواقع إضافة ثقافيّة إلى ما كان.

»»» هل يمكن أن يهدّد اختلاف بيئة الزّوجين نجاح مشوارهما الزّواجيّ ؟ :

هو سؤال محوريّ حيث يرهن مستقبل الأسرة الإنشاديّة المكوّنة من أجل الدّعوة الفنيّة، و قد تهدّد الإجابة عليه مصلحة الأبناء الذين سيتضرّرون من الانفصال إذا كان الجواب بنعم.

و حتّى و لو لم يكن هناك انفصال؛ فإنّ العيش في **جوّ مشحون مكهرب** يؤثر سلباً على نموّهم النفسيّ و العقليّ بصفتين أساسيّتين.

إنّ ما يُخشى منه هو **عدم تقبّل الأفكار بعضها بعضا**، و بالتالي لا تقبل ثقافة ثقافة أخرى، أمّا إذا كانت كلّ واحدة تنظر باحترام لكينونة الأخرى؛ فإنّ ذلك يعتبر مناخاً مثاليّاً جديراً لهؤلاء الأبناء الاعتزاز به.

لنكن أكثر واقعيّة؛ قد تكون الزّوجة من جمهور النشيد فقط، أمّا زوجها فيحبّذ الأنشودة (الإيقاع)، أو العكس، ثمّ يشتدّ النّقاش بينهما في الجواز من عدمه، فما العمل لو رفض كلّ واحد منهما أرضيّة الآخر ؟، و تصلّبا في موقفهما ؟، **و الشيطان يفرح كثيراً لهذه المواقف**، كيف لا و هو يعلم أنّه بمجرّد القضاء على الخليّة الأساسيّة تنهار المعايير ؟.

عاديّ جدّا أن يأتي كلّ واحد منهما من بيئتين مختلفتين، حتّى و لو كانا قريبين جدّا من بعضهما؛ فإنّ الاختلاف سرعان ما يطفو على السّطح ... سرعان ما تبرد العواطف الجيّاشة التي كانت تغطّي الاختلافات، و ربّما يتلاشى الحبّ و الغرام، ليتكشّف ما كان يجب أن يرياه ببصيرتهما.

02 - الثقافة المشتركة :

إنّ ما يجدر للأبناء الإعتزاز به كمكسب هامّ في الأسرة هو تلك الثقافة المشتركة، التي تنتقل إليهم من طرف الأب ذي الثقافة المختلفة عن ثقافة الأمّ، و رغم هذا الاختلاف؛ **لا يوجد صراع**، ممّا يؤكّد قطعيّا و يبرهن ميدانيّا على إمكانيّة تعايش الثقافات، و هو ما يرسخ في نفسيّة الناشئة؛ و لا سيّما في السنوات السّبع الأولى.

تسمّى " مشتركا " مساحات التقاطع دون المساس بالسّيادة الشخصيّة لكلّ من الأب و الأمّ، لتبقى السّمات المميّزة لكلّ واحد منهما دليل أحقيّة كلّ فرد في امتلاك أفكار خاصّة به، يضمن بها استقلاليّة هويّة جنسيّة قبل كلّ شيء.

أ ليس عجيباً أن تكون هناك ثقافة مشتركة في بداية الزّواج ثمّ يضمحلّ التقارب شيئاً فشيئا ؟، إذن لا غنى لهما من إعادة ما كان متيناً بالأمس، أو سينهار كلّ شيء، و المفتاح هو الحبّ، و هذا ما يدفعنا إلى نكران كلّ حبّ قائم بين ذكر و أنثى خارج مؤسّسة الزّواج، لأنّ مكانه داخلها **و هو حافظ الثقافة المشتركة**، و تذكّر أنّه إذا خمدت مشاعر العشق المتبادل؛ طفت المشاكل الواحدة تلو الأخرى، و احتدم النقاش شيئا فشيئا ... و تدخّل إبليس.

لنحذر ما يردّده البعض غافلين : " الحبّ العذريّ من مواضيع الإنشاد "، لا يدرك هؤلاء ما يقولون ؟، لا يعون أنّهم يؤسّسون ثقافة خاطئة ليست في مكانها المناسب.

- التثاقف الزواجي : أمام الثقافة المشتركة نجد أنفسنا مجبرين إلى التطرّق إلى التثاقف الذي يتمّ بين الزّوجين، نظراً لأثره البالغ في صناعة أفكار كلّ من الزّوج و الزّوجة، **هي الهواء الذي سيتنفسّه الأولاد.**

هذه الأفكار هي الثقافة التي ستنقلها الزّوجة معها لبيت زوجها الثاني إن أصاب الأول مكروه أو طلّقت منه.

لنقل أنّ التثاقف الزّواجيّ هو **التقارب المتعمّد بين الزّوجين من أجل تكوين ثقافة منسجمة خيوطها محكمة الوصل لمرحلة أكثر خطورة.**

و بما أنّنا استدركنا ما سبق التطرّق إليه؛ فإنّ كلّ عمليّات التثاقف ستخضع أوّلا و قبل كلّ شيء **إلى مجموعة الأفكار التي تضمن هويّة خاصّة بأحد الأطراف**، فهذا الزوج سيرزق إن شاء الله بأولاد في المستقبل، و بالتالي فإنّه سيعمد إلى كسب أفكار تدعّم مركزه كأب و ليس كأمّ، نفس الشيء سيحدث للزّوجة.

كيف سيربّي الوالدان أبنائهما إن كانا جاهلين بما يجب أن ينقلاه لهم ؟.

هذه هي الخطورة المقصودة.

مسألة أكثر ضرورة ما سيقدّمه الوالدان إلى الأبناء، و خاصّة **زمنيّا**، إنّهما يحضّران جيلاً للمستقبل، و قد يصنعان عبوة متفجّرة، أخطر من الألغام الأرضيّة المضادّة للأفراد، فهل نلوم الجرّاح إذا استعمل مشرطه لقطع بعض العناصر من أجل سلامة الجسم ؟.

من أجل نجاح عمليّات التثاقف يجب توفّر اتّصال دائم و صريح في الأسرة، اتصال يضمن انتقال الأفكار بكلّ سلاسة بحيث نقلّل من نشاط المجتمع الرّابع فيها.

03 - الثقافة الموجّهة :

لنتساءل عن نوعيّة الثقافة التي نوجّه بها أبنائنا **من أجل إنشاء نزعة دعويّة فنيّة**، واضعين في الحسبان أنّ هناك تأثيرات سلبيّة تمارس عليها من بعض الأطراف ؟.

يواجه الوليد هدهدة أمّه أوّل ما يواجه من ثقافة موجّهة، **إنّها بواكير الإنشاد التي ترسخ لديه**، و إنّها أقرب الفنون إليه ليأتي بعدها الرّسم في المرحلة التالية، فالإنفعالات المختلفة التي تطرأ عليه لا مجال لها للظهور سوى في إنتاج الأحبال الصّوتيّة كأصوات بدائيّة؛ ثمّ تأتي أشكال التعبير الأخرى المبنيّة على حركة اليد.

ليكن في علم جميع الإنشاديّين أنّ ما نوجّه به أطفالنا ينبع أساساً من **ثقافاتنا الأسريّة**، تلك الثقافة المشتركة التي تحدّثنا عنها كثيرا، و التي يجب أن تولد باعتبارها إلماماً بكلّ ما من شأنه أن يقع في نطاق وسطيّ، يتقاسمه الزّوج مع الزّوجة.

لنواجه بعضنا؛ كثيرون هم الأولياء الذين يغرون أطفالهم بالمال و الشهرة و حتّى بإثارة حسد الآخرين، و كأنّ المسألة عبثيّة في نظرهم لا ترقى إلى اهتمام أعلى من هذا، إنّما هم **يعزّزون صفات سلبيّة** لدى الأطفال عوض أن يقضوا عليها، و لا مشاحة في أنّ نشأة الطفل على ذلك و تشرّبه لقيم شبيهة؛ يولّد لديه نزعة الشرّ، فنكون قد دمّرنا فطرته السّليمة **بحسن نيّة.**

و المصيبة العظمى أنّنا والداه !.

• التوجّه الثقافيّ : إنّ ما نقدّمه للأطفال في الأسرة من ثقافة هي في النّبع أفكار نضعها في عقولهم، زراعة أو غرسا، مزيج مدروس في زعمنا من المعرفة المرسلة و أختها المتراكمة، أو هكذا يجب أن تكون، في انتظار النوع الثالث الذي يمارسه الأطفال، ألا يشبه ذلك نزعة ما نلقنها لهم كنمطٍ جاهز مثلما يقال ؟؛ النّزعة الإسلاميّة ثقافة إسلاميّة، أو قل **نمط تفكير معيّن ننظر بمقتضاه إلى الآخر**، مجموعة من الأفكار هي في الأصل مبادئ تمثل خطوط انطلاق لممارسة العمليّة الفكريّة في الحياة، أي الكيفيّة المثلى للتّفكير، بما فيها من **تحديد جوهريّ** لرسم علاقة عموديّة، و أخرى أفقيّة.

و خير التربية ما يكون فيما يكون الإنسان مستعدّا فيه لقبول ما يُعرض عليه، لليونة فطرته و نعومة أظفاره.

و مثلما لنا الاعتقاد التام في النّزعة الإسلاميّة؛ على كونها أسمى نزعة و أفضلها؛ يعتقد الآخرون أنّ نزعات أمثال الليبرالية، الدّيمقراطيّة، الإشتراكيّة ... ، تضمن لهم أنماطاً فكريّة سليمة للتعامل مع مختلف القضايا، و لكن لو نظرنا إلى هذه الثقافات لأدركنا قصورها، لما لها من اختزالات أو تهميشات للمعرفة المرسلة التي هي أساس كلّ المعارف.

هل تأمن الانقلاب ؟.

هل تأمن أن ينقلب طفلك إلى أيّة نزعة شاذّة بعدما ذاق طعم الهدى ؟.

احذر من الحرص الخبيث، فقد يهلك الأبوين **حرصهما غير السّليم** على أبنائهما ؟، حرصهما على مصلحتهم دون الاهتمام بوسائل تحصيل ثقافة هذه المصلحة، إعقلها و توكّل على الله، فإن كان ابنك أو ابنتك من أصحاب السّعير فهل تملك له شيئا ؟؟؟.

هل ملك سيّدنا نوح عليه السّلام شيئاً لولده ؟.

• الأنشودة المدرسيّة : يمكن أن نضع للأنشودة المدرسيّة و ما لها من آثار على توجيه ثقافة النّاشئة فضلاً على بنائها في موضع لا يُستهان به، لا سيّما إذا سهر على تقديمها أناس **متوّجون بالخبرة و الذّكاء، لهم القدرة على نقل معارفهم إلى غيرهم.**

إنّ ثقافة كثقافة الإنشاد المدرسيّ بيئة خصبة لاكتشاف المواهب و صقلها، تنمية أفكار في مشتلة هي من بين أهمّ المشاتل لتطوير ما قد يُلمح في الأسرة من أحاسيس فنيّة، صالحة لنسيج أكثر متانة و بهاء.

لا يجب أن تقدّم المدرسة أفكاراً جاهزة للاعتناق عموما؛ بل تقدّم ما هو أفضل من ذلك، تقدّم منهج تفكير لهؤلاء الذين لا يعرفون أبجديّاته، و هذا من المفروض أن يكون صلب ما يقدّم للأطفال، حيث لن يتّسع المكان و لا الزّمن لحشو الأدمغة بالأفكار الجاهزة، فهذا من شأنه أن ينشئ جيلاً كسولا، لا يمكن أن يهتدي للمسالك، إنّما الفطن من ألقى ثقافة التفكير القويم المرتبط بالله أصل الوجود، المبنيّ على تقواه، و الإنشاد فرصة ذهبيّة.

مشكلتنا ضياع المواهب في المدارس ... و أمّ المشاكل **تحريف الموهبة** إلى شيء مشابه، فبدل أن نعلّم الطّفل الإنشاد الحقيقيّ، و ما يعنيه من دعوة فنيّة لها من القيمة ما يرفعها عاليا؛ نرمي به في ميادين الموسيقى هكذا تتقاذفه الرّياح، رياح الواقع الذي يصنعه أناس غير معروفين، ضائعاً لا يدري أين سيرسو به القدر ؟، و الأطفال ودائع الله، فلنتّق المولى في مواهبهم.

و إذا حُرّفت الموهبة؛ أخذت منحى ثقافيّاً مستلزماً لهذا التحريف، كأن يرقص الأطفال جنباً إلى جنب ذكراً و أنثى، باسم البراءة و الأخوّة، و تحت كلّ شعار له من البراءة ما يشفع له عند الجمهور، كلّ ذلك سيرسو في ذاكرتهم لا محالة، **و سينشّط الشيطان** هذه الأفكار في يوم من الأيّام ... في الوقت المناسب، **لتتحوّل إلى ثقافة.**

... و إذا تحوّلت إلى ثقافة فسيكون الأمر قد وصل إلى مرحلة متأخّرة.

• التأثيرات الخارجيّة : ليست لدينا ثقافة واحدة نمطيّة، إنّما هي أنماط ثقافيّة تصل الدّرجة إلى تعارض بعضها مع بعض؛ تعارضاً تختلف حدّته حسب عوامل ما، و إذا كنت من المسلّمين بذلك؛ فأنت و فكرة التأثير و التأثر، أو لنقل مجموعة التأثيرات الخارجيّة على الثقافة الأسريّة؛ بما فيها قصدنا الإنشاديّة.

إذا اطّلعت جيّداً على فكرة التوجّه الثقافيّ و ما تتضمّنه الكلمة من أبعاد، تدرك تمام الإدراك ما تستطيع قوى ثقافيّة خارجيّة عمله كتأثير ممارس على التحصيل الثقافيّ الأسريّ.

من قال أنّ الترفيه و التسلية لا ينطوي على أيّة طبيعة ثقافيّة ؟، **هو نشاط ثقافيّ في الاستقلال الفكريّ**، فلا يجوز استعمال أشكال البراءة، لتغطية تامّة و شاملة للنسيج الثقافيّ القائم على تربية الطّفل.

إنّ التأثيرات الخارجيّة التي ننظر لها كإشعاعات ثقافيّة مختلفة هي في واقع الحال وجهان؛ إمّا تأثيرات إيجابيّة لها مسلك التّدعيم؛ أو تشويشات سرعان ما قد تتطوّر إلى تهديدات حقيقيّة تؤثّر بصفة سلبيّة على الثقافة التي نقدّمها للأطفال في الأسرة.

أصعب تأثير يواجهه الأطفال هو الخارج، ليس هذا فحسب؛ بل إنّ نجاح الأسرة مبنيّ على هذا التّحدّي.

لاحظ جيّدا ... إنّ الأسرة للطفل حضن الأمان الذي يرعاه، بمجرّد تأسيسه لأسرة جديدة يجب أن ينتقل هذا الحضن إلى زوجته من أمّه و أبيه، و هنا تلعب الزّوجة كجبهة دعم و إسناد في المهمّة الدعويّة، تتشكّل في مناخها الخاصّ ثقافة حديثة موافقة للتقدّم الذي يجب أن يكون عليه الإنشاديّ، فلا معنى لاستنساخ أفكار الماضي، نحن نعيش بالمستقبل و للمستقبل.

04 - ثقافة الامتداد :

لا يأخذ الأطفال الثقافة التي نزرعها فيهم أسريّا فحسب؛ بل هناك ثقافة أخرى يأخذونها من غيرنا، حين يخرجون إلى المدرسة، لمّا يكوّنون أو ينضمّون إلى جماعة رفاق ما، حين يتردّدون على أماكن يقضون فيها أوقات فراغهم، لمّا يمارسون هواياتهم الجماعيّة.

و لا نستطيع الاحتفاظ بأطفالنا علباً مغلقة في المنازل، مهمّتنا إمدادهم بثقافة إنشاديّة و هم في المهد الأسريّ، ثمّ نراقب من بعيد محاولين توجيههم و ترشيدهم بوسائل معيّنة، هناك مهندسون آخرون سيقومون بعملهم.

• جماعة الرّفاق : إنّ أوّل خروج للطّفل يكون نحو طفل آخر، نحو أطفال آخرين بحكم الجيرة أو تقارب العمر مثلا، هؤلاء هم رفاقه، هم الحضن الثاني بعد حضن الأسرة، فلو لقي فيهم أفكاراً غير أفكاره؛ لحدث له صراع داخليّ بين ما يجب أن يتبنّاه و ما يجب أن يتخلّى عنه، و عليه فالعيش داخل مناخ فكريّ يشبه مناخ الأسرة الذي تعوّد عليه، من شأنه ترسيخ ما تلقّاه شيئا فشيئا.

إنّ عالم الأفكار عالم واسع شاسع، لا يمكن لأيّ فرد أن يكون فكريّا نسخة طبق الأصل عن الآخر، غير أنّ الحفاظ على نوع من الأرضيّة المشتركة خطوة استراتيجيّة للحدّ من الصّراعات و التناقضات.

الانضمام إلى جماعة ما معناه ببساطة شديدة إعلان الولاء لها، و عليه؛ لنحرص على أن تكون أيّة جماعة امتداد ثقافيّ للأسرة الخليّة الأساسيّة للمجتمع، هذه هو الخيار الاستراتيجيّ لنا.

• أماكن قضاء وقت الفراغ : تعدّ أماكن قضاء وقت الفراغ **مزارع مثلى لتنمية الهوايات المختلفة.**

إذا أنشأنا الطفل في مناخ أسريّ إنشاديّ بما يشمل تنوّعاً مفيدا؛ فإنّه سيستثمر هذا الإنشاء في الانضمام إلى فرق متخصّصة في الإنشاد، و لا سيّما إذا نسّقت الأسرة أمور التعاون مع مشرف له من الإبداع ما يشهد له، و في ذلك استمراريّة يجب توثيقها، و تدعيمها دعماً **يتناسب مع إمكانيّات الطّفل و ميولاته في إطار الاختصاص**، فليس من المعقول أو المنطقيّ جعل كلّ واحد من الأطفال ينشد، بل نصنع منهم المنشد و ضابط الإيقاع و الموزّع، الملحّن، المخرج، المصمّم ... إلخ.

... نضع في عقولهم **فكرة الاختصاص.**

للفراغ أثر جدّ حسّاس في التثقيف، إذ يكون العقل في **فترة راحة غير منتبه للأفكار التي تتسلّل إليه**، و الهوايات التي يمارسها الأطفال مهما كانت أنواعها؛ هي في الحقيقة أفعال **للتوازن النفسيّ**، فلا مجال لإلغائها بزعم تشويشها على دراسة الطّفل، أو تنقص من تحصيله الدّراسيّ، لكن نقنّن ثمّ ننظّم هذه الأوقات الحسّاسة، كي لا تتداخل مع الأولويّات.

05 - الوعاء الثقافيّ :

يجب أن نتساءل الآن عن الوعاء الذي تسكب فيه الثقافة، أو بالأحرى الوعاء الذي يجب أن تُسكب فيه الثقافة، فبعد الحديث عن الأفكار الخاصّة بكلّ من الزّوج و الزّوجة؛ و التطرّق إلى الأفكار المشتركة بينهما؛ نرى من الضّروريّ النّظر إلى الشكل الذي تأخذه هذه الثقافة حين توجّه إلى الأطفال.

ثمّ نحن متّفقون منذ البداية أننا بصدد الحديث عن كيفيّة إنشاء أسرة إنشاديّة، جوهريّا و ليس شكليّا، أي فكريّا معلوماتيّا اتّصاليّا ... إلخ.

يمرّ إنشاء أسرة إنشاديّة عبر خطّين هامّين؛ ذكريّ و أنثويّ، و بالتالي فإنّ الثقافة ستكون مختلفة على اعتبار اختلاف مساري هؤلاء الأطفال الذين سينشؤون أسراً إنشاديّة في المستقبل إن شاء الله.

من البداية يتمّ تحضير البذور ... البنى التحتيّة.

إنّ ما نثقّف به أولادنا هو مزيج من عدّة ثقافات، لكن يجب النظر بكل جديّة إلى ما ينتظر هؤلاء في المستقبل، وفق مسارين لا ثالث لهما، إمّا امرأة تنشئ أجيالا إنشاديّة؛ أو رجلاً نعتمد عليه في إنشاء أجيال إنشاديّة، و لاحظ أنّ الهدف مشترك بيد أنّ الجنسين يكملان عمليّات التثاقف من **منظورهما الخاصّ**.

»»» كيف يفكّر الأطفال ؟ :

لا يفكّر الأطفال مثلنا، ضع هذا في ذهنك دائما، فهم لا ينظرون إلى القضايا مثل الكبار، إنّما يحيون في عالم خاصّ بهم إن صحّ التعبير، يأخذون من كلّ ما يحيط بهم وفق الطريقة التي ينظرون بها للأشياء رغم اعتقادنا في الكثير من المرّات أنّهم صفحات بيضاء نكتب عليها ما نريد.

لا تنس أنّ الطفل ينمو باستمرار، و الصّفحة البيضاء **سرعان ما تتقلّص مساحة بياضها،** لتنشأ عند الطّفل مقاومة من نوع خاصّ، يتحكّم فيها ما يلي :

أ - تخبّطه بين القيم التربويّة المختلفة المتناقضة، بين الأسرة و العائلة و الشّارع ... إلخ.

ب - مقارنته بين شهواته و ما تمليه عليه من أفعال من جهة؛ و المبادئ التي يتلقّاها كتنشئة.

ج - دخول مصلحته حلبة الصّراع، و ظهور مجاله شيئا فشيئا ثمّ اتّساعه مصطدماً بمجالات أخرى خاصّة بمجالات الإخوة و الأخوات.

يبحث الأطفال عن اللذّة، فهو متى ما وجدها **تشرّب ما ورائها**، و عليه يلجأ الإنشاديّون المهتمّون بالأطفال إلى اللّعب على هذا العامل، كالرّقص التي هو للطّفل مجرّد حركة تعكس نشاطاً قويّا، و لكن لا يشفع لهؤلاء اندفاعهم وراء الاستغلال الأعمى للذة.

و يتشجّع الأطفال بصفة مدهشة حين يرون نظرائهم على الشاشة مثلا، أو أمامهم على المنصّة، ممّا يولّد لديهم نموّا جدّ سريع بالتقليد، أي أنّ نمط تفكيرهم قائم على الغرائز و الشهوات.

• الاتصال الثقافي بالأطفال : في ظلّ اختلاف التفسيرات التي يقرأ بها الطّفل ما يدور حوله من أحداث؛ شخصيّته الهلاميّة دائمة التشكّل؛ يجب علينا النظر لجلالة موقف اتّصال أمثل به، **كي لا تُفهم الرّسائل إلاّ في سياقها المحدّد المقصود.**

لنعرف كيف نستغل مميّزات الطفل و ما يبدو عليه من صفات، سواء ظهرت أم ما زالت لم تظهر، فهو سبيل مثاليّ، لنعرف كيف ندخل إليه من خلال ما يميل هو إليه، شرط التفكير فيما ستؤول إليه الأوضاع مستقبلاً.

يرى البعض أنّ الأطفال لا يأخذون كلامنا (أفكارنا) بعين الاعتبار إلاّ إذا كان المصدر أطفالا مثلهم، ليكن ذلك، فالاستنجاد بمن يماثلهم في العمر شيء استراتيجيّ، لا تنس أنّ الطفل لا يرى العالم بأعيننا، و لا تخش شيئا ما دمت أنت المقود ... أنت الموجّه المخفيّ، أمّا الأطفال الذين يتصلون ثقافيّا بجمهور من الأطفال؛ فهم **أبواب مزخرفة** تستقطب النّاظرين و الزّوّار.

... نجاري طريقة تفكيره، فأنت أمام طريقين.

إمّا ذاك أو تفرض عليه أفكارك بالقوّة، و هو في حالة كهذه لن يخفِ عليك تذمّره ممّا يلاقيه منك، أي أنّك تتجاهل إقناعه بما تقدّم إليه من ثقافة، و بطبيعة الحال سينمّي جداراً مناعيّا تجاهها، سيتجلّى في بعض التصرّفات غير المفهومة لديك، و هو شيء يجب تجنّبه دائما.

يجب تثقيف طفلك بما تريد له في إطار منطقه و عقليّته، ثمّ يكبر هذا الإطار **إذا أذنت له بالكبر**، إذ توسّع الثقافة فتنمّيها؛ لتسع مناطق إدراك جديدة.

و ربّما ليس أصعب على الوالدين من معالجة الطابوهات مع الأطفال، فهما في هذه الحالة يحاولان صناعة ثقافته موازاة مع **احترام حاجز الحياء و الوقار** الذي لا يجب اهتزازه أبدا، و في ذلك تحدٍّ كبير و جدّيّ.

و الأطفال معرّضون لحوادث يفقدون بواسطتها عضواً من أعضائهم، أو حتّى قد يولدون بإعاقة ما، و بالتالي فإنّ الاتصال الثقافيّ يكون خاضعاً في مثل هذه الأحوال إلى شروط، **إنّ الاحتياجات الخاصّة تفرض قراءة فكريّة للواقع مخالفة للقراءة التي تكون في ظروف سويّة**، مثلاً لا يمكن تثقيف طفل أعمى عن طريق البصر، و لا طفل أصمّ عن طريق السّمع ... إلخ.

● الصّناعة الثقافيّة الطفوليّة : أثناء اتّصالنا بالأطفال نمرّر لهم رسائلنا و لتكن اليقظة حليفنا، إنّهم دائمي التعبير عن مكنونات أنفسهم، سواء بالكلام غير المفهوم؛ أو بالحركات و بالإشارات و بالتصرّفات؛ أو بالتغنّي و بالرّسم و ما شابه، و كلّها صناعة ثقافيّة تخصّهم، تحمل بصمات هؤلاء الذين اخترنا لهم أمّهاتهم، يجب أن نلقي لها كلّ اهتمام، بالدّراسة و التحليل لنستخلص منها **ما نرى فيه منافذ أيديولوجيّة إليهم**، أو على الأقلّ درجات استجابة لثقافتنا المزروعة فيهم مبدئيّا.

و نؤكّد؛ إنّ كلّ ما يصدر عن الأطفال سواء شعوريّا أو عكسه؛ إنّما هي تعبيرات عن ثقافة يتمتّعون بها، أفكار مستترة لديهم و حتّى و لو أنّهم لا يفهمون في عالم الأفكار شيئا؛ فإنّ العاطفة هي **ناطقهم الرّسميّ**، أي أنّ أفكارهم من عواطفهم و أحاسيسهم، من إملاءات النفس البشريّة، و كلّها تنعكس في إنتاجاتهم الثقافية من كلام و تصرّفات و رسم، نقش و تغنّي ... إلخ.

انتبهوا جيّدا لكلّ ما يصدر من الأطفال، **إنّ طاقتهم تكشفهم**، و علينا ككبار حُمّلنا مسؤوليّة تربيتهم؛ توجيهها إلى قنوات معيّنة، لنجعل منهم عبر الزّمن **ملاّك هذه القنوات**.

أمّا الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصّة؛ فإعاقتهم تمنعهم من مجاراة نظرائهم، سواء كانت إعاقة حركيّة أو ذهنيّة أو شيئا آخر، و لكن هذا لا يمنع أنّهم أطفال بالدّرجة الأولى؛ و لهم مشاعر و أحاسيس كغيرهم، و ثق أنّ هؤلاء حين سلب الله منهم نعمة الحركة أو الرّؤية أو السّمع؛ فإنّه تعالى أثراهم بهبات أخرى، يجب على الجميع اكتشافها محاولين استغلالها في السبيل السويّ، و كلّ ذي عاهة جبّار كما يقول المثل.

● الطاقة الثقافيّة : إنّ الصّناعة الثقافيّة لدى الطفل المتولّدة عن قدراته التعبيريّة لا تدع أيّة فرصة للشكّ في الطّاقة العالية التي بداخله، و هذه الطاقة هي التي تدفعه و تحرّكه في أنشطته، و هنا بالذات يجب أن نتدارس مسألة لا تخلو أهميّة ممّا سبق.

إذا كانت الثقافة تفاعلا فكريّا؛ و قوّة الفكرة تحرّك الفرد و الجماعة نحو أهدافهم؛ فهل للثقافة قوّة أو طاقة ؟، و إذا كان لنا هذا؛ فأين سيتجسّد ؟.

بتعبير آخر : هل للثقافة قوّة تتحرّك بها ؟.

من الآن لاحظ العاصي جيّدا، كيف يتصرّف بكلّ حماس و قوّة و دون تشويش عليه من أحد ؟.

في الآن الواحد و في كفّة أخرى؛ لاحظ المؤمن كيف يوسوس له الشيطان بين الفترة و الأخرى ؟، كيف يبتعد عن الأولويّات و يغرق في التفاهات و سفاسف الأمور ؟، ثمّ مباشرة إذا استعاذ بالله زال عنه كيد إبليس.

يقدّم الشيطان طاقة مؤقتة **لمن يحملون ثقافته، و يروّجونها أكثر فأكثر**، و كأنّه يسهّل عليهم المهمّة، و يمدّهم بالإمدادات اللّوجستيكيّة، و كلّما زدت من تحميل ثقافته زادت قوّة دعمه لك، في حين يحاول قطع الطّريق أمام معاكسيه بكلّ قوّته، و يسعى لإضعافهم معنويّا، بتأليب من يجد فيهم مرونة ضدّهم، و هو ما يفسّر ببرهان ساطع **مهاجمة بعض الإنشاديّين لبعض دون سبب واضح مقنع**، و حتّى غير الإنشاديّين، ممّن يلمس فيهم القابليّة لضرب الآخرين لأسباب لا يجد صعوبة في إنشائها.

لنصارح بعضنا البعض؛ هل تجدون هذه المظاهر عادية ؟ :

أ - استغلال نزعات النفس البشريّة في التأثير على العائلة الإنشاديّة، من غيرة و خصومات ... إلخ.

ب - استغلال نزعات النفس البشريّة في التأثير على باقي جنود الدّعوة لإنشاء صراع بين كافّة الأطراف.

ج - استغلال نزعات النفس البشريّة في التأثير على جميع الناس لضرب استقرار العائلة الإنشادية في محيطها.

و لكنّنا لا نلقي بالاً لهذه الطاقة المهدورة.

06 - النقد الثقافيّ :

لا يمكن للأطفال قبول كلّ شيء و رفض كلّ شيء، و هم بطبيعتهم سينقدون الآخر، **لأنّهم لم يألفوا ثقافة غير ثقافتهم**، التي تلقوها في الأسرة ثمّ خارجها، ستعتريهم غرابة حين يتعلّق الأمر بالعالم الفسيح الأرجاء، المتعدّد الثقافات و المختلف الأفكار.

من الجوهريّ وضع خطّ فاصل بين الشخص و أفكاره أو بين الجماعة و أفكارها، إذ تتغيّر الأخيرة، و هي المعنيّة بالتغيير الذي إن حدث تغيّر الشخص و تغيّرت جماعته على الترتيب، و النقد يكون تجاه الأفكار فقط المتحكّمة في الثقافات، و ليس تجاه الفرد أو الجماعة.

تذكّر دائما أنّ الكلمات الجميلة التي نوجّهها لبعضنا البعض عطور نستنشقها؛ و العكس صحيح.

- مرجعيّة الأفكار : إنّ النقد كعملية جزافيّة ليس من الحكمة في شيء، فالذي ينقد كلّ ما يخرج عن دائرته **الهلاميّة**؛ لا يمكن له تحقيق الارتقاء، و كيف له ذلك إذ أنه مطّاطيّ الأفكار لا يثبت على مبادئ كمرجع له ؟، و عليه لا يثق في آرائه أحد، متذبذب الإرادة و الشّعور.

هل أتاك أنّ النقد يضعف العقول ؟.

يتحكّم ما نقدّمه لأطفالنا كمرجعيّة في كلّ شيء من حياتهم، هي الزّاد المعرفيّ المؤلف من الأحكام **النّمطيّة** المسبقة التي إن قبلت المناقشة لن تقبل الرّفض، بهذا الزّاد يرى الطّفل كل ما حوله وفقاً له، **و فيه نضع فكرة احترام كينونة الآخر**، بوضع فكرة ضرورة وجود الآخرين، مع احتمال مؤكّد يرتفع باستمرار يقضي بتبنّيهم أفكاراً على غير ما هو معهود.

إنّ احترام كينونة الآخر يمرّ بصفة حتميّة على ضرورة وجوده، فإذا كان هذا الأخير؛ و كانت له مرجعيّة مماثلة لمرجعيّتنا؛ فهو **ليس آخر ثقافيّا**.

نقول هذا كي لا تختلط المسألة عليك و تتعقّد.

تحدّد المرجعيّة الفكريّة التوجّه الثقافيّ الذي سيسير عليه الطفل، فضلا على رجوعه إليها كمعايير، و أمام تعارض الثقافات فإنّه من الطبيعيّ اتّخاذ سلوك ثقافيّ ما تجاه ما يقابله، تتجلّى قيمته في قبول ما يتعرّض له، فهو واقع تحت التأثير؛ أو يرفض الانصياع متخذا من النقد جداراً منطقيّا له.

و النقد علم قائم بذاته يعتمد على أسس و ركائز و مصطلحات.

• المنطقة المشتركة : هي النطاقات الفكريّة التي تتفق فيها أكثر من جهة و تتقاطع، **استراتيجيّة كونـها منطقة تقارب ثمّ اتّحاد**، كلّما نمت كلّما تقلّصت مساحات التضاد، و كلّما زالت أشكال الصّراع.

لنركّز على المناطق المشتركة كي **يتحقّق مبدأ العالميّة**، و هل هذه الأخيرة سوى نشر للحق اعتماداً على خصال مشتركة بين البشر ؟، كالفطرة على سبيل المثال.

لا تخلط بين مبدأ الدّائرة الكبرى و هذا المبدأ، و ارقَ بعقلك جاعلاً المبدآن يتآلفان.

تزدهر مخاطبة الآخر بالمنطقة المشتركة التي يُتقاسمها معه، فيها نحترم كينونته و يحترم كينونتنا، في إطار مبادئ لا نخرج عنها، و له الحريّة المطلقة في تبنّي ما شاء من أفكار، ما دام ذلك مؤسّساً على النّقاش و الحوار، و بعيد كلّ البعد عن محاولة فرض الرّأي بالقوّة، مع **ضمان كرامة كلّ الأطراف**، فقد يأتي للذهن أنّ التنازل عن الرّأي إهانة لصاحبه، فيأخذه هذا على الاعتزاز بثقافته مهما كانت ... رغم هلاكه بها.

»»» إلى أيّ مدى يمكن أن ننقد الآخر ؟ :

حينما تسمع عن النقد باعتباره شيئاً فطريّا في الطّفل؛ كونه بدأ يدرك أشياء مختلفة لم يعهدها؛ نعتقد أنّ ذاك سوف يزول بتكييفه مع الوضع الجديد، أي أنّنا سنقضي على النّقد كنزعة لديه، بل سنقضي على **دلالة الجدل**، و نعزّز من النقد **كقيمة جوهريّة ثائرة في وجه الشرّ**، فلو لم يكن النقد لساد قبول كلّ شيء وفق الصّورة التي عليه، و بالتالي لا معنى للهويّة، التي تحافظ على نفسها بالنقد فقط، أمام هجوم خارجيّ من أطراف لا يرون سوى ثقافاتهم.

هل يقبل الآخر محو هويّته دليل ثقافته ؟، و هل يرضَ الذوبان في مجال عامّ يغيّر كلّ شيء فيه بصعوبة من أجل التكيّف مع البوتقة الحديثة ؟.

لاحظ :

يلجأ الطفل للنقد كنزعة من أجل إبراز قوّته أمام الناس، فالناقد عادة شخص يخطف الأضواء بتمرّده على الأفكار التي ثار من أجلها، و خاصّة لمّا يكون صاحب حجّة و لسان فصيح، ممّا يغري الغوغاء بالانقياد له و لو كان مخطئا، لأنّ القول المزخرف خادعهم بلا ريب، و لربّما زيّن لهم ما هو خاطئ بطبيعته.

ليحقق النقد **الارتقاء** و يدعّم الصّالح من التثاقف، حيث يصبح المكان مجالاً متّسعاً باستمرار للأفكار الآتية من هنا و هناك، و تطفو سمة الحوار التي تغلّفه، و إذا ما تعلّم الطّفل الأسلوب السّليم للحوار مقتنعاً بالمبادئ التي تشرّب عليها؛ حرص على نقد الآخر من أجل تنبيهه للخطأ و الغفلة، مع فسح المجال له لمراجعة أفكاره. (الحوار)

نشأة الطفل على الحوار داخل الأسرة؛ يرفع من قيمته الإنسانيّة ... ينمّي عقله و مواهبه، كما يقطع الطّريق أمام العنف السّلبيّ؛ الضّارّ بالفرد و الجماعة، و يقف حائلاً منيعاً أمام الغيبة و بذور المؤامرات و الدّسائس ... **يؤسّس بعمق لفكرة الشّورى** التي أمرنا الله تعالى بتطبيقها؛ و لله الأمر من قبل و من بعد.

الفصل السّابع :

♦ الثقافة بين العفويّة و المزايدة ♦

01 - ماذا يحدث في العالم ؟ :
- الجماعات السريّة ● لعبة الإستخبارات.

02 - مناهج تدمير فنّ الإنشاد :
- تمييع الهويّة ● توليد الصّراعات ● خلط الأوراق ● غسيل الإنتاج الإنشاديّ.

03 - إطلالة على الخطط القادمة :
- الاقتصاد الغريب ● إثارة القلائل في الأماكن الاستراتيجيّة من العالم ● استعمال قوة الشعب العمياء ● التخلّص ممّن يعلم أكثر من اللازم
- التجسّس الشامل ● العلوم المخفيّة.

» ما موقف الإنشاديّين من كلّ ذلك ؟.

04 - المقاومة و الإرهاب :
- قضيّة فلسطين ● تنظيم القاعدة ● حركات الانفصال ● الجماعات الإسلاميّة المسلّحة.

05 - رعاة الثقافة الإنشاديّة :
- الصّوفيّة ● الإخوان المسلمون ● الشّيعة ● أصحاب الدّعوة و التبليغ ● الإباضيّة ● الوهّابيّة.

» لماذا نجد في السّاحة ثقافة إنشاديّة متطرّفة ؟.

الفصل السّابع : الثقافة بين العفويّة و المزايدة

من البديهيّ أنّ الثقافة هي محصّلة فكرة ما تتفاعل مع غيرها من الأفكار، في مناخ هو الفعل و ردّ الفعل، ليكون التأثير على الأفكار و العواطف و الأوضاع، و عليه فإنّ تدخّلا من نوع خاصّ يحمل دلالة معيّنة سرعان ما يظهر في الصّورة، ليس في شكله الأصليّ؛ بل في نتائجه على المستويات الثلاثة.

إنّ جعل كلّ شيء يبدو و كأنّه ما زال على طبيعته الأصليّة، متغيّراً حسب سنن الطّبيعة هو المقصود بالتدخّل من النّوع الخاص، حيث لا أثر للأيادي المتدخلة إطلاقا، ممّا يجعل كلّ ما هو متدخّل عليه مطمئنّا غاية الاطمئنان، يقبل التغيير و لو كان إلى الأسوأ دون أدنى مقاومة، كونه من سنن الحياة ... كونه أشيع عنه أنّه من سنن الحياة.

هذا لو تفطّن إلى المسألة سطحيّا و أدرك أنّ هناك تغييراً يحدث، و في الغالب؛ فإنّ **استعمال تخدير جماعيّ للأفراد في أشكال متنوّعة لا يدع فرصة للانتباه**، فالكلّ في سعي حثيث؛ إمّا وراء اللقمة التي لا تصل إلى طلاّبها إلاّ بشقّ الأنفس؛ أو وراء إرضاء شهواتهم المختلفة كالتسوّق و اللّعب و أخبار كلّ من طرق باب الفنّ و الشهرة، و انتبه إلى نوع الفنّ المقصود هنا.

ألا تدرك أنّ الرّكض وراء التفاهات الدّنيويّة لا يشي إلاّ بتوافه الذهنيّات، و يعكس العقليّات الفارغة من المحتوى الرّفيع ؟.

... و هل علمت أنّ الجري وراء تحصيل القوت **في ظلّ اقتصاد غريب**؛ لا يطمئن أحدا ؟.

من وراء ترويج أفكار لتتفاعل مع بعضها البعض و مع ما يحيط بها؛ ليهتمّ النّاس بكلّ شيء عدا الأهداف العليا التي تقرّر مصير هذا الدّين ؟.

هذه المزايدات هي ما سنتناوله في هذا الفصل بقسط من التفصيل ... و التّلميح.

01 - ماذا يحدث في العالم ؟ :

يجب استطلاع ما يحدث في العالم كي نتعرّف جيّدا على القضايا و المسائل عن كثب، يجب أن تكون لنا أرضيّات من المعطيات نرتكز عليها من أجل اتّخاذ أفكار هي في الواقع أحكام نطلقها نحو متغيّرات ما في هذا الوجود.

هناك عدّة أشياء تحدث، و لا يتساءل النّاس عمّا يحيط بها، تعلّم أن تسأل و لو طرحاً على نفسك، فإن فعلت هذا اعتبرناك واعياً في المهد، و إذا استمريت في التساؤل ... ؛ نمى وعيك نموّ الوليد.

لتلاحظ مبدئيّا بأعيننا ما يلي :

أ - نموّ فنّ التغريد نموّا غير عاديّ، إذ أصبح التنشيد بآلات العزف الموسيقيّة أمراً شائعاً، و مثلما شرع المقاومون يفقدون زمام إثارة الموضوع؛ بدأ الجميع في قبول هذه الثقافة بالتدريج، و كأنّ لا أحد كان بالأمس يثور أو يجادل.

ب - ضياع مفهوم " الإيقاع " بين ما هو وزن بالفطرة؛ و بين ما هو آلة من آلات العزف الموسيقيّة.

ج - غياب آثار واضحة للتنظيمات الإنشاديّة المختلفة و كأنّها تعيش في منازل من بلّور، يرى من بداخلها شساعة المناظر في حين يرى الرّائي في الخارج منازل عادية مثلها مثل غيرها لا تمييز لها واضح و ملموس.

د - التعمية على كلّ سليم رفيع و تكوين **ضباب مكيّف** يصبح المرء فيه لا يفرّق بين ما هو قريب و ما هو بعيد، بين ما هو صحيح و ما هو خاطئ، تختفي كلّ قدرة على التّمييز و يتحطّم سلّم الأولويّات.

هـ - ظهور وسائل إعلام ثقيلة **موجّهة للأطفال تعبث بتربيتهم**، تدوس على كلّ فصيح أكاديميّ، ناشرة كلّ عاميّ نشاز، في قالب من الرّقص و الحركات تحت فكرة " التسلية فقط لا غير ".

و - نشاط سريّ أو شبه سريّ لبعض التنظيمات الإنشاديّة دون أن يتركوا و لو فرصة لتسليط الأضواء عليهم، لأنهم يعلمون حقيقة **ما معنى أن تُعرف للجميع ؟**.

ز - سريان الإحباط وسط بعض العناصر الإنشاديّة بعدم جدوى جهود الإنشاديّين المبذولة من أجل الدّعوة

الفنيّة، مع حرصهم على العمل بكل جديّة و إخلاص، و هو ما شتّت الجهود العامّة نتيجة **فقد الثقة** في قدرة الآخرين على إحداث ما يتغيّر به الوضع إلى الأفضل.

• الجماعات السريّة : يجهل الكثير من الناس أنّ هناك جماعات سريّة، و قد ينمو علمهم بها إلى حدّ ما، و تنتشر أنشطتها بصفة واسعة في العالم، غير أنّنا هنا نعمد إليها **كمسألة استراتيجيّة.**

علينا أن نلحظ وجود خطّ فاصل بين الجماعة السريّة و الجماعة شبه السريّة، فإذا كانت الأولى تخفي كلّ شيء أو أثر يدلّ عليها؛ فإنّ الثانية تخفي على الأقلّ شيئاً واحدا، إمّا الهدف أو هويّة الأفراد المشكّلين لها، أي أنّه يصعب وضع تصوّر كامل عنها.

تنشأ الجماعة السريّة من لا شيء؛ فهي كيان جديد مشكّل لم تكن من قبل، أمّا شبه السريّة فتنشأ من اتساع رابطة ما قديمة معروفة، كأن تشكّل لجنة سريّة من مؤسّسة معروفة للجميع، و في هذه الحالة تكون طبيعة النشاط هو ما يتّخذ طابع السريّة مثلما يتوفّر عامل إخفاء الأفراد.

يؤدّي الجهل بوجود جماعة سريّة ما إلى تصرّفها من وراء الستار دون أن تخشى إلقاء أيّة لائمة عليها، من هذا الذي يلوم شيئا لا يعلم بوجوده ؟، فهو لديه غير موجود رغم وجود آثاره التي تعزى إلى جماعات أخرى مكشوفة أو إلى العلاقات العادية الطّبيعيّة الرّابطة بين الأشياء.

" الجماعات السّريّة هي التي تحكم العالم، أمّا ما تراه فوق الأرض فهي أبنية تضليليّة ... و ما خفي كان أعظم ".

و الغموض الذي يكتنف هذه الجماعات هو **غموض في ثقافتها**، حيث تمارس أفعالا ثقافيّة لا تريد للجميع أن يطّلع عليها، فهي تخفي كاقة المعلومات كي لا تتفاعل مع غيرها أو مع بعضها البعض، و التفاعل معناه شيء واحد هو اكتشاف السّرّ، بما يترتّب عنه من تداعيات.

أمّا الجماعات شبه السريّة فالهدف من إخفاء جوانب منها معيّنة هو إضفاء نوع من الهالة المقدّسة عليها.

تنشط مخيّلة الإنسان عندما لا تتوفّر معلومات كاملة، ممّا يدفع إلى تكوين جوّ ملئ بالإشاعات هو في الواقع ضباب لا يعرف فيه أحد السّليم من الأمور من خاطئها من مدسوسها، و في هذه الحالة؛ فإنّ مناخاً مشحونا بأفكار متناقضة يخدم الجماعة شبه السريّة، كونه يؤسّس ثقافة خاصّة ترفع من مصداقيّتها.

قوّة الجماعة السريّة في اختفائها عن الأنظار و عن الأسماع، و لكن رغم ذلك تترك نفسها محسوساً بها، ممّا يضاعف قوّتها، كون الجماهير **تخشى من تحس به و لا تراه أكثر ممّن تجهل وجوده أصلا.**

• لعبة الإستخبارات : هي هيئة حكوميّة تابعة للنظام الحاكم تقوم على جمع المعلومات و تحليلها، و من ثمّة بناء واقع و اتّخاذ مواقف معيّنة، خدمة لهذا النظام الحاكم الذي أنشأها، و لعلّك الآن تدرك قيمة المعلومة أكثر من قيمة الجيش نفسه، فما تفيدك آلاف الجنود بكامل أسلحتهم و عتادهم القتاليّ حين لا تعرف أين سيوجّه العدوّ ضربته ؟.

و مثلما تتوفّر معلومات قتاليّة تخصّ الشّأن العسكريّ؛ فإنّ معلومات أخرى **بسيطة** قد تقلب موازين القوى بكاملها، و من هذا المنطلق و الأساس؛ فإنّ الحصول على الآلاف المؤلفة من المعلومات العسكريّة و غير العسكريّة مسألة عادية جدّا و لا غبار عليها.

حين تتوفّر ملايين المعلومات عن الرّوح المعنويّة للناس، و الاقتصاد و الصّحّة ... إلخ، يصبح من الضّروريّ إيجاد وسائل معيّنة للتحكّم بكافة هذه التفاعلات مثل التدخل على مستوى وسائل الإعلام، ليس فحسب كي يتمّ تقنين ما تنشره من معلومات؛ بل لإنتاج سيناريوهات برؤى مغايرة تخدم ما يُسعى إليه، بما في ذلك إنشاء برامج و حتّى إطلاق وسائل إعلام جديدة خفيفة و ثقيلة تصب في خدمة هدف واحد مشترك، **عن طريق التوجيه عن بعد.**

إنّه الواقع المزيّف الذي لا أساس له من الصّحّة، الذي ينشأ بناء على التضليل الإعلاميّ، و خاصّة إذا أوهمنا من هم بداخل هذا الواقع أنّهم مخيّرون فيما يتلقّونه من معلومات.

هل عرفت الآن لماذا أطلقت فضائيّات كثيرة هدفها **إسميّا** خدمة الإنشاد ؟.

لا يعرف القائمون عليها ما الذي جرى في الاجتماعات و في الكواليس ، بل زادهم ما لقوه من متاعب **مقصودة** في سبيل إنشائها إصراراً على تحقيق مشاريعهم.

أ ليس غريباً أنه إذا كانت قناة واحدة أو قناتين تخدمان الإنشاد بصدق؛ تغطّى عليها قنوات أخرى شبيهة لينشأ ضباب إعلاميّ، يسير فيه البعض عن غير هدى ؟.

أ ليس غريباً أن تلمع أسماء إنشاديّة في وسائل إعلاميّة خاصّة أو حكوميّة لا تخدم الإنشاد إطلاقا ؟، ألا يبدو الأمر و كأن هؤلاء المروّج لهم **يُحاوَل تزكيتهم أمام الناس** على أنّهم يمثّلون الإنشاد الحقيقيّ ؟.

لقد لاحظ الكثيرون مظاهر غريبة عن الإنشاد، مثل التوسّع في استعمال اللغات العامية غير الفصحى، و الألحان التافهة المركزة على الرّقص و تشابك الأيادي بين الجنسين، لقد لاحظوا التطرّف لدى بعض الطّوائف حتّى في ذات الطّائفة نفسها ... ؛ من المسؤول عن هذا ؟.

إنّها لعبة من اللّعب الثقافيّة الممارسة على الذين ينظرون إلى العالم **بكلّ براءة.**

تعمد أجهزة الإستخبارات إلى تسريب معلومات تريدها هي أن تكون بين الناس عن طريق الصّحافة مثلا اعتماداً على حقّ هذه الأخيرة في الإعلام، و تحت ستار السّبق الإعلاميّ، و فضول الجمهور المتشوّق لكلّ جديد؛ تصاغ أخبار معيّنة لتسوّق بين الأفراد و الجماعات **بسيناريوهات محبوكة جيّدا بيد علماء النفس و الاجتماع**، لتدخل الثقافة العامّة للناس، قصد دعم الوضع القائم أو الواقع القائم بعبارة أكثر عمقا.

و لكن الأسئلة الآن تختلف تماماً عمّا طُرح في السّابق، لنقول :

من وراء أجهزة الاستخبارات ؟، ما العلاقة التي تربط بينها و بين الجماعات السريّة ؟، إذا كان كلّ شيء يحاك في السريّة التّامّة؛ فهل يتسنّى لنا التفريق بين مصلحة النظام الحاكم و مصالح أخرى **فوق سيادة الدّول ؟.**

إنّ الأمر خطير جدّا و لا نستطيع أن نقول أكثر من ذلك.

02 - مناهج تدمير فنّ الإنشاد :

يدفعنا ما يحدث في العالم من سريان أفكار و ثقافات لا تخدم الإنشاد إلى الشكّ فيمن وراء ذلك، و لاسيّما إذا توفّرت معلومات سبق التطرّق لها، أ فلا تعتقد أنت أنّ هناك من يسعى لتدمير المعنى الحقيقيّ لفنّ الإنشاد **عن طريق التوجيه عن بعد ؟**، و دون أن يكون مضطرّا إلى التدخّل على المباشر.

يمرّ تدمير فنّ الإنشاد بمناهج شتّى و يتّخذ صوراً خاصّة مناسبة لكلّ مقام، مسألة يجب أن تكون معروفة للجميع، لأنّ الثّقافة الحقيقيّة التي يقدّمها الإنشاد **لا تخدم بعض الأطراف.**

و المشكلة أنّ من يدمّرون الإنشاد هم من العائلة الإنشاديّة، بيادق شطرنج يتمّ استغلالها، بعبارة أدقّ ... يتمّ استغلال الجهل المتوفر فيها لضرب الكلّ بهؤلاء.

ما سيأتي هو خطّ دفاع يتحصّن خلفه من توفّرت لهم **عبقريّة اللّعب بقطع الشّطرنج.**

● تمييع الهويّة : هي تكوين نسيج ثقافيّ مشابه للأصل و ليس هو الأصل، **مع إبقاء الإسم كما هو**، و بهذا يكون الفعل إيجاد هويّة مزيّفة تحلّ محلّ الهويّة الأصليّة بهدف طمس معالمها الحقيقيّة؛ و لا سيّما أمام الجمهور الذي لا يفقه في هذه المسائل شيئا، و لا يبحث في جوهرها، لا يهمّه إن حدث تزوير و انتحال، و هو الذي يخفّف عن نفسه بالإنشاد، فبعد التّعب اليوميّ؛ ليس لديه وقت أو قوّة ليتساءل عمّا يستهلكه كترويج و تسلية.

هل تريد أمثلة واقعيّة ؟ :

إنّ إدخال آلات العزف الموسيقيّة في الإنشاد **استعمالاً و ليس توظيفاً** هو تمييع لهويّة الإنشاد، و بذلك تنشأ ثقافة دخيلة خاطئة لا توجد صلة بينها و بين الأصل، و خاصّة إذا تفاعلت المكوّنات من آلات عزف و إيقاع و صوت.

من قال أنّ فنّ التغريد هو فنّ الإنشاد ؟.

من قال أنّ استعمال آلات العزف الموسيقيّة في الإنشاد أمر مستحبّ من أجل التطوير ؟، هل هذه فكرة سليمة جوهريّا ؟.

حينما تميّع الهويّة يحدث خلل في المفاهيم و الأفكار التي تُبنى عليها الثقافة، أي بعبارة أخرى؛ إنّ التفاعل الناشئ هو تفاعل غير سليم مؤسّس على ثقافة ممنوحة من أطراف أحدثوا تطوّراً حسب زعمهم، و لكن ما فعلوه في الحقيقة هو تدميرهم **غير المقصود** للإنشاد، كفن مستقلّ بنفسه، و علم قائم بذاته.

و مع السّيرورة الزّمنيّة؛ يزيد حجم التفاعل الثقافيّ النّاشئ، فلا تتعجّب إذا أصبحت بعض الكوارث واقعاً معاشا، أو تطرح التساؤلات أن لماذا حدث هذا و كيف ؟.

هل عرفت الآن لماذا نطالب دائماً بالحفاظ على شخصيّة الإنشاد ؟.

لأنّ ثقافته هي الوحيدة القادرة على الوقوف في وجه الفنون الغنائيّة الهدّامة إذا لم ننظر إلى فنّ التغريد، أما علمت أنّ هذه الفنون نسمّيها هدّامة **للثقافة السلبيّة** التي تروّجها بين الجماهير ؟، و بالتالي فإنّ المقاومة هي مقاومة ثقافيّة كرقم أوّل.

- توليد الصّراعات : يُنظر إلى الإنشاديّين كأصحاب أفعال ثقافيّة، يمكن جدّا إيجاد أيّ نوع من التناقض بينها لو لم تُحترم كينونة الآخر، و عليه؛ فإنّ صراعات كثيرة ستطفو على السطح و لا مرية في ذلك.

تدفع طبيعة النفس البشريّة بشرها و طمعها إلى الاستيلاء على كل ما تجده أمامها، إذا لم تكبح جماحها، و أمام **تداخل المصالح المتولّدة من هذا الموقف**؛ تزداد حدّة الصّراع، فالمشكلة في المصالح غير المشتركة، أي في الأفكار التي نختلف فيها مع بعضنا البعض، و ما يُبنى عليها من مواقف و اتجاهات و رؤى.

إنّ نموّ صراع ما بين الإنشاديّين إشكاليّة كبرى، فهو زيادة على تفريق كلمتهم؛ يصنع مجالاً ذا طاقة سلبيّة سيوظّفها الشيطان ملقيها الأوّل بينهم، ثمّ تتوالى عمليّات التّوظيف، و تزداد الأوضاع تعقيداً و تعقّنا، و تضيع الدّعوة الفنيّة بين هؤلاء الذين لا يمتّون إلى الفنّ بصلة.

و إذا تعقّنت الأوضاع صعب حلّها دون تضحيات ... دون مشرط الجرّاح ... دون أضحيات بشريّة.

لقد كشفت إحدى الحركات الإنشاديّة عن وجود صراع خفيّ بين الإنشاديّين منذ زمن، و الغريب أنّ الفاعلين يزدادون فرقة و اختلافاً ممّا يوسّع الهوّة بينهم دائما، رغم اللّقاءات من حين لآخر، و بعض الاتفاقات الهشّة و اللّيّنة.

أ ليست الأخلاق زيتا فعّالاً ذا نوعيّة رفيعة يخفّف من وطأة الاحتكاك ؟.

أ ليس الإنشاديّ فنّانا له حسّ مرهف ينأى بنفسه عن النّزاعات و مضارب الصّراع ما استطاع ؟.

على الأقلّ لا يكون قطعة شطرنج تُلعب بأصابع غير كريمة.

- خلط الأوراق : عندما يتناول الإنشاد مواضيع معيّنة؛ فإنّه من البديهيّ أن يكون بينها سلّم أولويّات، ناهيك عن الأفكار المدروسة بدقة و ما ستؤول إليه الأوضاع بناء عليها، فإذا كان القصد الهدم؛ يُكسر سلّم الأولويّات، فتدخل مواضيع لا يعبّر عنها بإيجابيّة مطلوبة، ممّا يزيد من هامش السلبيّة التي تتغذّى على ذاتها.

من اليسير تسجيل فوضى في السّاحة الإنشاديّة العالميّة ... من اليسير إدراك خلل ما في المنظومة، ألا تجد أنّ بعض المواضيع يشوبها شيء من اللّبس ؟، في طريقة المعالجة ؟ ... تكرار ؟، إدراج ما لا يجب إدراجه ؟، ... إلخ.

يتعقّد التفاعل الثقافيّ حينما لا تُحترم الأولويّات، و لكن بدل أن يكون قابلاً للفكّ كما يتخيّله البعض؛ يصير متعقنا ممّا يقضي على كلّ أمل في تصحيحه، هو **نموّ مشوّه** لعمليّات الثقافة بعبارة أكثر عمقاً و بساطة.

لنتكلّم بكلّ صدق عن الجانب الفكريّ أيضا، فالنقد الذي من المفروض أن يكون عامل توجيه و ارتقاء بالإنشاد؛ يوظّف في إثارة زوابع انتقاميّة بين الإنشاديّين، و يطمس معالم الإنشاد الحقيقيّة بترويج أفكار خاطئة تزيد من **هوامش التضليل الثقافيّ**، مثل الصّحافة التي تُعتبر قنوات رسميّة لتوجيه العواطف و تنوير العقول، و تساهم مساهمة لا مثيل لها في تشييد ثقافة إنشاديّة ذات أسس متينة و صلبة.

" عمليّة تحريك عناصر التّفاعل المعلوماتيّ عمليّة معقدة، تشمل تشابك منحنيات قوى مؤثّرة في العمليّة؛ تأثيرات **متغيّرة المستويات باستمرار** "، و من يستطيع أن يحدّد هذه المستويات بصفة تامّة ؟.

• غسيل الإنتاج الإنشاديّ : يُقصد بغسيل الإنتاج الإنشادي إدخال الأعمال الإنشاديّة الخاصّة بالطّوائف الضالّة كالبهائيّة و القاديانيّة مثلا ضمن الإنتاج العادي للإنشاديّين على أنّها أناشيد شرعيّة نابعة من الإسلام، ممّا يسبب تلويث السّاحة بأعمال خارجة عن الملّة، و تشويه سمعة الإسلام و الإنشاد.

يجب أن نتفق جميعاً على مفهوم " الطّائفة الضالّة " كي لا يُتّهم البرئ و يُؤخذ مع غيره، حيث ستجد في العالم كثيراً من الطّوائف و المذاهب الإسلاميّة التي يخالف جانبها الآخر، و ربّما ينعت بعضها بعضا بالضّلال، غير أنّهم **لا يقصدون الكفر في كثير من الأحيان**، بل ضلال أفكار فقط لا يُخرج عن الملة.

إنّ الطّائفة الضّالة هي الطّائفة التي خرجت عن الإسلام بإنكار ما لا يجوز إنكاره، من الأسس الدينيّة كالقرآن الكريم، و النبوّة المنتهية في محمد بن عبد الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و الصّلاة و الزّكاة ... إلخ.

هذه الخطوط الحمراء التي لا يجوز للمسلم الخروج عنها، و ما دام بداخلها فهو آمن أماناً نسبيّا، و ليكن معلوماً أنّنا سنختلف في أفكار و نتّفق في أخرى، **و حتى درجة الاتفاق نختلف فيها**، من الطّبيعيّ جدّا أن تحدث هذه الأمور، نتيجة لتباين درجات قوى العقول.

كتبرير آخر في سياق ذي صلة؛ يمكن إدراك أنّ غسيل الإنتاج الإنشاديّ هو تقديم **ثقافة مسمومة ملوّثة** على حساب الثقافة الحقيقيّة للإنشاد.

و لكن ما هو الإنشاد في هذه الحالة ؟، و ما هو السرّ في القضيّة ؟.

الإنشاد هو دعوة فنيّة أي دعوة الناس إلى الإسلام بالفنّ، زيادة على كونه وسيلة مثلى من وسائل التربية و التسلية و الترفيه، و إذا انحرف الدّاعون عن الهدف المرسوم أو اتّخذوا وسائل غير شرعيّة للوصول إلى المرمى؛ سوف يكون إثمهم أكبر ممّا يدعون إليه.

و هو سرّ المسألة.

03 - إطلالة على الخطط القادمة :

حين نكون عالميّين نرفض التقوقع وراء كلّ ما من شأنه أن يعرقل من عزمنا على نشر الدّعوة؛ ننظر بعيون كلّها أمل و **حذر** إلى المستقبل؛ و تتولّد فينا الرّغبة مثلما يتجدّد الحماس في إدراك ما يجب إدراكه .. ما ينتظرنا في الغد القريب و البعيد.

هنا نتساءل حين نعلم أشياء مخيفة، يتسرّب إلى الذّهن الجهد الطّويل الشاقّ المبذول لتحقيقها ... المشوار الذي قطعه أولئك الذين وصلوا ليلهم بنهارهم، ليصلوا إلى ما خطّطوا إليه، و ما زالوا يخطّطون.

في هذه الفقرة و الفقرات القادمة؛ نتعرّض لبعض العناصر التي تتحكّم فينا كظروف، مجبورون نحن كإنشاديّين على التعامل معها بكلّ حكمة و تبصّر، سائلين الله تعالى أن ينوّرنا بنوره المقدّس، كي تنزاح الغشاوة عن القلوب قبل الأعين البرّاقة.

• الاقتصاد الغريب : يقوم العالم من بين ما يقوم عليه على الاقتصاد، الذي يضمن للناس معيشة كريمة و حياة محترمة، و إذا شئنا تعريفه لقلنا أنّه علم توزيع الثّروات و الخيرات، بما تقتضيه حكمة الله في خلقه، و بهذا نكون قد وضعنا اليد على المفهوم الصّحيح الذي يجب أن يتأسّس **كثقافة عالميّة**.

كإطلالة خاطفة على ما يجري في العالم؛ يسير أن نلمس و بدرجة ملحوظة تلك المفارقات العجيبة، ثروات عظمى بين أيادي قلّة متخمة بشتّى ألوان الخيرات، بينما ترزخ الغالبية في فقر مدقع، و مجاعات تهدّد أمن و حياة شعوب بأكملها، و مستقبلها على وجه الخصوص، ثمّ فجأة؛ تحدث أزمات مالية هنا و هناك في بقاع متفرّقة من العالم، كلّ أزمة ينجرّ عنها شرّ يقاسي منه المجتمع البشريّ داخل منطقة الأزمة و خارجها، دول تكاد تفلس، رغم ما لها من خيرات أو نفائس، و بطالة تطال كلّ وضيع و رفيع، تجعل من الناس تثور على النظام الحاكم، لأنّ كينونتها مهدّدة.

جديرة هي الإشارة إلى عناصر أخرى نجملها في :

أ - سوق الأوراق الماليّة. (البورصة)

ب - تحكّم جماعة معيّنة في ذهب العالم ككلّ.

ج - الشركات المتعدّدة الجنسيّات.

د - الرّبا الفظيع و غير المسبوق عبر التاريخ.

و كأنّ الاقتصاد المتعارف عليه داخله الغشّ و التلاعبات، و تعمّدت بعض الأطراف ترويج مفاهيم مزيّفة عنه في حين تحتفظ لنفسها بأسراره التي تتحكّم بواسطتها في أرزاق العالم.

و بناء عليه؛ سرعان ما تدرك الاحتكارات العظمى للموادّ الأساسيّة شيئا فشيئا، و زيادة الأجور التي لا تخدم لا الموظفين و لا أرباب العمل، ممّا يسبّب تفاقم المشاكل، و أمام قلّة الوعي الاقتصاديّ؛ يطالب العمال بزيادة الأجور مهملين مفتاح المسألة الأسمى، الذي هو انخفاض الموادّ الأساسيّة التي تساهم بدورها في تخفيض الموادّ المصنّعة الأخرى، فتزداد القدرة الشرائيّة.

أمّا الضّرائب فتلك حكاية أخرى.

من الحكمة اقتطاع الضّريبة من الغنيّ لترجع إلى الفقير، و لكن إذا أُهمِل هذا العنصر؛ فإنّ الغنيّ سيزداد غنى على غنى مثلما سيزداد الفقير فقراً على فقر، و سيزداد معه حقده على الطّبقة الغنيّة، و خاصّة عند اشتداد الأزمات بأنواعها، و عليه فلقد شرّع الله الزّكاة كضريبة نضمن بها **تعديلا مثاليّا للثروة**، و حدّد مقدارها و المأخوذة إليهم، كمعرفة لا يمكن للإنسان الوصول إليها بعقله، و حتّى لو تمكّن من إيجاد حلّ المعادلة؛ فبعد أن يضنيه الجهد و تضيع مصالح الناس، و تموت فئران المخابر.

يتخبّط الإنشاديّون في اقتصاد غريب كهذا مثلما يتخبّط فيه آخرون، فيما يسمّيه البعض " مثلّث الرّعب "، التمويل ثمّ الإنتاج ثمّ التسويق، لتعود الدّورة من جديد، و في هذه الحركة سيرورة يمرّ بها كلّ منتوج كان، إن لم يكن مباشرة؛ فمن طريق غير مباشر، فهلاّ فكّرت مليّا و حللت هذا المثلث ؟.

و إذا علمت أنّ خيرات العالم **مغلقة المصادر**، أي أنّها متجدّدة عبر الطبيعة؛ زادت في نفسك نسبة الحرص على الاستحواذ عليها خشية تحكّم الآخرين بها، و هذا هو ما يُقصد به الاحتكارات العظمى، فتصوّر لو أنّ منتوجاً غذائيّاً لا يوجد إلاّ لدى جماعة منتشرة عبر مناطق العالم تتحكم به حسب إرادتها الخالصة؛ و أضف إلى ذلك أنّ المنتوج أساسيّ يدخل في كثير من المنتوجات الأخرى، ألا يدعو هذا الأمر إلى القلق الصّريح ؟.

... لماذا تتدهور الأوضاع الاقتصاديّة الحقيقيّة باستمرار في بعض المناطق و تتحسّن في المناطق الأخرى ؟.

قوّة رأس المال يا سيّدي أكبر بكثير من سلطة الرّئيس و سلطة الملك و سلطة الأمير، و إذا ما تمّ تداول العملة الإلكترونيّة أدخل الجميع أنفسهم إلى القفص المبهرج، و اربط هذا مع سلطة الذّهب و الاحتكارات.

حاول الإجابة على هذا :

إذا طوّقت الأرض بالديون المحكمة و الرّهانات العقاريّة؛ و تمّت السّيطرة على الموارد الصّناعية؛ و أغرقت المضاربات التّجارة، فهل لك من مخرج ؟.

إذا زاد حجم تبييض الأموال غير الشرعيّة **برعاية القوانين** فما انعكاس ذلك على الاقتصاد العالميّ ؟.

إذا كان المثلّث بعبعاً يثير رعب الإنشاديّين على اختلاف اختصاصاتهم، فإلى أيّ مدى يمكن اعتبار **رقم المبيعات مقياساً عامّا للنجاح ؟.**

و نحن الدّعاة يا سيّدي فهل يمكن لنا النشاط في مناخ **مصنّع** كهذا ؟.

• إثارة القلائل في الأماكن الاستراتيجيّة من العالم : تأخذ الصّراعات الدوليّة بعداً طبيعيّا لدى الناس، بحيث ينشغل الكلّ بها من رجل الشارع البسيط إلى المثقف ذي الدّرجة الجامعيّة، و كلّ حسب عقله يجري تحليلات مبسّطة و عميقة في نظره لأحداث الساعة، معتمدين بالدّرجة الأولى على ما يبدو في الصّورة من أسباب دون أن يرفعوا السّتار ليكتشفوا من يقفون خلفه ... إلاّ قليلا.

لنتعرّض إلى قانونين من قوانين علم الاجتماع :

أ - إذا أردت أن توحّد كلّ الأفراد على اختلاف انتماءاتهم السياسيّة و مرجعيّاتهم الفكريّة داخل بلد ما؛ فما عليك إلاّ أن تعلن حرباً ضدّ بلد معيّنة، حينئذ يلتفّ النّاس حول جيشهم ناسين كافة مشاكلهم الدّاخليّة، مؤجّلين النّقاش فيها.

ب - إذا أردت أن تحدث خلخلة داخل مجتمع ما فما عليك إلاّ أن تشعل حربا أهليّة أو على الأقل توتّرا بين القوى التي تضمن له توازنا استراتيجيا، و كلّما أطلت مدّة الحرب؛ كلّما كانت الخلخلة أقوى و أعمق أثرا.

من الحكمة أن تُظهر أسبابا للاستهلاك العام، لأنّ مناقشتها سيضمن لك **حرمة منطقة الأسباب الحقيقيّة** التي لا تعلمها إلاّ الجماعة السريّة التي افتعلت الأزمة.

و لكن ما دخل ذلك في الإنشاد ؟.

تلك أمور السياسة، أ ليس كذلك ؟، و نحن إنشاديّون صنعتنا الكلمة و اللّحن و الإيقاع .

هل نسيت أنّ الوجود مرتبط ببعضه ؟، بحيث لو حدثت أزمة ما لأثرت على أمور أخرى و مسائل ؟، ثمّ إن الجانب الأمنيّ يلغي كلّ اعتبارات غير ذات أهميّة آنية.

هل رأيت فرقة مسرحيّة منشغلين بأداء عملهم و الرّصاص فوق رؤوسهم ؟، أو هل رأيت فنّانا تشكيليّا يرسم لوحات و أمام بيته قنابل تنفجر بين الفينة و الأخرى ؟.

ليس هذا فحسب؛ بل تتعطّل مصالح الناس أمام تدهور الوضع الأمنيّ، فلا اقتصاد يسير بصفة عادية تستقرّ فيه الأسعار و التبادلات، و لا مدارس تفتح أبوابها مطمئنّة على الأبناء الذين دخلوا إليها طلاّب علم.

بعبارة مختصرة و مفهومة ... الكلّ يخشى أن يموت أو أن يصيبه مكروه، و بناء على هذا الخوف الجماعيّ **تتغيّر التصرّفات و تتذبذب العادات.**

تتغيّر في المدّة التي تستغرقها هذه الحرب أو هذا الصّراع معطيات متعدّدة، تؤثر كلّها في الثقافة الناشئة و الثقافة التي كانت من قبل.

هل صدّقت أنّ أسباب الحرب العالميّة الأولى و الثانية هي تلك الأسباب التي درج المؤرّخون على تناولها ؟، أم أنّ هناك دوافع سريّة من أجل إحداث تغيير شامل في العالم لا يكون **إلاّ بواسطة هذين الحربين ؟.**

لاحظ خروج المرأة إلى العمل في أوروبا سدّا للنقص الفادح في الرّجال الذين ذهبوا مع الحرب قتلى، و مطالبتها بحقوق التساوي مع الرّجل، ثمّ انتقال مركز السّيطرة العالميّة إلى أمريكا، ... إلخ.

إننا نثق في بصيرتك لتعيد دراسة الماضي من جديد، و بعيون متفحّصة هذه المرّة اعتماداً على ما تراه يحدث الآن؛ و كأنّ المسألة مخطّط لها منذ عقود طويلة، نعم تأكّد من ذلك تماما، كل شيء يسير وفق خطّة ممنهجة.

لقد كان الحراك الإنشاديّ متطوّرا في الجزائر بداية سنوات التسعينيّات، بالنّظر إلى معطيات تلك الفترة، ثمّ توقف كلّ شيء فجأة حين اندلع الصّراع بين النظام الحاكم و الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ، و غاصت البلاد في الوحل، و كان كلّ شيء قابلا للتوقف في مدّة لا تتجاوز العامين؛ لكنّ أيادٍ خفيّة أرادت الاستمرار العمديّ للأزمة مدّة 10 سنوات ... بتبعاتها، ممّا أحدث **انهياراً في المنظومة الثقافيّة الجزائريّة،** فتغيّرت الأفكار و صار كلّ فرد لا يثق حتّى في أخيه، أي أنّ الشّروخ التي أحدثتها هذه الحرب الأهليّة حسب التعبير الرّسميّ كانت في مستوى عميق جدّا، رغم أنّها كانت بأسلحة خفيفة و متفجّرات تقليديّة.

استقراؤك للتاريخ يا سيّدي هو تنبؤك بالمستقبل، فخذ الصّومال و اليمن، السّاحل الإفريقيّ ... إلخ.

• استعمال قوة الشعب العمياء : الشعب قوة عمياء في يد من يستطيع توجيهها إلى الهدف المراد تدميره، رغم ما فيه من مهندسين و أطبّاء و رجال قانون ... ، و لكن هؤلاء لا يستطيعون فعل أيّ شيء إذا كثر السّفهاء و ما أكثرهم، و تساوت فيه الطّبقة المثقفة مع ما دونها من طبقات.

و حتّى الطبقة المثقفة ليست بمأمن من الغوغائيّة، لأنّ هناك خصائص ستطفو على السّطح إذا نظرنا إلى الجماعة، كالغيرة و الأنانيّة مثلا، و بالتّالي فإنّ قوانين السّلوك الفردي سرعان ما تبدو **عديمة القيمة** في خضم الصّراعات المختلفة داخل جماعة ما.

أنظر متأمّلا التاريخ ... كيف قضى الشعب الهائج على الأرستقراطيّة في أوروبّا ؟، الأرستقراطيّة التي ساهمت في بناء مجتمعات قويّة عبر عصور عدّة تهاوت تحت ضربات الأطفال الذين بلغوا سنّ الرّشد، و تحت أغطية جذابة كالمساواة و الحريّة و غيرها من الشّعارات المسمومة؛ انضوى هؤلاء الجهلة و ما زالوا يواجهون صنوف الموت، ليغنم آخرون ما حققوه من انتصارات.

عاجزون هم عن إقناع أنفسهم بأنّ ما يطالبون به سراب في سراب.

هل سمعت بمنظّمات المجتمع المدنيّ ؟، ربّما يُنظر لها في إطار نفعيّ بحت، بيد أنّها ستقوم بأدوار لا تستطيع الحكومة القيام بها علنا، و هي أداة طيّعة ذات مرونة فائقة في ظلّ انتشار مبادئ الدّيمقراطيّة، هي وسيلة لترويج العولمة بعبارة مختصرة جدّا، رفقة المنظّمات غير الحكوميّة.

مثل المرتزقة الذين يقومون بأعمال قتاليّة لا يستطيع الجيش النظاميّ القيام بها، ليس لأنّ المرتزقة أقوياء، بل لأنّ طبيعة التنظيم تسمح لهم بالمراوغة، فهل تلام الحكومة على أفعال هؤلاء إن أعدموا المدنيّين ؟، **سيُقال أنّهم مسلّحون لا يمثلون سوى أنفسهم.**

يسارع معتنقو نظريّة " الإنشاد للجميع " إلى تبنّي أفكار الغوغاء في الثورات الشعبيّة، عن حسن نيّة طبعاً، فهم صوت الشعب الهائج ضد الظلم و الاستعباد، و لكن هل يعي هؤلاء ما يفعلون ؟، و إذا فهموا مقتضيات اللّعبة؛ **هل يملكون حسن التصرّف ؟.**

ما موقفهم لو تمّ الالتفاف على ثورات الشعوب كما سيحدث لاحقا ؟، ثمّ هل سيدركون الوضع الجديد عن بصيرة أم ينتهي دعمهم بمجرّد تحقيق ما يرمي إليه الشعب من أهداف؛ هي في الحقيقة أوامر سُرّبت إليه بطرق إيحائيّة ؟، ليكتشف في النهاية أنّه كان سلاحاً فتّاكاً في أيادٍ **لا تجرؤ على الوقوف في الأمام** ؟، بعد فوات الأوان.

من أجل تقريب ما سيحدث؛ إليك هذا المثل :

لدينا بناء مشيّد على قطعة من الأرض نريد هدمه و إقامة مشروع خاصّ بنا، لكن صاحبه يرفض بشدّة و بصفة قطعيّة لأنّه سيخسر أملاكه، و عليه سنغري الجيران بهدمه لنا بطرق ملتوية، سنخبرهم **عن صدق و بشهادة الواقع** أنّ هذا البناء يحجب الشمس عنهم مثلا، و أنّه مقام على أرض من المفروض أن تكون مساحة خضراء و حديقة استجمام لراحتهم، و بهذا سنوحي إليهم بالتحرّك لمهاجمة البناء المشيّد لأنّه يهدّد مصالحهم في العيش الرّغيد و الكريم، أمّا صاحب البناء فسيقاوم المهاجمين بطبيعة الحال باستعمال ما يراه مناسبا لدفعهم، و هذا من حقّه، لاحظ جيّدا ... من حقّه، و أمام قيمة التضحيات المدفوعة من الطرفين يزيد الإصرار على تحقيق الأهداف، و في خضمّ هذا الصّراع؛ سنقوّي موقف الجيران حتّى إذا حققوا مطلبهم نلتفّ نحن عليه بسرعة، مقيمين مشروعنا الخاص؛ و متذرّعين بعدّة أسباب **تُصنع حسب الواقع المقبل،** فمن الرابح في النهاية سوانا و نحن في الظّلام ؟.

لاحظ أنّ تقوية موقف الجيران سيتّخذ عدّة أشكال.

يكمن سرّ استعمال قوّة الشعب الهائج في كونه لا يعي ما يفعل، إنّما هي حالة هستيريّة تعتريه؛ فيقبل مدمّراً ذات اليمين و ذات الشمال، و قوات الأمن المختصّة في حفظ النظام أبناؤه، فهل يرضَ الأبناء قمع الإخوة و الآباء ؟.

هذه أعظم فرصة لإحداث انشقاق في أوساطه ثمّ لتندلع أزمة جديدة **تُصنع على ضوئها ثقافة أخرى.**

و بين الأبرياء الذين خرجوا مطالبين بحقوقهم المشروعة؛ يندسّ آخرون لا يعرفون معنى البراءة، فإذا هاجم الشعب سفارة ما أو قنصليّة؛ اغتنم هؤلاء الفرصة و سرقوا أرشيفها ليقدّموه إلى جهة لها مصلحة عظيمة في ذلك.

• التخلّص ممّن يعلم أكثر من اللازم : عندما تتوفّر لديك معلومات سريّة، فأنت شخص خطير على من تعلم بخصوصه، **تستطيع أن تنتج تفاعلاً معلوماتيّا** جديدا بناء على ما يتوفّر لديك ممّا غاب عن الآخرين، و إذا أفشيت ما تخبّؤه؛ وضعت عشرات الناس على الأقلّ **في نطاق تفاعلك**، و هم بدورهم سينشؤون تفاعلاً جديدا، و تزداد حلقة النطاق توسّعا.

و المقصود بالتفاعل هو الثقافة الناشئة، فالمعطيات لديك و أنت ستتصرّف :

أ - انطلاقاً منها نحو معطيات جديدة، فالمعلومة تأتي بمثيلتها.

ب - بناء عليها نحو مواقف جديدة، فبالمعلومة نحكم و بناء على ضوئها.

ج - موازاة بها نحو تصرّفات جديدة، فالمعلومة تتحكّم في أفعالنا.

و يكون هذا التصرّف في أشكال قرارات و ترتيبات و احتياطات ... إلخ، و كي نقطع كلّ طريق ممكنة على إنشاء ثقافة مماثلة؛ يجب **نقل منشئها إلى العالم الآخر.**

و لكن نقله هكذا جهاراً عياناً يثير شبهات ليست في مصلحة القتلة، سيُفسح مجال لإثارة تساؤلات جديّة عن مقتله، و لا سيّما إذا كانت صادرة ممّن يملكون قوّة إثارة مواضيع حسّاسة كالإعلاميّين على سبيل المثال، فهم يستطيعون تنبيه الرّأي العام بمجرّد إشارة بسيطة منهم، و لذا؛ فأحسن طريقة هي التصرف فيه و كأنّ الأمر يبدو طبيعيّا جدا، الناس كلّها تموت و لا يتساءل أحد عن الكواليس و الخلفيّات.

فكرة التخلّص ممّن يعلم أكثر من الحدّ المطلوب لسلامة جماعة سريّة ما **فعل استراتيجيّ**، فقد يُنفى إلى منطقة لا يقدر فيها على صنع مناخ تفاعليّ بالمعلومات التي بحوزته، هذا إن أبعدنا عنه القتل غير المشكوك فيه، أو قد يُضرّ بصحّته العقليّة فيضحى مجنوناً لا يصدّقه أحد، و لا يُقاس على أفعاله.

يقول أحد ضبّاط الاستخبارات المتقاعدين : " لا يوجد سرّ لا يكشفه الزّمن "، فالتاريخ و إن طال و تغيّر حتّى يقول الناس : من المحال أن يكون كذا أو يستحيل أن يحدث هذا؛ سرعان ما تعود الأوضاع حسّاسة مثلما كانت عليه، فتُنبش قبور الأفكار ليُكشف عن أسرار مضت عليها عقود و عقود، بأدلّة قاطعة لا تقبل الشكّ و لا يماري فيها أحد، و هذا ما يسمّى " استخراج المستحاثاة الثقافيّة "، فلا شهود يتكلّمون بما جرى آنذاك؛ و لا وقائع معاشة يكفي أن يستدركها أحد فيذكّر الجميع بها، إنّما هي أدلّة قديمة مضى عليها زمن على تفاعلها، ثمّ عادت لتطفو على السّطح مجدّدا بعدما اعتقد المعنيون بالأمر أنّها غاصت في أعماق الظّلام، و تغوص إلى الأبد.

و بمجرّد عودتها إلى السّطح فإنّها تنشئ تفاعلاً جديداً يغيّر من التفاعل القديم الذي كان مبنيّا :

أ - بها و لكن على شاكلة معلومات مزوّرة و محرّفة.

ب - دونها إذا كانت في السريّة التامّة.

و في كلّ الأحوال فإنّ شرارة توليد التفاعل الثقافيّ الجديد هو شخص لديه معلومات خطيرة.

• التجسّس الشامل : منذ انتشار الهواتف الجوّالة المجهّزة بوسائط الإعلام المتعددة؛ و ناقوس الخطر يُدقّ على مرّ الأيّام، و لا سيّما حين وجد بعض المهندسين ملقّا غريباً في أجهزة الأيفون، لم يستطيعوا تحديد هويّته من الوهلة الأولى، ثمّ اكتشفوا بالبحث أنّه يسجّل جميع تحرّكات مستعمليه ممّا أرعب المنادين بالحريّة الشخصيّة للإنسان، و هم يرون الآن بأمّ أعينهنّ أنّ مفهوم " الحريّة " الذي طالما دافعوا عنه عشقاً و ولعا؛ نظريّ فقط لا وجود له في الطّبيعة.

من الصّعب جدّا قولك الآن أنّك في منطقة آمنة أو مؤمّنة، لن يراك أحد أو يسمعك أحد، فبمجرّد أنّك تحمل هاتفاً خلويّاً؛ فأنت مؤهّل للمراقبة، و تسجيل كلّ كلمة تتفوّه بها حتى و لو كانت لصديقك الذي تسير معه و هاتفك مغلق، هذه مسائل تقنيّة يعلمها أصحابها جيّدا.

ناهيك عن الأقمار الصّناعيّة العسكريّة الخاصّة بالتجسّس، التي تراقب البرّ و البحر شبراً شبرا، و بدقة تصوير مدهشة تصل إلى رصد تحرّك النّملة على التربة، تلتقط صوراً عالية الدقة و تسجّل كلّ ما تلتقطه مجسّاتها، طبعا كلّ ذلك في كتمان تامّ، و تحفظ الوثائق على شكل أرشيف سريّ.

من السّليم أن يعلم الرّأي العام أنّ دولتهم ستطلق قمراً صناعيّا ؟، و لكنّ **يخفون عنهم** طبيعة مهامّه الحقيقيّة.

ألا يثيرك كلّ ذلك ؟.

هل صدّقت أنّك تستطيع إرسال بريد إلكترونيّ مخفيّ الهويّة دون أن يستطيع أحد رصد المكان الذي أرسلته منه ؟، أو أن تختفي وراء شاشة الكمبيوتر؛ متصفّحاً ما شئت من مواقع دون أن يقدر أحد على رصد ما تفعله ؟.

مسكين أنت إذا كنت معتقدا بهذا.

لن تشعر بأنّك مراقب **إذا لم يتّخذ مراقبك تصرّفات تدلّ على مراقبته إيّاك**، و من أنت حتّى تجعل من يقبعون في الجهة الأخرى يتصرّفون تصرّفات تكشف نشاطهم التجسّسيّ ؟، ليسوا بأغبياء إذ أنّ أيّ فعل عشوائيّ منهم سيؤكّد وجود أشياء هم لا يريدون للناس أن يعرفوا بوجودها أصلا، **كي لا يأخذوا حذرهم** و تستمرّ المهزلة و نحن نائمون في العسل.

كلّما تقدّمت التكنولوجيا انحسرت مساحة الحريّة الشخصيّة للفرد و الجماعة، و صار كوكب الأرض بين فكّي كماشة تراقب كلّ صغيرة و كبيرة عليه، **تحت إمرة جماعة صغيرة تخفي نفسها إلى أن يحين الوقت المناسب.**

لدينا بوادر تمكّننا من قول ذلك، فالانتشار السّريع للإنترنيت بكلّ ما تقدّمه من بنية تحتيّة للرّصد، و شبكات المراقبة بالكاميرا الموضوعة في محطّات المترو و القطارات، و المطارات و الجسور و نقاط المرور الحسّاسة؛ تجعل من الفرد و كأنّه فأر في مصيدة كبيرة، و لاسيّما إذا ما تمّ تفعيل بصمة الأصابع و البصمة الصّوتيّة و البصمة الجينيّة المتوارثة، و صورة الوجه ... إلخ.

- العلوم المخفيّة : تمثل العلوم **اليد الاستراتيجيّة الدّنيا** لتحقيق التقدّم على كلّ مستويات الحياة، بما في ذلك الضّروريّات الطبيعيّة كالصّحة و التّغذية؛ إلى ميادين الرّخاء و التسلية و الترفيه.

و بالتالي فإنّ كلّ شيء مرتبط بالعلم أيّا كان و مهما كان، بما تعنيه صفة استراتيجيّة، فهل من الحكمة التغافل عن هذا المفتاح الضّامن لمرونة تحرّكاتك عبر كافة الاتّجاهات ؟.

معروف لدى الجميع أنّ التكنولوجيا مسألة حيويّة لما ترتبط به مع صعيد الأمن خاصّة، دون إهمال باقي الأصعدة الأخرى، و لكن من غير السّليم إهمال العلوم الإنسانيّة التي تخرج عن التكنولوجيا قليلا؛ كالدّراسات النفسيّة أو الاجتماعيّة أو الأدبيّة و حتّى الفنون المختلفة، و الفلسفة أمّ العلوم كونها ترتكز على تناول الميدان الفكريّ بالتّحليل العقليّ و التبصّر، و عليه؛ فإنّها **أولى خطوات التحرّك في عالم الأفكار.**

ما فائدة امتلاكك لكافة وسائل الرّاحة من غسّالة و تلفزة و سيّارة و ما شابه من آخر طراز؛ و عائلتك في معاناة نفسيّة شديدة ؟.

هل ستشعر بالسّعادة إذا انفصلت عنك زوجتك و تكهربت العلاقة بينك و بين أولادك رغم أنّك تعيش في بيت كبير مكيّف و بحوض سباحة رائع ؟.

ما مدى سعادة مجتمع متقدّم تكنولوجيّا يرزخ تحت نير الأزمات النفسيّة و الاجتماعيّة ؟، و التي ستقضي عليه لا محالة طال الزّمن أم قصر ؟.

تذكّر شيئين هامّين :

أ - حين تنعدم القيم الإنسانيّة و تتخدّر فينا مناطق الإحساس بالآخر ... **فعلى الدّنيا** ألف سلام.

ب - حين نشدّ من عضد العلاقة الأفقيّة بيننا جميعاً شاعرين بألم القطّ و معاناة أسماك الأحواض و نقطع صلتنا بخالقنا ... **فعلى قلوبنا** ألف سلام.

نستخلص ممّا سبق أنّ العلوم مزيج من مفاتيح هذا الوجود لا يجوز شرعاً إهمالها **و نحن أمّة إقرأ.**

و لكن للأسف الشّديد؛ أمّة إقرأ لا تقرأ !.

فإذا كان هذا يا سيّدي؛ فهي معطيات لا يمكن كشفها للجميع للسّببين الرّئيسين التاليين :

أ - الحدّ من التفاعل العامّ معها داخل إطار محدّد لا يجب الخروج عنه لأيّ سبب من الأسباب، أي إبقاء الجماعة العالميّة في مناخ معلوماتيّ **مقنّن** حتّى تحين اللحظة السّانحة و الاستراتيجيّة. (تذكّر هذا جيّدا)

ب - استعباد الجماعة العالميّة في كلّ شيء يصلح للاستعباد، من خلال استنزاف موارد الطّاقة التي هي في الأصل طرق قديمة مقارنة بما اكتشف حديثاً من موارد طاقة نظيفة و متجدّدة، و قس على ذلك في كافّة الأشكال الأخرى.

ماذا يحدث لك إن قوبلت بعظائم الاكتشافات دفعة واحدة، و أنت المتأخر عنها بعقود و عقود ؟، تلك هي اللّحظة السانحة و الاستراتيجيّة المقصودة، سيكون الأمر شبيهاً بقتال بين جيشين بينهما فارق أسلحة كبير و شاسع، لا ينفعك سوى إيمانك بالله، و لكنّ الإيمان يستوجب التحكّم في أمور الدّنيا، فلا تعطّل سنن الله في الوجود.

لا يسمح لك التفاعل الثقافيّ مع ما هو موجود بتقبّل ما غاب عنك من اختراعات مذهلة و تحكّم رهيب في قوى الطّبيعة، و تذكّر حين اخترعت الطّباعة كيف قابلها الناس ؟، و كيف كان موقفهم من الطّائرة و الهاتف ؟، و بناء عليه؛ فستقابل الأجيال القادمة كلّ شيء بخضوع تامّ رغم ثقافتها المتقدّمة نسبيّا عنّا، و التي هي في الأصل مقنّنة بما يضمن مسايرة منهجيّة للهدف المحدّد منذ البداية، و يبقى التقدّم متأخّراً أشواطاً و أشواطاً إذا ما قورن بعلوم مخفيّة، قليل من لديه قوّة استبصار عقليّة **تستطيع مجاراتها ثقافيّا.**

»»» ما موقف الإنشاديّين من كلّ ذلك ؟ :

و الله نبدو كمساكين يتامى أمام ما ذُكر، لا حول لنا ولا قوّة، فلا اقتصاد نتحكّم به و لا علوم استراتيجيّة نفرض بواسطتها كلمتنا على الآخرين، و فوق كل ذلك جمهور نحاول إطرابه فتربيته؛ هو بركان خامد يمكن أن ينفجر في أيّة لحظة فتحرق حممه الأخضر قبل اليابس.

و الأغلبيّة من العائلة الإنشاديّة غافلة عن هذا، ترى في الإنشاد تصفيقات حارّة و ألبومات تسجّل و أناشيد مصوّرة تُعرض على الشّاشات المختلفة.

يجب أن يخرج هؤلاء من العلبة ليروا **بأبصار من حديد** ما هو محيط بهم، و أن يغيّروا تلك البلادة التي على أوجههم إلى فطنة و ذكاء و عبقريّة، جيل إنشاديّ مشبّع بالثقافة الإسلاميّة دون مغالاة و لا تعصّب، متّسم بالحذر، يدرك أنّه في عالم فيه الشرّ أعتى من الخير، بدل هؤلاء الذين يتحرّكون فوق مسرح الحياة كدمى بشريّة يسيّرها الأشرار عن بعد، فهل تعلم الدّمية هويّة من يتحكّم بها ؟ ... و ما ستفعل لو علمت ؟.

04 - المقاومة و الإرهاب :

ربّما ستحتار لمّا تقرأ هذا العنوان، و ربّما لست وحدك من سيتعجّب من ذلك، إنّما تعرّضنا للمقاومة و الإرهاب من باب تعرّض هؤلاء لنا، لا أكثر و لا أقلّ، و بعيداً عن المفهوم الذي يخالط بعضه بعضا؛ و بعيداً عن التصوّرات السياسيّة؛ فإنّ المقاوم و الإرهابيّ؛ يستعمل الأناشيد لبثّ الحماسة في نفسه، و هي تعبير في آن واحد عن مجهوداته في صدّ عدوّه، و تخليد نسبيّ للشهداء و الموتى.

و إذا كان الإرهابيّ هو المقاوم عند البعض؛ فذلك لوضعه في أدنى سلّم الاعتبارات، بل جعل الحيوان أسمى حقوقاً منه، ثمّ ما طبيعة النّظرة التي يوليها الحاكم الشرعيّ لغيره ممّن يبتغون هدم سلطانه بالقوّة و الجبروت ؟.

أ ليس من حقه اتّخاذ كافّة التدابير لحماية الناس ؟، و لا سيّما أنّ عواقب الانفلات الأمنيّ **ستكون وخيمة جدّاً،** ستنعكس آثارها على عدّة جوانب ؟، كالاقتصاد و الأخلاق و البيئة ... إلخ، و مصطلح " إرهابيّ " المطلوق على المقاوم هو هجوم إعلاميّ عليه، لتشويه صورته و سمعته أمام الآخرين، فيقبلون أيّ فعل ضدّه.

عاديّ جدّا أن يرى واضع النّظارة السّوداء كلّ شيء أسود أمامه، أو على الأقلّ شيئاً من الأسود.

يكمن الفرق بين المقاوم و الإرهابيّ في الوسيلة المستعملة؛ فإذا كانت من باب الغاية التي تبرّر كلّ شيء؛ فلا معنى للهدف الذي يُسعى من أجله، و ليس الإرهابيّ من يدافع عن أرضه و شعبه و ثقافته بما يجوز له الدّفاع به، إنّما هو الحقّ في البقاء؛ و الإبقاء على ما يضمن له البقاء.

• قضيّة فلسطين : تحتلّ الأناشيد كبرى الفضاءات في القضيّة الفلسطينيّة، أو لنقل أنّ مسألة فلسطين أخذت من الإنشاد كلّ مأخذ، إذ طغت طغيانا ظاهراً على جميع ما أنشد؛ على الأقلّ في القرن العشرين، و لقد لاحظ الكثيرون أنّ ألبومات كاملة خصّصت لهذه الأرض المقدّسة، شعراء وهبوا أنفسهم قبل أقلامهم لمن أخرجوا من ديارهم تحت هجمات عصابات " الهاجانا " و " ليحي " و " شتورن " الإرهابيّة، و تشتّتوا في المخيّمات في ظروف مزرية للغاية.

لقد أرّخت الأناشيد أحداث فلسطين مثلما أرخته الكتب التّاريخيّة و الرّوايات والسّينما، و رسّخت ثقافة الأهالي وفق نمط جديد فنيّ لدى النّاس على اختلاف دياناتهم و ألوانهم و لغاتهم، و حتّى و لو كانت فلسطين معروفة في العالم للدّيانات السّماويّة؛ فإنّ الإنشاد **زاد من تعريف شعبها للشّعوب الأخرى**، بعدما كان في الدّرجة الثانية بعد قدسيّة المكان.

لقد ساهمت الأناشيد في التعريف بثقافة الفلسطينيّين للعالم، كالرّقص الشّعبيّ و اللّباس التقليديّ.

و عموما؛ فإنّ علاقة الإنشاد بفلسطين لا تتجاوز :

أ - مسألة اللاّجئين و حقّهم في العودة إلى أراضيهم التي هُجّروا منها بالقوّة.

ب - الكفاح المسلّح للفلسطينيّين بغض النظر عن اتجاهاتهم، فالصّهيونيّة تنظر للفلسطينيّ على أنّه نزيل غير شرعيّ في أرضه؛ و لا تخفّف نزعته من تلك الرّؤية، **إنّما تحدّد التكتيك المتّبع معه لا غير.**

ج - قضيّة الأسرى و المعتقلين.

• تنظيم القاعدة : يستعمل تنظيم القاعدة الأناشيد كمحرّك نفسيّ بناء على نظرته للعقيدة الدّينيّة كوسيلة إيداع لرسائله، أي أنّ الثقافة التي تحويها أناشيد معيّنة تستعمل في بناء ثقافته الخاصّة به.

و لا يُشترط أن تكون الأناشيد المعيّنة تمجّد ما يقوم به هذا التنظيم مباشرة، بل أيّة أنشودة **فيها جزء من ثقافته يستعملها**، و كأنّها تنطلق من جذور أفكاره.

هذه المزايدة في عناصر الوجود هي ما يعطي لبعض العناصر امتداداً في الطّبيعة، أي الانتشار الثقافيّ على حساب التراجعات من جهة؛ و المواقف من جهة أخرى.

مفهومة جدّا مسألة التراجعات التي هي عكس الانتشار، أمّا المواقف الثقافيّة فهي مثلما ذكرناه سابقا، إيجاد علاقة بين شيء موجود و آخر لم يكن الأول ليوافقه في الفكرة بصفة تامّة، و لكن وجوده **كعنصر قابل للتّأويل إلى أيّة جهة ممكنة**؛ هو ما خوّله ضمن أيّة ثقافة توظّفه لصالحها.

• حركات الانفصال : تسمّى " حركة انفصاليّة " كلّ حركة تسعى لتأسيس دولة مستقلّة عن الدّولة الأمّ، و لكن تجدر الإشارة هنا و بصفة أكثر إلحاحاً إلى أن الحركة الإنفصاليّة تهدف إلى الخروج عن النظام الحاكم **غير المسلم**، مثل الذي حدث في الشّيشان حين نهض الانفصاليّون مطالبين بالاستقلال عن الرّوس الشيوعيّين، الذين ينظرون إلى الإلحاد كعقيدة يدينون بها.

إذن فالإنشاد هنا يصبح تعبيراً صريحاً عن الثقافة الإسلامية، بغضّ النظر عن قوميّة الشّعب المطالب بالانفصال.

هذا من زاوية؛ أمّا من زاوية مماثلة؛ فلقد تناولت الأناشيد الحركات الانفصاليّة وفق النقاط الآتية :

أ - التركيز على الجانب الإنسانيّ؛ و آلام المستضعفين من النّساء و الولدان و الشّيوخ.

ب - الجهاد ضدّ الكفّار الحاكمين بغير شريعة الله في أرضه.

سبب وجود الحركة الانفصاليّة هو التضييق الممارس على المسلمين في شعائرهم التعبّديّة، أو القوانين الوضعيّة المغالى فيها؛ بحيث تؤثّر تأثيراً سلبيّا بالغاً على كلّ مسلم و مسلمة.

غير أنّنا لا نضمن اعتدال الحركات الانفصالية دائما؛ فقد تتطرّف و تنزع إلى عدّة اتجاهات أخرى غير سليمة، ممّا يؤثّر على الثقافة الإنشاديّة التي تقدّمها للآخر، و لا سيّما إذا استولت عليها النّزعة الوطنيّة أو القوميّة، أو اخترقتها أجهزة الاستخبارات.

● الجماعات الإسلاميّة المسلّحة : لسنا هنا في موقف ما فعلته هذه الجماعات حين خرجت عن أنظمتها الحاكمة بدعوى ابتعادها عن شرع الله، و لكن مجال حديثنا يبدأ حين بدأت بعض الدّول العربيّة بالتفكّك تحت ضربات الشّعب الهائج؛ الذي طالما أحسّ بالظّلم و التهميش، و رسم عليه الفقر معالم ثقافيّة جديدة، لم يكن ليقبلها و هو يرى تقلّب نخبة صغيرة في الغنى الفاحش.

أدّت هشاشة السّلطة في مناطق متفرّقة إلى صراع بين مختلف القوى الشعبيّة، و لمّا أصبحت كلّ قوّة تملك أسلحة نارية؛ بدأت طبول الحرب الأهليّة تُقرع من حين لآخر، كتهديد محتمل جدّا أن يحدث في المنطقة، لأنّ كلّ طرف أضحى يرى وجوب تحقيق مصالحه بالقوّة، و إن وجل أو تراجع؛ أعطى للآخرين فرصة ذهبيّة لاجتثاثه.

ثمّ سرعان ما تتوحّد بعض هذه الجماعات المسلحة مع تنظيم القاعدة **فكريّا،** تحت العقليّة الجهادية و فكرة الخلافة الشّاملة، و التوحّد الفكريّ معناه التوحّد الثقافي بما يشمله من رؤية للفنّ و الإنشاد بصفة خاصّة.

مرحلة الانتقال إلى الدّيمقراطية مرحلة حسّاسة جدّا، كونها يمكن أن تحرق كلّ شيء لتبني كلّ شيء، أي تدمير كلّ الأفكار السّابقة بناء على واقع جديد فرضته الظّروف؛ لتُبنى ثقافة جديدة تختلف كليّة عمّا كان في الأوّل، طبعاً كلّ منطقة إلا و لها خصوصيّة تجعل من الظّروف المحيطة بالتغييرات الحادثة فيها؛ ظروفاً تميّزها عن غيرها.

إنّ طبيعة الإنشاد التي تتمتّع بها هذه الجماعات هي القائمة على مرجعيّتها فقط.

و سواء كانت جماعة إسلاميّة معتدلة أو متطرّفة؛ فإنّها تبقى جماعة لها ثقافتها الخاصّة بها دون غيرها من الجماعات المحليّة، قبل أن تكون مسلّحة، لأنّ السّلاح هو امتداد لثقافتها، و انعكاس للعنف الذي هو جزء من أفكارها، و قد يكون ردّ فعل على فعل مطبّق نحوها اتّسم بالعنف أو هضم للحقوق؛ مع إغلاق كافّة أبواب الاسترداد السّلميّ.

أو قد يكون السّلاح مؤشّراً لتوازن القوى دون التوسّع في استعماله.

05 - رعاة الثقافة الإنشاديّة :

أما آن لك أن تتساءل عن هؤلاء الذين يمثّلون الثقافة الإنشاديّة ؟، بعيداً عن أسمائهم، فالأجدر هو خلفيّاتهم الانتمائيّة، أو بعبارة أدق؛ **خلفيّاتهم الثقافيّة و أرضيّاتهم الفكريّة التي انطلقوا منها و ينطلقون.**

لنميّز بين :

أ - إنشاديّين منضوين تحت لواء جماعة معيّنة تمثّل لهم الانتماء.

ب - إنشاديّين أحرار همّهم الوحيد هو الإنشاد و ليست لهم أيّة صلة بأيّة جماعة كانت.

ج - إنشاديّين متعاطفين مع جماعة ما أو مع جماعات.

و عندما نقول جماعة؛ فإنّنا نعني حركة إسلاميّة بالدّرجة الأولى، أو طائفة أو مذهب أخذ صورة الحركة، و في التالي تعرّض للبعض منها مثالاً لا حصرا؛ رعت الإنشاد كثقافة من نوع خاصّ، دون الغوص بداخل أيّة حركة أو التعرّض لظروف نشأتها، إنّما ما يهمّنا هو الكيفيّة التي تأخذ بها فنّ الإنشاد.

... هي الثقافة الإنشاديّة التي تقدّمها للجمهور.

و لا تنسَ أنّ هذه الحركات الإسلاميّة يمكن لها أن تتأقلم مع مستجدّات العصر، مثلما لها أن تظلّ جامدة.

● الصّوفيّة : ينظر الصّوفيّون إلى الإنشاد كوسيلة تعبير تكشف ما يتأجّج بداخلهم من أحاسيس، و ما يغمرهم من مشاعر دفاقة تجاه الله الواحد الأحد، بما يسمّونه " العشق "، إذن؛ فالإنشاد لديهم يحتلّ مرتبة الترجمة الفنيّة العاطفيّة لما يجيش في الصّدور.

هذا من ناحية؛ من ناحية أخرى؛ لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم حظّ وفير من هذه الثّقافة، التي تعكس حبّهم له و اعتباره رمزاً من رموز محبّة الله للوجود، حتّى أرسل نبيّا حبيبا له خاتماً للرّسالة.

لاحظ أرجوك ما يلي : لا يفرّق الصّوفيّون بين فنّ الإنشاد و فنّ التغريد، ما يهمّ لديهم هو فنّ غنائيّ يعبّر عن

ولعهم بحبّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و كي لا نظلم أيّ أحد؛ هناك من يضع فرقاً واضحاً بين الفنّين؛ حفاظاً على هويّة ما يشتغل به، أمثال المنشد محمّد منذر سرمينيّ الملقب بأبي الجود.

و عليه؛ فإنّ الصّوفيّة كرعاة للثقافة الإنشاديّة **يسيرون في رواق لا يحيدون عنه إلاّ قليلا،** همّهم الوحيد هو الحبّ العظيم لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، في طقوس تعتبر تقاليد خاصّة بهم.

- الإخوان المسلمون : تأخذ النظرة إلى الإنشاد عند هذه الحركة الإسلاميّة طابع الدّعوة الفنيّة، المتجدّدة عبر العصور و الأزمنة، بما يتوافق مع متطلّبات كلّ عصر، بغضّ النظر إن كان أتباع هذه الحركة قد تماشوا معه بما يجب أم بخلوا بشأنه، فالمهمّ ما يأخذه من مرتبة في النسق الدّعويّ، و لو أنّ بعض المؤرّخين يصنّفون مواضيع معاناة هذه الجماعة عند نشأتها ضمن مرحلة تاريخيّة مؤلمة.

ما لاقوه الإخوان المسلمون في سجون جمال عبد الناصر انعكس في أناشيدهم، على الأقلّ في الأشعار التي نظمها شعراؤهم، و لكن لنكن موضوعيّين أكثر قليلا؛ لقد كان الاضطهاد الممارس عليهم من طرف بعض الأنظمة الحاكمة في سوريا مثلا هاجسا؛ لا يمكن بأيّ شكل تجاهله.

لنضع خطّا بين ظروف النشأة و ما تبعها من تبنّ للإنشاد كأداة دعويّة؛ و بين متاعب الطّريق و ما ينشد تعبيراً عنها و تأريخا.

يمكن تلخيص الثقافة الإنشاديّة عند هذه الحركة في :

أ - تسلية لا تحمل بين طيّاتها حرجاً شرعيّا.

ب - تربية و تنشئة للأجيال.

ج - وسيلة آمنة لملأ الفراغ.

يركّز الإخوان المسلمون على أخذ الإنشاد بالدّراسة و التعلّم، من أجل الوقوف على أهمّ مراكز القوّة لهذا الفنّ الغنائيّ، و لا يمانعون في تطعيمه بالفنون الغنائية الأخرى، بشرط المحافظة على هويّته التي بها يُعرف، و هو يسير إلى جانب وسائل دعويّة أخرى كالمسرح و الفيلم.

- الشّيعة : الإنشاد ترجمان فنيّ لآل البيت عليهم السّلام، من خلال تذكير الجمهور بأحزانهم و ما لقوه من متاعب و ما قاسوه من عذاب و اضطهاد مقابل صمودهم على الحقّ، حتّى أنّهم يطلقون مصطلح " رادود " على منشد هذا الحقل الغنائيّ.

و رغم ذلك؛ فإنّ للشّيعة أناشيد متنوّعة أخرى، ساهمت في نشر الدّعوة و ما زالت تساهم بحصّتها، كمعالجة قضايا إنسانيّة مثل الفقر و اليتم، و مسألة فلسطين، إلى غير ذلك من المواضيع.

لكن ما هو معروف للجميع؛ ثقافة الشيعة الإنشاديّة ثقافة تعكس آلام آل البيت عليهم السّلام، حتّى أنّ البعض يلقبّهم بالمختصّين في قضايا المظلومين، باتّخاذ الحسين رضي الله عنه و رحمه رمزاً دينيّا ذا مرجعيّة خاصّة.

- أصحاب الدّعوة و التبليغ (التبليغيّون) : لقد لاحظ جميع المهتمّين بدراسة أحوال هذه الجماعة أنّ أعضائها مشغولون بدعوة النّاس وفق منهج يرونه مناسبا، و لكن **هل يمنع ذلك إلقاء الثقافة التي يريدون بعثها في ثوب فنيّ ؟**، تماشياً مع متطلّبات العصر، و لو بدا هذا غريباً لدى البعض؛ فإنّه حتميّة بكلّ ما تعنيه هذه الكلمة من أبعاد.

لو نظرنا إلى **عمليّة نشر الأيديولوجيا** عبر التاريخ؛ فإنّها دعوة إلى أفكار معيّنة ... دعوة إلى تبنّي ثقافة من نوع ما، و كلّ ذلك بواسطة طرق جديدة ملتوية إن صحّ التعبير، بعيداً عن " خذ هذا و لا تأخذ ذاك ".

الآن ... جزء من الآخر يغزو الآخرين بثقافته التي هي في مقام كهذا سلاح؛ و أيّ سلاح.

لقد جنّدت هذه الجماعة كثيراً من الفنّانين منهم الإنشاديّين؛ أو لنقل صحّحت ثقافتهم ناقلة إيّاهم من طريق كله غواية و فساد إلى سبيل سويّ كله أنوار، و هذا دليل نجاح لها كحركة إسلاميّة لها وزنها في السّاحة العالميّة، و النّجاح مثلما هو أموال تستثمر و جهد يُستغلّ؛ هو استراتيجيّات مخاطبة الآخر بما يؤثّر فيه كلّ الأثر، و من أقرب السّبل.

• الإباضيّة : تحافظ الثقافة الإنشاديّة على مقوّمات الأمّة و موروثاتها الحضاريّة، **و رسالة حيويّة و استراتيجيّة من رسائل الإيمان**، هذا باختصار دور الإنشاد لدى الحركة الإباضية، و لا ينسى المؤرّخون ما قامت به من جهود جبّارة قصد الإبقاء على المجتمع الذي تنتشر فيه نظيفاً سليماً من الآفات.

تستطيع الثقافة الإنشاديّة تكوين نسق **كامل مكمّل** يسير عليه المجتمع، يشمل النّصيحة في الله، و الإرشاد لخير الفرد و الجماعة، علاوة على التّربية التي يتلقاها المنضمّون للفرق الإنشاديّة.

و يشمل النسق الموروثات الدّينيّة، **نقلاً من جيل إلى الذي بعده حفاظاً على العقيدة السّليمة**، و وسيلة **ترسيخ الإيمان** بما يجب الإيمان به في نفوس النّاشئة، كما يؤمّن من الصّراع الذي يمكن أن يحدث بين الأجيال، نظراً للاختلالات التّربويّة الطّارئة، و هو مشكل تعاني منه كافّة المجتمعات تقريبا، إلاّ التي عرفت كيف تقضي على الثغرات، و الشّروخ الناشئة من التحوّل الإجتماعيّ.

إذن فالإنشاد هو :

أ - وسيلة توريث نوعيّة للأجيال المتعاقبة.

ب - وسيلة وقاية من صراع الأجيال.

• الوهّابيّة : الإنشاد تخفيف عن النفس من ضغوط الحياة، و إلهاب للحماسة في الصّدور بمواضيع تهمّ الأمة كالجهاد على سبيل المثال.

يرفض علماء الوهّابيّة **أن يعترفوا بالأناشيد على كونها إسلاميّة تجوز ديمومة مطلقة**، بل يقولون أنّها من سلامة الشعر و الكلمة؛ و ترفّع اللحن عن باقي الفنون الغنائيّة الأخرى؛ يقصدون التي فيها حرج شرعيّ، بهذا فإنّهم ينشؤون ثقافة خاصّة تميّزها، تبقيها في مأمن من **المساحات المتشابهة** التي يمكن تقاسمها مع الآخرين و لو عفويّا.

إنّ **الإنشاد في مذهب النشيد** هو ما تذهب إليه هذه الحركة دون أن تقبل بآلات الإيقاع التي تصنّفها ضمن الموسيقى، و لو أنّ البعض منهم ينظر إلى الدّفّ كآلة إيقاع جائز استعمالها.

و لسنا في مقام نحكم منه عليها أ جانبت الصّواب أم أخطئت؛ بل نلمّح إلى أنّ كلّ شيء هو **علم** ينبغي أخذه بالدّراسة و التعلّم و التحليل، و النّشيد هو فضاء واسع يدخل ضمن الدّائرة الموسيقيّة، كالمقامات على سبيل المثال، فإذا كان القصد التحكّم في الشيء مهما كان، و الولوج إلى ما وراء الظّاهر؛ فعلينا بمفتاحه شئنا ذلك أم أبينا.

»»» لماذا نجد في السّاحة ثقافة إنشاديّة متطرّفة ؟ :

إذا كان رعاة الثقافة الإنشاديّة يختلفون في نظراتهم إلى فنّ الإنشاد و ما يمكن له فعله في الواقع؛ ففي هذا تكامل وجيه في زوايا النّظر، و اعتبار لا يمكن إهماله، بيد أنّ المدقق في ثنايا الميدان و خفاياه، سيصطدم بنوع من الذين يبالغون في أفكارهم، و يذهبون بعيداً إلى مساحة لا يجب أن يكون فيها ؟.

أو الإنشاديون المستقلّون عن هذه الحركات و الجماعات بما يجعلهم في فوضى من الأفكار، لا سيّما غياب مرجعيّة تحفظهم من الضّلال ؟، أو الإنشاديّون المتأثّرون الذين تحرّكهم عواطفهم تجاه هذه الجماعات دون أن يحكّموا عقولهم فيما يجب أن يكون أو لا يكون ؟.

هناك ثقافة إنشاديّة **متطرّفة من الجميع**، من بعض الصّوفيّة الذين يغالون في أفكارهم تجاه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و من بعض الشّيعة الذين يغالون بدورهم في حبّهم لآل البيت عليهم السّلام، و من بعض الإخوان المسلمين الذين يخلطون في الأولويّات، و هكذا هي الحال.

مكّن غياب حدود واضحة للجميع من وجود ثقافة إنشاديّة يُنظر إليها من أطرافها على كونها تمادياً غير محمود العواقب، يمكن أن ينشئ توالداً فكريّا سلبيّا تحت الفعل و ردّ الفعل، فلاحظ شيئين هامّين :

أ - المعتمدون على العاطفة تأخذهم أحاسيسهم بعيداً عن الحقيقة و لو بشعرة.

ب - المعتمدون على العقل يأخذهم تفكيرهم بعيداً عن الحقيقة و لو بشعرة.

فإذا كان الاندفاع وراء العاطفة مفهوما؛ فكيف يكون العقل الذي هو أداة معرفة الحقيقة آخذ إلى الباطل ؟، إنّه الخلط بين ما يجب أن يُؤخذ كأولويّة؛ و بين المدى الذي يمكن أن نذهب إليه في هذا الأخذ ؟.

و تبقى الأناشيد تعبّر **عن كلّ ما يستطيع اللّسان الإنسانيّ التعبير عنه؛** هي المشاعر و الأحاسيس ... هي صوت العقل و الحكمة ... هي ترجمان الدّعوة إلى الله، فإذا كانت مغالاة في أيّ شيء؛ فلها خلفيّات و أسباب يجب البحث عنها للوصول إلى الحقائق كاملة.

و نؤكّد أنّا إذا كنّا تعرّضنا لهؤلاء الرّعاة؛ فلأنّ الشهرة لعبت دورها؛ و لا يمنع ذلك بأيّة حال من الأحوال وجود حركات مشابهة في بقاع أخرى من العالم على غرار جنوب إفريقيا، و الولايات المتّحدة الأمريكيّة، و أمريكا الجنوبيّة.

... رغم كلّ ما قيل؛ فإنّ هناك من يدّعي أنّ جميع الحركات الإسلاميّة لم تستطع صياغة وعي حقيقيّ في الفنّ، بما في ذلك الموسيقى لأسباب كثيرة **!**.

و يبقى كلّ شخص حرّاً في اعتقاد ما يريد.

الفصل الثامن :

♦ نماذج ثقافيّة ♦

01 - ثقافة استراتيجيا الإنتاج.

02 - ثقافة اقتناء المنتوج الأصليّ.

03 - ثقافة الأرشفة.

04 - ثقافة الأمن المعلوماتيّ.

05 - ثقافة المعرفة المتنامية.

06 - ثقافة الرّياضة.

07 - ثقافة الأمل.

08 - ثقافة التسامح.

الفصل الثامن : نماذج ثقافيّة

إنّ اكتساب ثقافة ما معناه مجموعة أفكار تتفاعل فيما بينها؛ تحدّد تصرّفاً معيّناً قولاً كان أو فعلا، و في هذا الفصل نتطرّق إلى نماذج من بعض الثقافات التي تدور كلّها في مدار الإنشاد، سواء تعلّق الأمر بالإنشاديّ؛ أو خُصّ به الجمهور كطرف ثانٍ في معادلة التخاطب.

01 - ثقافة استراتيجيا الإنتاج :

هي ثقافة مفقودة لدى نسبة ما من الإنشاديّين، إذ يتعلّق الأمر بمجموعة أفكار تمثّل قواعد أساسيّة للإنتاج الإنشاديّ، من خطّ البداية إلى خطّ الوصول، و هي لبنات تحقق شرط التناسب لإقامة بناء له من المتانة ما يمكث به طويلا في الميدان، مبرهناً على مصداقيّته بفعاليّته.

ترتبط ثقافة استراتيجيا الإنتاج **بقضيّة الاختصاص** بكلّ ما يذهب إليه هذا المفهوم من أبعاد، فمن المرجّح في مثل هذه الأحوال أنّ **الخبير أفضل من المثقّف**، فهو يملك مفاتيح معرفة أكثر فعاليّة، و بالتالي فإنّ اتّساع دائرة المشاركين في صناعة المنتوج الإنشاديّ أمر لا مهرب منه على الإطلاق، حيث نبحث عن كلّ شيء محدّد مضبوط لدى إنشاديّ معيّن باختصاصه، و لترتفع التكاليف بطبيعة الحال إذا ما اتخذنا المنظار الاقتصادي أداة رؤية.

02 - ثقافة اقتناء المنتوج الأصليّ :

تخصّ هذه الثقافة الإنشاديّ و الجمهور، و ربّما كان هذا الأخير المخاطب الرّئيس، غير أنّ مجموعة من الأفكار التي تحدّد هذه الثقافة؛ لها من التأثير العام ما يجعلها تتحكّم في الاقتصاد الإنشاديّ.

اقتناء المنتوج الأصليّ معناه قطع الطّريق على كلّ **تسرّبات ماليّة خارج المسار الحقيقيّ المشروع و الشّرعيّ**، لتذهب البصيرة هنا إلى أبعد من الاقتصاد؛ حيث تصبح القضيّة قضيّة أمنيّة، يُقطع الطريق بواسطتها هذه المرّة على مزوّريّ الرّسائل الدّعويّة، و الغشاشين الذين يضرّون بالصّحّة العامّة في إطار ضام، من خلال بثّ سموم مميتة أو مهلوسة.

لقد حدث أن زُوّرت بعض المنتوجات الإنشاديّة بهدف السّعي وراء الرّبح السريع، ممّا يشوّه أصحاب الرّسالة الحقيقيّة لدى الجمهور **الذي لا يفرّق بين الأصلي و غيره**.

03 - ثقافة الأرشفة :

تمثّل الأرشفة صورة من صور التراكم المعرفيّ، فهي الاحتفاظ بالمعلومات قصد الرّجوع إليها متى ما اقتضت الضّرورة، و يدخل في نطاق ذلك سهولة الوصول إلى المعلومة إذا كانت بطبيعة الحال و تكون؛ فوق آلاف المعلومات و تحتها، و لا نقصد بالأرشفة ضمّ معلومة على معلومة كيفما اتّفق؛ بل هي **الاحتفاظ النوعيّ المختلف الصّحيّ**، الذي يوفّر شيئين هامّين في الآن نفسه، عامل جودة المعلومة صورة ثابتة أو متحرّكة مثلا؛ و عامل الاحتفاظ بها كما هي دون أن يصيبها تلف يقلّل من استخدامها و فعاليته.

بالأرشفة نقيّد المعلومة خشية النّسيان.

04 - ثقافة الأمن المعلوماتيّ :

إنّ عبارة " ليست كل المعلومات صالحة للنشر " تعكس بسمة أكثر جدارة و وضوح ما ينبغي قوله في هذا الموقف، بحيث تؤمّن إحاطة شاملة بكلّ ما تستوجب الإشارة إليه من قريب أو من بعيد، فلو أخذنا بالحسبان أنّ ما بعد معرفة المعلومة يكمن الخطر؛ لاتّضح كلّ شيء.

تتمثّل ثقافة الأمن المعلوماتيّ في الحذر من تسرّب بعض المعلومات، كونها تضرّ بالأسرة الإنشاديّة على أيّ مستوى كان، مع العلم أنّ حساسيّة المعلومات خاضع للمتعلّقات بها كالأشخاص و الزّمن و المكان ... إلخ.

كما يمكن **تشفير المعلومات** بحيث تنشأ لغة خاصّة يفهمها من هو مطلوب منه استقبال هذه المعلومات فقط دون سواه.

05 - ثقافة المعرفة المتنامية :

ليست المعرفة ثابتة ستاتيكيّة كما كان يتوهّم البعض و ما زالوا كذلك، إنّما هي **متجدّدة ديناميكيّة**، يجب على كلّ فرد أن يتمتّع بثقافة اكتسابها دائماً في كلّ وقت و مكان، و يعتبر هذا التجدّد في المعرفة بمثابة **رافد يعمل كمقاوم لتعكير المياه**، فتتجدّد المعلومات و المعطيات المعرفيّة التي تزوّدنا باستمرار بأفكار جديدة لا تنضب، تكون مادّة أوّليّة للعقل لإنتاج أفكار جديدة أخرى. (ثقافة)

و لمّا نقول تجديد الثقافة؛ نقصد تجديد الأفكار بواسطة المعرفة المجرّبة التي لا تنتهي إلى يوم القيامة، شرط أن تدخل ضمن إطار منهج معيّن، فلا يضيع الوقت هباء منثوراً بحجّة أننا نتعلّم، و إذا وُجدت مسألة ما في المعرفة المرسلة؛ يغنينا وجودها عن السير في طريق الخطأ و الصّواب.

إنّنا نحاول أن نكسب خبرة، إضافة إلى مخزون معرفيّ، ناظرين إلى نوعيّة ما نصنّفه كإرث للأجيال القادمة، مستثمرين في الزّمن بالدّرجة الأولى.

06 - ثقافة الرّياضة :

يروّج الكثيرون لمقولة العقل السّليم في الجسم السّليم، المهمّ أنّ السّلامة مسألة يجب الحفاظ عليها بألوان طيفها الواسعة، بغضّ النّظر عن إشكاليّة من قبل الآخر، أو التّساؤل الذي يطرح نفسه لدى الفلاسفة حول مفهومي " العقل " و " الجسم " و جوهريهما.

إنّ الرّياضة ثقافة يجب أن تكون حاضرة عند الإنشاديّين، بصرف الفكرة عن نوعها، قتاليّة مثلا أو مائيّة، لكن الذي يجب أن يدرك هو تحقيق فائدة تقوية الجسد كرياضة التّعضيل أو السّباحة أو الجري بأشكاله المختلفة ...

و الجسد هو الشّيء الذي يقابل به الإنشاديّون غيرهم، فهل ترضَ أن يكون لك جسم هشّ هشاشة الزّجاج ؟، ضعيف البنية المورفولوجيّة ؟، **يشمئزّ من صورته من يراه ؟**، و هو علاوة على هذا عرضة للأمراض، كالبركة الرّاكد ماؤها، تستقذرها الحيوانات.

ممارسة الرّياضة من أجل شيئين هامّين :

أ - الحفاظ على جسم متناسق العضلات مشدود القامة.

ب - الحفاظ على الصّحة العامّة للإنشاديّ.

لنربط الآن بين ما قيل؛ و ثقافة أخرى تنحدر ممّا سبق؛ ألا و هي ثقافة الهندام بحيث يعتني الإنشاديّ بهندامه ككلّ لباساً و شكلاً و ألوانا.

هي صورتك أمام الجمهور فلا ترضَ أبداً بما يجعلك ناقصاً في أعينهم.

07 - ثقافة الأمل :

إذا نما إلى علمك أنّ للوجود المعقّد ربّ و إله واحد **يملك كافّة السّلطات**، على اعتباره موجد هذا الوجود، فهذه خطوة لك لينشأ لديك أمل، فإذا علمت أنّه سبحانه و تعالى لا يظلم أحداً مهما كان حتّى من يناصبونه العداء و لو كان منهم غاضبا؛ ألقيت بنفسك أمامه مسلّماً إيّاها له، و أنت مطمئنّ كلّ الاطمئنان للصّادر عنه تعالى، على التّأكيدات التالية :

أ - هو إله الخير، أمّا الشرّ فمصدره المجتمعات الثاني و الثالث و الرّابع مع انعدام الكفؤ له.

ب - يسيّر الله الوجود إلى الخير دائماً عكس إبليس الذي يستعمل كلّ ما في وسعه لإيقاع الشرّ.

ج - يملك الله **كافّة السّلطات** لدفع الوجود الذي خلقه إلى الطّريق المستقيم، و هو القادر على ذلك بناء على أنّه الله، بينما يحاول إبليس جرّ الوجود إلى طرق الضّلال و التيهان، و مع كلّ النّجاحات المؤقتة؛ فإنّه سيفشل فشلاً ذريعاً إذا لم يوفّر له المجتمعان الثاني و الثالث العوامل المحفزة على ذلك.

و من بين العوامل المحفّزة نذكر :

أ - التّسليم بقدرته المطلقة على الانتصار على الخير؛ الشّأن الذي يساعده في إتيان المزيد من الأفعال.

ب - تحويل الطّاقة الإيجابيّة للإنسان إلى طاقة سلبيّة يستعملها **كوقود لدفع مجتمعه للحركة.**

08 - ثقافة التسامح :

التسامح من أجمل الصّفات التي يجب أن يكون الإنشاديّ متمتّعا بها، و هو الدّاعية إلى الله بفنّه الخاصّ الخالص لوجهه الكريم، متجنّباً الحرص الخبيث الذي لا خير فيه و لا منفعة، إنّما هو شرّ مستطير يدفع الإنشاديّ إلى اتّخاذ تصرّفات لا تليق به قصد نيّة طيّبة.

و التسامح من الأخلاق التي **تمثّل زيوت التشحيم المانعة لاحتكاك الناس بعضهم ببعض،** فإن زاد الاحتكاك زاد التآكل؛ و إذا زاد التآكل أفنى بعضهم بعضا بشتّى أنواع الفناء.

تسامح لأنّك لست مسؤولاً عن هل اهتدوا الناس أم لم يهتدوا ؟ ... تسامح لأنّ الله يهدي من يشاء ... تسامح لأنّك ستجنّ إذا لم ترضَ بسنّة من سنن الله في عباده.

الفصل التاسع :

♦ أسئلة في الموضوع ♦

01 - علّل موقف التثقيف.

02 - إلى أيّ مدى يمكن أن ندافع عن حقّ الفرد في الثقافة ؟.

03 - إذا كانت الثقافة تُصنع بالأفكار؛ و هذه الأفكار تحدّد نمط التّربية المقصود؛ فهل من السّليم القول أنّ التربية تصنع الثقافة ؟.

04 - أدرس تأثير الواقع على الثقافة.

05 - هل يمكن أن تؤثّر الاحترافيّة على عمليّات التثقيف ؟.

06 - ما محلّ المهارة من الإعراب ؟.

07 - برهن على أن الأنشودة المصوّرة لها دور فعّال جدّا في الثقافة الإنشاديّة.

08 - " يُعتقد أنّ الإنشاد باستعمال آلات العزف الموسيقيّة شيء عاديّ تماما؛ و لا غبار عليه إطلاقا "؛ لتعالج هذا الزّعم دون الخروج عن إطار الثقافة.

09 - عالج مسألة النقد الإنشاديّ على ضوء الفاعليّة الثقافيّة.

10 - يُقال أنّ الترجمة المعروفة لكلمة " culture " غير صحيحة؛ ما تعليقك باختصار ؟.

الفصل التاسع : أسئلة في الموضوع

01 - علّل موقف التثقيف :

لنبدأ هذه المقالة بسؤال جوهريّ بسيط في تركيبه؛ ماذا سنربح من التثقيف ؟.

لطالما تمتّع الناس على اختلاف أديانهم و لغاتهم و ألوانهم بأشياء لها دلالات ثقافيّة لديهم، و تحت عوامل متعدّدة كالحروب و التجارة و ما يشابه ذلك؛ كانت هذه الدلالات في تغيّر رغم كلّ محاولات الحفاظ و التحفّظ.

سيتعلّق الأمر حتما بالهويّة المانعة للاندثار تحت ضغط التثقيف، و يضحى هذا الأخير شيئا ضارّا جدّا حين يرتبط بمفهوم " الغزو الثقافيّ "، الذي يجعل من فكرة تدمير كلّ شيء فكرة عاديّة؛ سرعان ما تطفو على السّطح كردّ فعل على معرفة خطوة يعتزم الآخرون القيام بها.

و لو تمّ إدراك ماهية القوّة المطبّقة على الآخر لحضر مفهوم " المقاومة "، توجّس خيفة من نتائج كارثيّة في حقّ من ينزل مؤشّر القوّة لديه، كونه **يوقّع وثيقة إعدامه بالأحرف الأولى**، دون أن يترك المجال لنفسه للتفكير فيما سيؤول إليه الوضع مستقبلا، حين يكون التثقيف قد أتى أكله على أحسن ما يُرام.

الغزو الثقافيّ خطر كبير، و لا نبالغ لمّا نجعله أكبر من الموت، لأنّنا كمسلمين لا نخشى أن نلج باب المرور إلى الحياة الأخرى، و لربّما كانت الشهادة، و لكنّ هجوما فكريّا علينا قد يتسبّب في بلوغ أعتى درجات المذلّة؛ ممّا ينقّر من ذكر البوابة الحتميّة.

هل يجب أن نستدرك أنّه كلّ قوّة مطبّقة ترمي إلى خفض المؤشّر عند الآخر هي محاولة هجوميّة سيّئة السّمعة ؟.

هل سيسترعي انتباهنا؛ أنّ بُعد ما قيل قائم بصفة لافتة على توجيه كلّ الأسلحة ضدّ ما يعتبره الواحد منّا كمالاً صحيحاً مطلقاً، ... و غيره لا يمتّ إلى هذه الصّفة بصلة ؟.

لتكن الثقافة إيقاع حياة منتظم، من أجل تعابير أكثر بساطة و عمقا في آن واحد، يتمّ توجيه كلّ شيء للحصول على كلّ شيء، و إذا كانت هذه البساطة و هذا العمق يقابل الكمال الذي هو معرّف عند البعض بالدّين؛ فإنّ كلّ القوى المطبّقة الآخذة شكل الغزو؛ **ما هي سوى نباح كلب على فيل.**

حينما درس العلماء قبائل عُرفت بالوحشيّة؛ نُظر إليها كقبائل ما زالت لم تعرف نور الحضارة، ثقافتها بدائيّة في كلّ شيء، و رغم اتّسام الدّراسات بالموضوعيّة؛ غير أنّها أنكرت دور المجتمع الرّابع، و أخذت كلّ الأشياء من نقطة انطلاق واحدة وضعيّة، هي في الواقع ضعف شديد انعكس على كلّ ما توصّل إليه الباحثون.

لتكن الحياة ميدان تجربة دائم عندما تتعلّق الآمال بحصد نتائج ناجعة من ألوان الذّهب و اللّؤلؤ و الماس، و ليكن مصباح إرساليّات السّماء مجال تهيئة للإرساليّة الأخيرة.

و لا نتبجّح بالقول إذا قلنا أنّه من الحتميّة تثقيف الناس بما يتلائم مع الخطّ العام؛ منعاً لكلّ انقلاب ثقافيّ أو تمرّد بحسن نيّة؛ جهلا بما يكون.

و إذا كانت المقاومة مسألة شرّعتها التعاليم للحفاظ على الوجود، فهي صدّ هجوم يمسّ بهويّة لا تناقض في محتوياتها تعاليم الإرساليّة المعرفيّة الأخيرة، و إنّ كلّ العمليّات التثقيف التي تجسّد التعارف بين الشعوب و القبائل؛ هي في الجوهر دلالات على استكمال ما هو ناقص فقط، دون الحاجة و لو تساؤلا عن مدى قوّة تضمن لنا جميعا إنزال المؤشّرات لدى من كانوا مسرحاً لتثقيف **آتٍ من إبليس و أعوانه** ■

02 - إلى أيّ مدى يمكن أن ندافع عن حقّ الفرد في الثقافة ؟ :

ليس غريباً أن يعتبر الطّبيب تنظيف المدينة وسيلة من وسائل الحفاظ على الصّحة، و أن يعتبر الفنّان ذات الخطوة عاملا من عوامل تجميل المدينة، فلا أحد منهما يرفض تفسير الآخر، و لكن كلّ شخص يعطي أولوية لفكرة يراها هو بالذّات منطلقا لكل شيء من حوله.

... هو التثاقف اعتماداً على مرجعيّة تضمن الهويّة، هو تبادل الأفكار و تلاقحها اعتماداً على أفكار معيّنة إن قبلت المناقشة لن تقبل الرّفض، و عندما لا تحترم كينونة الآخر؛ فإنّك **تزيد من مساحة حصولك على أعداء جدد.**

و إنّه لحقّ لجميع الإنشاديّين كي يطوّروا أنساقهم الفكريّة و أبنيتهم العقليّة، و كيف لهؤلاء جميعا أن يحصلوا على هذه الخدمة إذا لم يتوفّر جوّ مفعم بحريّة التعبير ؟، تطرح فيه المواضيع و تتداخل وجهات النظر؛ حتى في أبسط الأشياء، و إنه علاوة على ذلك لمناخ مثاليّ لترقية عالم الأفكار.

من حقّ الإنشاديّين أن يثقفوا أنفسهم ما دامت هذه الثقافة **لا تمسّ الخطوط الحمراء لديهم،** هذا هو باختصار مضمون هذه المقالة، أ ليست الثقافة هي مجموعة من المعلومات ؟، اذهب معي إلى أنّ هذه المعلومات أنواع و أنواع، منها المعرفة المنظّمة التي ترفع من القيمة العقليّة للفرد، و لو قبع هذا الأخير في مكانه دون أن يتحرّك؛ دون أن يتعلّم؛ فلن يرتقي الإنشاد على الإطلاق، و هل للجاهل من قفزات سوى ارتفاعات ثمّ ارتطام ؟.

للفلسفة الإنشاديّة الحديثة 10 مبادئ هي :

أ - مبدأ القوّة الخفيّة.

ب - مبدأ العالميّة.

ج - مبدأ التّجمّع الضّمنيّ.

د - مبدأ العقل المتّحد.

هـ - مبدأ شموليّة المعرفة.

و - مبدأ التغيير المستقبليّ.

س - مبدأ الدّائرة الكبرى.

ح - مبدأ الزّاوية.

ط - مبدأ الفعل المتقدّم.

ي - مبدأ الارتقاء الحيوي.

و هذا الأخير يتفسّر باستعمال كلّ ما من شأنه أن يُستثمر في الإعلاء من كلمة الله، إعلاءاً فنيّا بحتا ■

03 - إذا كانت الثقافة تُصنع بالأفكار؛ و هذه الأفكار تحدّد نمط التربية المقصود؛ فهل من السّليم القول أنّ التربية تصنع الثقافة ؟ :

لنكن واقعيّين منذ البداية لمّا تتعلّق قضيّة النّقاش المفتوح بمدى تداخل عوامل مشتركة، و حين ننظر إلى الوجود معتنقين **نظريّة التعقيد**، و يذهب بنا السّبيل إلى بناء كلّ شيء انطلاقا من كلّ شيء، آملين في الوصول على إقليد يضمن لنا ولوج الباب متى شئنا ذلك، فليست الثقافة كلّ تعقيد بأصلها كما هو معتقد؛ بل كلّ شيء خلقه الله معقدا.

إنّ الثقافة - كما جاء في هذا الكتاب - أفكار ما بغضّ النظر عن طبيعتها تتفاعل فيما بينها، فتنشأ عقليّة ما تسود أيّة جماعة كانت، و يقوم الجيل الحالي بتربية الجيل اللاّحق على أسس هذه الثقافة، فإذا ما حدث خلل في عمليّات النّقل التي ليست سهلة على الإطلاق؛ نشأت ثقافة أخرى، و إذا كان الخلل حميدا كأن تظهر حقائق جديدة أو مناهج حديثة؛ تدعّمت الأولى بالثانية، و إذا كان الخلل ورما خبيثا؛ رفضت الثانية الأولى، رفضاً ينمّ عن تربية جديدة سيتلقاها النّاشئة غير تلك التي كانت معروفة من قبل.

هل لك أن تتصوّر أمراً في غاية الأهميّة ؟ ...

من أين لنا بثقافة نقدّمها للآخرين نقول عنها مثاليّة ؟.

من المعرفة المرسلة بلا شكّ، أعلم أنّك ستقول هذا كخلاصة لك استنتجتها من هذا الكتاب.

يا سيّدي ... أ تناقض نفسك ؟.

يردّد الكثيرون أنّ الدين ليس ثقافة بل هو جزء من الطّبيعة، و عليه فهو خارج عن سيطرة البشر و تحكّمهم، عليك أن تكون ممتنّا لله على هذا، أنت على صواب يا سيّدي لا تناقض نفسك، إنّما هي ثقافة أرادك البعض أن تتبنّاها، و ليست هي الحقيقة في شيء، أو قل هي جزء منها فقط لا يمكن أن يتضّح كلّ شيء إذا نظرنا إلى كلّ شيء.

ما أجمل أن تنزع عن عينيك جليّا ما علق بهما من سراب، و ما أروع أن تصحّح ما علق بعقلك و قلبك من أساطير و أوهام !.

إذا تشتّت انتباهك فتوقف هنا حتى تستعيد تركيزك، لأنّ ما سيأتي شيء آخر أكثر تعقيدا.

من أين لك بالأفكار؟، من أين لك بما يهتدي به الناس و يضلّون ؟.

اجتهادات ... مجرّد اجتهادات مبنيّة على المعرفة المتراكمة و المجرّبة، إذن الثقافة التي تقدّمها لنا حاصل تجارب الآخرين تراكمت عبر السّنين، و نحن نثق فيك بالطّبع فأنت لن تقدّم لنا شيئا قبيحا، تربيتك لن تسمح بهذا، من فضلك لاحظ ... تربيتك لن تسمح بهذا.

إذن حُلّت المشكلة، التربية تصنع الثقافة، أمّا إذا اعتمدت على المعرفة المرسلة، فكن على يقين من أنّك ستختصر آلاف الطّرق و تربح الجهد و الوقت و المال؛ و كلّ تكلفة قد تكون غالية على الاحتمال.

ثق يا سيّدي أنّه لا توجد جماعة حقيقيّة لا تعتمد على المعرفة المرسلة بغضّ النّظر عن نوعيّة الإرسال إن كان سليما أو مزوّرا، و حتّى أولئك الملحدون يقينهم في وجود قوّة غيبيّة أخرى إشعاع أكيد، و لكنّهم هم و ما أرادوه.

حتّى تعلم جيّدا أنّ القوّة كلّ القوّة في أصلها، و للمجتمع الرّابع دور مهمّ في هذا ... فكن من الحكماء سيّدي الفاضل أو ... لتكن من الأغبياء ■

04 - أدرس تأثير الواقع على الثقافة :

من المعلوم الآن أنّ الثقافة **مجموعة عناصر الوعي الإنشاديّ التي تسمح لحاملها بالتّفهّم الفعليّ لمضمون رسالته، و التّحرّك بكلّ مرونة بين الأوساط الفكريّة، و القدرة على إحداث الجديد دائما**، و تعريفها أفكار متفاعلة تقدّم تربية من نوع ما، حيث عالم الأفكار يسبق عالم اللاّ أفكار، و الأفكار التي تتفاعل تشكّل واقعا معيّنا بناء على نوعيّتها أوّلا؛ ثمّ بناء على نوعيّة التفاعل الرّابط بين نتائجها.

ليكن **س** ما يأتي : كيف يؤثّر الواقع على الثقافة ؟، بعد أن عرفنا كيفيّة تأثير الثقافة على الواقع.

و ليكن في علمك أنّ في هذا الواقع مزيج من التناقضات التي تقبل مؤشّرات الصّراع إلى حدّ ما **ع**، في حين لا يمكن فهم هذا المزيج دون الرجوع قليلا إلى الوراء.

نقول و بالله التوفيق أنّه إذا كانت الثقافة تصنع الواقع اعتماداً على نتائج الأفكار؛ فإنّ الواقع يصنع الثقافة بإمدادها بالأفكار التي تتحكّم في هذا الواقع مع التحفّظ في موضعه، و التحفّظ كذلك بخصوص **ع**.

قراءة حذرة للواقع تغنينا بكيفيّة أو بأخرى عن التيهان بين آلاف الأفكار المتناقضة و غير السويّة في أحايين كثيرة، و صفعة مدروسة القوّة تفي ليستيقظ الغافل و يرى و يشاهد ما يتغيّر حوله باستمرار من كلّ شيء في عالم الأفكار؛ كي يقدّر جيّدا التغيّر الاستراتيجيّ الذي يجب أن يوليه العناية الفائقة.

لتعبق أفكارك بالحكمة ... يمارس الواقع ضغوطا معيّنة على الأفراد و الجماعات، التي من الصّواب أنّها تهتدي بالأفكار، و لكن الشهوات و الغرائز تؤثّر سلبا على هؤلاء، و بالتالي فإنّ هناك صراعا بين قوّتين : قوّة الصّعود قوّة الارتقاء؛ و قوّة النّزول قوّة التدحرج، و الإنسان بين هذه و تلك، و لو كان الواقع يزخر بالأفكار البنّاءة الإيجابيّة؛ لهانت المسألة مدركين أنّه أمام إلزاميّة الارتقاء لا بدّ من ترشيد الشهوات، غير أنّنا سنجد أيضا أفكارا هدّامة مصدرها المجتمع الرّابع، **فكيف سنفرّق بين ما يجب إعدامه و ما يجب تدعيمه ؟؟؟.**

يقول تعالى : (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون).

يتمحور الكسب هنا حول مجموعة من الأفكار الهدّامة التي أوقعت الذّنب في الواقع، و بالتالي أحدث الذّنب **طاقة سلبيّة حالت دون الفهم السّليم للأمور**، و تضاعفت بشكل كبير انطلاقا من توالد ذاتيّ، فكلّ هذه الأفعال ما هي سوى واقع سلبيّ يغذّي نفسه بنفسه، لا يقبل إعادة التهيئة، و رحمة ربّك وسعت كلّ شيء ■

05 - هل يمكن أن تؤثّر الاحترافيّة على عمليّات التثقيف ؟ :

لنتفق من الوهلة الأولى أنّ معيار الاحترافيّة هو العلم و ليس الزّمن، إذ حسب مدرسة الاختصاص يعدّ محترفاً **من يتحكّم في دواليب القضايا و المسائل،** أمّا المعمّر في الإنشاد سطحيّا دون أن يتوفّر لديه مخزون معرفيّ و أفكار تقدّميّة؛ فهو هاوٍ فقط و لو قضى مئات الأعوام.

قد يفقدنا تعرّضنا للزّمن في قضيّة الاحترافيّة مصداقيّة الحديث عن الحضارة، كون هذه الأخيرة تتطلّب زمنا لتنشأ مجرّد أفكار هكذا قادمة من السّماء لا يمكن للناس استيعابها إلاّ إذا تغدّوا عليها مدّة من الزّمن، تتشرّب خلالها بها عقولهم و قلوبهم، و لو أدركنا أنّه أثناء هذه المرحلة الزّمنيّة؛ ستستمرّ عمليّات التثاقف بين الأفراد و الجماعات، غير مبالين للمسألة المطروحة للنقاش.

يساهم المحترف في **مدّ الآخرين بمجموعة من المعارف،** التي تعتبر في جوهرها تثقيفا ثمين الجودة شرط أن يكون عالما بكيفيّة هذا المدّ، مدركا لقيمة هذه الجسور، أو لا معنى لما يبذله من جهود، كالبئر الزّاخر بكميّات وفيرة من المياه، و لا يستطيع أحد أن يستخرجها.

هل تتفق معنا فيما تحدّثنا عنه ؟.

لتكن على أهبة الاستعداد لمّا يتعلّق الأمر بضرورة الرّبط بين التأويلين.

ننظر للمحترف كونه أداة تنمية معرفيّة متزايدة، فلا يجب أن يرضى بقشور الفواكه، و كما يأخذ الرّعاع دنايا الأمور و سفائلها من الآخر؛ فهو أخّاذ لكلّ ارتقاء، فهلاّ عرفنا الكيفيّة المثلى التي يجب أن نلتقط بها بعض إشارات المفكّرين و الفلاسفة و العلماء عبر هذا العالم ؟.

و إدارة الثقافة هي إدارة العواطف و الأفكار و الأوضاع ■

06 - ما محلّ المهارة من الإعراب ؟ :

إذا كانت الثقافة معلومات تتفاعل فيما بينها لتقدّم تربية من نوع ما للناشئة؛ فإنّ الممارسة الفعليّة شيء يختلف عن الأفكار التي تعطى لنا على أطباق من ذهب و فضّة و برونز، و المفروض أنّك على يقين من أنّ تلقّيك لآلاف المحاضرات في السّباحة لا يُعدم أبدا احتياجك لممارسة هذه الرّياضة في مسطّح مائي، **و لن يكفي التنظير لجعلك إنشاديّا من النّوع الرّفيع إن لم تمارس اختصاصاً معيّنا تطبّق فيه ما تجده في الكتب و الأبحاث.**

نحن الآن نتحدّث عن شيء اسمه " الممارسات الثقافيّة "، التي تقدّم لك :

أ - فضاء لتجربة ما تستقيه من عالم الأفكار.

ب - دعماً لوجيستيكيّا فعّالا للمعرفة المتراكمة.

تختلف قدرات الناس بعضهم عن بعض، **و من المستحيل أن تتساوى المهارات فيما بينها مهما أكّدنا على ذلك،** لأنّ الله خلقنا مختلفين في شتّى القدرات البدنيّة و العقليّة و النّفسيّة ... إلخ، و عليه فإنّنا نسلك منهجاً يقنّن هذه المهارة على قدر المستطاع تقنينا يدفعنا إلى اتّخاذ المقياس كمقياس في حدّ ذاته للبرهنة على قيمة الدّور الجوهريّة.

و لكن دعونا نطرق باب الموضوع من باب آخر؛ يستخدم المنشد أو المنشدة مهارته في التمثيل أمام الكاميرا في الأناشيد المصوّرة، **و هذا لا يمكن اعتباره تعبيد طريق،** و السّبب مفهوم نظراً لأنّ لا أحد يستطيع الفصل بين الدّورين، اللّهم إلاّ إذا استعين بشخص يمثّل بطريقة تختلف عمّا هو مألوف، و بالتّالي فإنّ ندائنا بتنمية المهارات لدى الإنشاديّ سرعان ما يرتفع إذا كانت هذه حالات الاستعمال ■

07 - برهن على أن الأنشودة المصوّرة لها دور فعّال جدّا في الثقافة الإنشاديّة :

تؤثر الصّورة على شعور الإنسان و أحاسيسه، بل هي في قمّة التأثير قبل الصّوت و الرّائحة و اللّمس، و بالتالي فإنّه لا دليل بعد الرّؤية، بيد أنّنا نناقش هنا فكرة أخرى مفادها أنّ الثقافة الإنشاديّة تنشَر بالصّورة، و الأنشودة المصوّرة جزء من هذا النشر، لما تقدّمه من تأكيدات و تفسيرات للكلمة، التي كانت مسموعة من قبل، **و لتأثيرها الشامل على اللاّ شعور**، حيث يذهب تركيز الإنسان إلى ما يراه، و للصّوت الرّتبة الثانية، بعدما كان كلّ تركيزه منصبّا على الصّوت فقط.

و يذهب المحلّلون إلى اعتبار الأنشودة المصوّرة وسائل التسويق التي لا صراحة أبلغ منها، و هم بلا شكّ يقصدون القيمة المنطقيّة التي تعطيها الصّورة المتحرّكة.

إنّ بناء سيناريو محكم لأنشودة ما؛ مع إتقان عمليّات التصوير و التركيب يذهب بالعمل بعيدا جدّا، و يرفع من قيمته الفنيّة خاصّة إذا سهر عليه محترفون، تتوزّع بينهم الأدوار و تتكامل، و الإبهار عنصر استراتيجيّ في عمليّة نشر ثقافة إنشاديّة من هذا النّوع، بغضّ النظر عن التعقيدات التي من المرجّح أن تحضر في مجلس كهذا.

و لا شكّ أنّ الحركة هي ما يبحث عنه الجمهور في كلّ صورة معروضة عليهم، و للمخرج اليد الطّولى في توجيه كلّ شيء وفق إرادته، إذ أنّنا نرى ما يوجّهنا هو لرؤيته، يتحكّم في أحاسيسنا و مشاعرنا لدرجة التلاعب الفظيع بعواطفنا، و هو الذي ينقل تركيزنا من لقطة لأخرى، شعوريّا و لا شعوريّا.

لا مرية أيضا في كون لجوء الإنشاديّين إلى تصوير أناشيدهم راجع بالدّرجة الأولى إلى الحرص على البضاعة، حيث يصنعون مكانا لها في وسائل إعلام تهتمّ بالصّورة المتحرّكة أوّلا بعد الصّوت، لمخاطبة جمهور آخر بصريّين أكثر منهم سماعيّين، و يشدّدون في المخاطبة لدرجة مطالبة الجمهور بالألبوم لاقتنائه.

و سواء ذهب بنا التفكير بعيداً أو اقتصرنا على السّطح فقط؛ فإنّ الرّسالة المبثوثة تجاه جمهور ما سرعان ما تأخذ ممرّا استراتيجيّا إذا ما تعلّق الأمر بإيصالها إلى الطّرف الثاني في المعادلة على أكمل وجه.

لماذا يلجأ المعنيّون بالأمر إلى إقحام الأطفال في الأناشيد المصوّرة ؟.

لماذا يختار المعنيّون بالأمر مواقع تصوير بذاتها دون غيرها من المواقع ؟.

أ ليس كلّ هذا من أجل التأثير على الجمهور بشكل عام ؟ ... و لماذا هذا التّأثير إذا لم يكن الغرض منه إيصال رسالة ما إليهم ؟ ■

08 - " يُعتقد أنّ الإنشاد باستعمال آلات العزف الموسيقيّة شيء عاديّ تماما؛ و لا غبار عليه إطلاقا "؛ لتعالج هذا الزّعم دون الخروج عن إطار الثقافة :

يعتقد بعض الإنشاديّين إن لم نقل جلّهم أنّ الإنشاد ثلاثة أقسام :

أ - دون آلات إيقاع أو عزف.

ب - بآلات الإيقاع فقط.

ج - بآلات العزف.

مشكلتنا في الحرف الثالث حيث لا يتمّ التفريق بين آلات الإيقاع العاكسة للوزن المظهرة له، و آلات العزف، ممّا ينشئ ثقافة موسيقيّة لا تختلف عن غيرها من ثقافات الفنون الغنائيّة، و يؤدّي هذا الخلط إلى تميّع الإنشاد كفن له من الاستقلاليّة ما يرفعه عن نظرائه، أو على الأقلّ يضمن له هويّة تحيد به جانبا.

يتجزّأ سرّ عدم التفرقة إلى عدّة نقاط نذكر فقط :

• أولويّة تطوير فنّ الإنشاد و جعله يلحق بالفنون الغنائيّة الأخرى، مع إهمال المظهر، و إدخال آلات العزف إليه من صور الإهمال، لكن هناك خطأ ما في هذا الاعتقاد، كونه بني على الجوهر فقط من مواضيع و أساليب، سرعان ما يبدأ كلّ شيء في الانهيار من الدّاخل، لأنّ الجوهر يعكسه المظهر، و إذا فصلنا بين الإثنين؛ حدث خلل، و صار لزاماً علينا أن نحافظ على أحدهما، و بما أنّه لا يمكن تصوّر شيء إلا كما هو في الأصل؛ فإنّ الإنشاد واقعة لبناته لا محالة، و المعضلة الكبرى أنّه لن يكون لنا إنشاد لأنّ إدخال آلات العزف **هو إلباس فنّ غنائيّ آخر ثوبه.**

• يمكن تطوير فنّ الإنشاد عادياً و مع الزّمن، و يدخل ضمن التطوّر إدخال آلات العزف، أي أنّ الإنشاد في نظرهم لا يتطوّر إلاّ إذا رافقته آلات عزف موسيقيّة، ثمّ يأتي الجوهر في الرتبة الثانية، و هم بهذا يخالفون الفريق الأوّل الذي ينظر إلى آلات العزف خطوة تماشي ليس إلاّ.

إنّ أفكارا مماثلة لتجد غرابة تنتظرها لدى الجمهور بصفة عامّة، و حين نحلل الفكرتين؛ فإنّنا ستذهب إلى اعتبار حدوث تربية لكلي الفريقين، الفريق الأوّل يناصر فكرة التطوّر مثل القائلين بوجوب اللّحاق بالأروبيّين و الأمريكيّين لباساً و أكلاً و حديثا، فالتقدّم لديهم **يرتبط** بالأخذ بمظاهر حضارتهم، دون أن يكون هو التقدّم، بل هو **مسلك** إليه فقط، و كأنّنا لا يمكن أن نرتقي حضاريّا إلاّ إذا لبسنا كما يلبسون، لأنّ لباسنا التقليديّ يعيق عمليّة التقدّم، مثلما تعيقه طريقة الأكل و العيش ... إلخ.

و الفريق الثاني نشأ على خلفيّة موسيقيّة أكثر منها فلسفيّة حيث **يضيع مفهوم " الهويّة " عنده طرديّا عبر الزّمن،** و يتمّ إدخال آلات العزف شيئا فشيئا حتّى يتقبّلها الجيل بعد الجيل، و بهذا يكونون قد ضربوا عصفورين بحجر واحد؛ طوّروا الإنشاد حسب زعمهم؛ و أوجدوا له مكانة لم تكن لمثله من قبل، بتربية نشء جديد على أفكار يرونها تطوّرية، في حين أنّ ما يتحدّثون عنه و عن جهودهم في تطويره ... هو قتل له و إعدام تحت التعذيب ■

09 - عالج مسألة النقد الإنشاديّ على ضوء الفاعليّة الثقافيّة :

تكتسب الفاعليّة الثقافيّة قوة التحديد الضّروريّة من أجل وضعها في مجال مضبوط، بعد أن كانت الفكرة غامضة.

و الرّأي الصّواب لو نكيّف السّؤال وفق منحنى آخر لنقول : هل الناقد الإنشاديّ فاعل ثقافيّ ؟، طبعاً مع تعليل الإجابة إذا كانت بالإيجاب أو بالسّلب.

عجول أنت إن حكمت عليّ بالتسرّع أو بالخلط بين الأمور؛ حين أتبنّى كلي الاحتمالين، ففي إجابة ما بنعم لديّ برهان، و في أخرى؛ لديّ برهان آخر بالتّأكيد، و هناك في الجوهر قضيّة تختمر.

إذا كان الناقد كفاعل إنشاديّ له من الأفكار ما يصحّح أفكار غيره؛ فهو في هذه الحالة لا يضيف ثقافة، إنّما هو موجّه نحو الأفضل منها، و إذا ما أحدث من عنده شيئا ما؛ فهو نموذج من نماذج الفاعلين الثقافيّين.

رأيان لست وحدي من يراهما، و ربّما أكون قد جمعت نقيضين لدى البعض، فلي كل الشرف، و من المفروض أن أكون على واحد منهما لا غير، و بالطّبع فأنا كذلك أنظر إلى الناقد الإنشاديّ كفاعل ثقافيّ، و يبقى فاعلا ثقافيّا سواء تعلّق الأمر بالتّوجيه أو بالتّصحيح، لأنّه **يقدّم معلومات معرفيّة تستثمر في إنتاج تفاعل فكريّ ... تربويّ.**

و يبقى النّاقد شخصاً يرمي حجراً في المياه الرّاكدة محاولاً تحريكها منعاً لكلّ ضرر سينشأ من هذا الماء الآسن ■

10 - يُقال أنّ الترجمة المعروفة لكلمة " culture " غير صحيحة؛ ما تعليقك باختصار ؟ :

كما هو معروف للجميع؛ فإنّ كلمة " ثقافة " ترجمة لكلمة " culture "، الآتية من لغة الأوروبيّين، و إذا تأمّلنا جيّدا في المعنى و ذهبنا معه بعيدا قدر المستطاع؛ لأدركنا أنّه يحمل مفهوم " التخصيب " **و هو إضافة أشياء معيّنة قصد الزّيادة في مردوديّة الأرض.**

و مثلما هو الشّأن للتربة؛ فإنّ تخصيب العقل البشريّ يقوم على مدّه بأفكار جديدة تزيد من قوّته، إذ يتفاعل معها بطبيعته، و ينشئ أفكاراً من عنده **بناء عليها**، أي يمكن أن نتبنّى " توعية " ككلمة تدلّ على المفهوم المقدّم.

لكن إذا كان لنا هذا؛ فيجب أن تعمل كلّ الأفكار على التطوير، و نأمل ذلك؛ لأنّ لا عاقل يضيف إلى أرضه أو يترك الآخرين يضيفون لها ما يسحق خصوبتها.

للإشارة فقط فإنّ الكلمتان **تفيدان الإنتاج**، و الأحلام الكبيرة لا تموت بل يتسلّم رايتها الجيل بعد الجيل ■

الفصل العاشر :

♦ أسئلة استنباط و اختبار ♦

الفصل العاشر : أسئلة استنباط و اختبار

حاول أن تجيب على هذه الأسئلة مشكورا، ما تمكّنت منه؛ ربّما تطرّقنا لواحد منها في الكتب القادمة بإذن الله، مع العلم أنّ الإجابة تكون على شكل خطّة منهجيّة، ترتّب خلالها العناصر التي يجب التطرّق لها.

تختلف الأسئلة التالية من حيث البناء الفكريّ الذي اعتمد كأساس، فهناك أسئلة مباشرة؛ و أخرى مفخّخة، الأولى تخفي ورائها أسئلة ضمنيّة؛ أمّا الثانية فما تخطّه الكلمات غير ما هو خلفها تماما.

حاول يا سيّدي ... فالإنشاد علم قائم بذاته و فنّ مستقل بنفسه ... حاول و أجرك على الله.

الأسئلة :

01 - ما موقع الوطن من الخصوصيّة الثقافيّة ؟.

02 - قارن بين " التّوأمة الثقافيّة " و " الغزو الثقافيّ ".

03 - حلّل السّلوك الثقافيّ.

04 - ناقش بالأدلّة العقليّة كيف يؤثّر صوت المرأة الذي هو عورة في الثقافة ؟.

05 - ما محل المجتمعات الإلكترونيّة من الإعراب ؟.

06 - أدرس الشّراكة الثقافيّة.

07 - هل اعتقادك ثقافة ؟.

08 - ما جوهر العلاقة بين السياسة و الثقافة ؟.

09 - إعادة التربية معناه إعادة التثقيف؛ حلّل و ناقش.

10 - بيّن تأثير العناصر التالية على الثقافة : الإنترنيت، السّينما، الرّقص، المسرح، الأفلام الوثائقيّة.

11 - ما موقع التقارب المذهبيّ من التثاقف ؟.

12 - فسّر دلالة كرسيّ الاعتراف.

13 - قارن ثقافيّا بين أسلوبي عمل كلّ من المخرج " محمد با يزيد " و المخرج " ربيع سعادات ".

14 - عرّف ثقافة الإرهاب.

15 - " من الدّين أوجدنا الفكرة و من الفكرة أوجدنا الفنّ "؛ فسّر و برهن.

16 - للرّقص الشعبيّ أبعاد كثيرة و دلالات؛ عالج بعضها داخل الأطر الثقافيّة للإنشاد ؟.

17 - " نحن من أوجد الأسطورة و الشيطان يرسّخها "؛ تجاهل ما يجب أن تتجاهله و برهن على القيمة الثقافيّة للأسطورة.

18 - حلّل التركيبة الثقافيّة لأيّ برنامج إنشادي مصوّر تختاره.

19 - ما معنى : " الغزو الثقافيّ يلوّث الطّاقة الإنسانيّة " ؟.

20 - قارن بين المخرج و المشرف.

21 - إلى أيّ مدى يمكن استعمال اللّغات غير الفصحى في الإنشاد ؟.

22 - ماذا يعني لك الاستثمار الثقافيّ ؟.

23 - هل مشكلتنا في الثقافة أم في التثاقف ؟.

24 - ما فائدة الأناشيد الهزليّة ؟.

25 - اشرح بالتفصيل و بالأدلّة و بالبراهين العلميّة متى تكون المركزيّة سلبيّة من الناحية الثقافيّة ؟.

26 - هل الترنيمة من الدّين النّصرانيّ أم من الثقافة النّصرانيّة ؟.
27 - الإنشاد نخبويّ بطبعه لا بطبيعته؛ حلّل و ناقش.
28 - حلّل التركيبة الثقافيّة للألبومات التالية :

أ - ألبوم " 1.8 " للمنشد و المغرد عبد العزيز عبد الغني نسخة الإيقاع.
ب - ألبوم " كلمات " للمنشد و المغرّد عبد القادر قوزع.
ج - ألبوم " أجامل " للمنشد سمير البشيري.

29 - قارن بين المنشد " محمد أبي راتب " و المنشد " أحمد أبي خاطر ".
30 - كيف تفسّر من النّاحية الثقافيّة انتقال بعض المنشدين إلى فنّ التغريد ؟.
31 - بيّن ثقافيّا أوجه الفرق و التشابه بين أناشيد حركة فتح و أناشيد حركة حماس الفلسطينيّة ؟.
32 - كيف تنشأ الطابوهات ؟.
33 - تعتبر حركة المقاومة الإسلاميّة حركة إرهابيّة في نظر الصّهيونيّة؛ حلّل و ناقش.
34 - كيف تفسّر استعمال بعض حركات المقاومة لأناشيد المنشد " أبو عبد الملك " بصفة خاصّة ؟.
35 - أدرس آثار هجمات 11 سبتمبر في أمريكا على الإنشاد.
36 - " حينما نواجه ضغوطاً معيّنة؛ فإنّنا مجبرون على جعل ثقافتنا شفهيّة "، دافع مبيّنا ما يجب عليك إظهاره.
37 - إلى أيّ مدى تعكس الأناشيد الفلسطينيّة الثقافة الجماهيريّة للشعب الفلسطينيّ ؟.
38 - قارن بين الثقافة الإنشاديّة لدى الإخوان المسلمين و التبليغيّين.
39 - كيف يروّج الإنتاج الإنشاديّ المصوّر للسّياحة ؟.
40 - حلّل العلاقة القائمة بين المصطلح و الثقافة.
41 - " عندما تتعلّم لغة أخرى؛ فأنت أذكى مرّتين "؛ حلّل و ناقش.
42 - عالج فكرة التّرجمة للأطفال بين التغذية الثقافيّة السّليمة و التبييض الثقافيّ.
43 - كيف تنظر إلى العلاقة القائمة بين الأيديولوجيا و الثقافة ؟.
44 - " لا يمكن نقل العلم إلاّ بالثقافة "؛ وضّح و احكم و علّل.
45 - إذا كانت الأفكار تتغيّر باستمرار؛ فهل النّسق الثقافيّ ثابت أو متغيّر هو أيضا ؟.
46 - " سنقول ما لا يُفهم؛ فحاولوا أن تفهموا ما يقال "، عالج هذه الإشكاليّة ارتكازاً على مدى العمق الثقافيّ؛ و علاقته بانحطاط المستوى الإنشاديّ أو ارتقاؤه.
47 - هل صحيح أنّ الإنسان حسّاس لبعض الأفكار و حسّاس للثقافة؛ و لكنّه ليس حسّاساً للتثاقف ؟.
48 - ميّز قوى الاستبصار.
49 - هل يمكن أن تلعب الشهرة دوراً سلبيّا في الثقافة ؟، إشرح موقفك مستعيناً بأدلّة من الواقع.
50 - " الإسلاميّون خطر على الثقافة "؛ حلّل و ناقش.
51 - ما معنى " فقدان الأهليّة الثقافيّة " ؟.
52 - " معظم أعمال الهندسة تحدث فوق سطح الأرض "؛ حلّل عمليّة الإسقاط.
53 - إشرح ما يلي : " لا يتجسّد التحدّي في البناء بقدر ما يتجسّد في البقاء ".
54 - هل الثقافة التي يقدّمها إنشاديّو الصفّ الأوّل تماثل الثقافة التي يقدّمها إنشاديّو الصّف الثاني ؟.
55 - ما رأيك في الفعل الثقافيّ للكشافة الإسلاميّة ؟.

خاتمــة :

ما طالعته في هذا الكتاب هو بيان مفصّل بنسبة معيّنة حول واحدة من بين فضلى المشكلات التي يتخبّط فيها الإنشاديّون، و كما رأيت؛ فإنّ البداية كانت من المهد ثمّ التّعمّق شيئا فشيئا إلى غاية الوصول إلى ثقافة الجماهير، كأنّنا نقيم موازنة مستترة بين ثقافة الجمهور و ثقافة الإنشاديّين، و في الأصل فإنّ التّباين قائم على أسس معيّنة، و يجب أن يبقى كذلك، فخذ من المرونة ما يساعدك على التفهّم.

أ عرفت الآن أنّ الثقافة هي المتحكّم في التّربية ؟، بطريقة أخرى؛ إذا أردنا التّغيير على المستوى التّربويّ **لا بدّ من المرور على الثقافة**، التي تمثّل جوهريّا معطيات معلوماتيّة يتمّ توجيهها بأساليب معيّنة لإحداث نتائج مؤثّرة على الفرد و الجماعة، فالثقافة هي قفاز مخمليّ يغري أيّ أحد بارتدائه أوّلا؛ **ثمّ مصافحة الناس به.**

الثقافة طريقة تفكير ... علاقات و قيم و سلوكات ... رؤية نقديّة للأشياء من حولنا، و العقل بطبيعته ينظر إلى كلّ شيء عبر مجموعة من الأفكار نسمّيها نحن " ثقافة "، و لكن هذا لا يمنع من وجود شيء آخر يسمّى " الفطرة ".

سيّدي ... سيّدتي ...

لقد اتّسعت أطياف العائلة الإنشاديّة؛ فأصبح كلّ واحد إلاّ و له رأي في شيء واحد على الأقلّ، و تعدّدت قضايا المناقشة بين الموسيقى و الإيقاع و الرّقص و الكلمة ... ، في حاميات الوطيس و لو كان ذلك سرّا، ما بات يدعو إلى معالجة خاصّة و بكلّ حزم و صرامة قبل أن يدمّر الجميع بعضهم بعضا، بحسن نيّة؛ أو عن تبييت مقصود.

كما لا يمكن من الناحية العمليّة وضع مفاتيح كل العالم في مكان واحد مركزيّ، حتّى إذا دُمّر هلك التّابعون.

سيّدي ... سيّدتي ...

لا يأخذنّك جزع إن حذّرناك من تكرار مفاهيم جماعات أخرى هي في الأصل تسعى لتجنيدك؛ **بترديد أفكار تحسبها مقتنعا أنّها أفكارك الخالصة؛** تستميت في الدّفاع عنها بكلّ ما أوتيت من جسارة؛ بينما هي أفكار مسمومة لنا، قدّمت لك على أطباق شهيّة، فأكلت و دعوت الآخرين للأكل منها؛ فسيتسمّم الجميع و لكنّ لن يموت الآن أحد، لأنّه لو مات لفطن الكلّ للّعبة التي أنت مشارك فيها **بكلّ عفويّة.**

اذهب إلى مفهوم " صراع الحضارات " لتتضح لك الأفكار المبهمة، تعمّق في جوهر الصّراع الأصلي الذي هو بين ثقافة الخير و ثقافة الشرّ، و ليس كما يريد البعض الترويج له و كأنّهم يحضّرون لحرب عالميّة ثالثة الكلّ فيها عدوّ الكلّ.

سيّدي ... سيّدتي ...

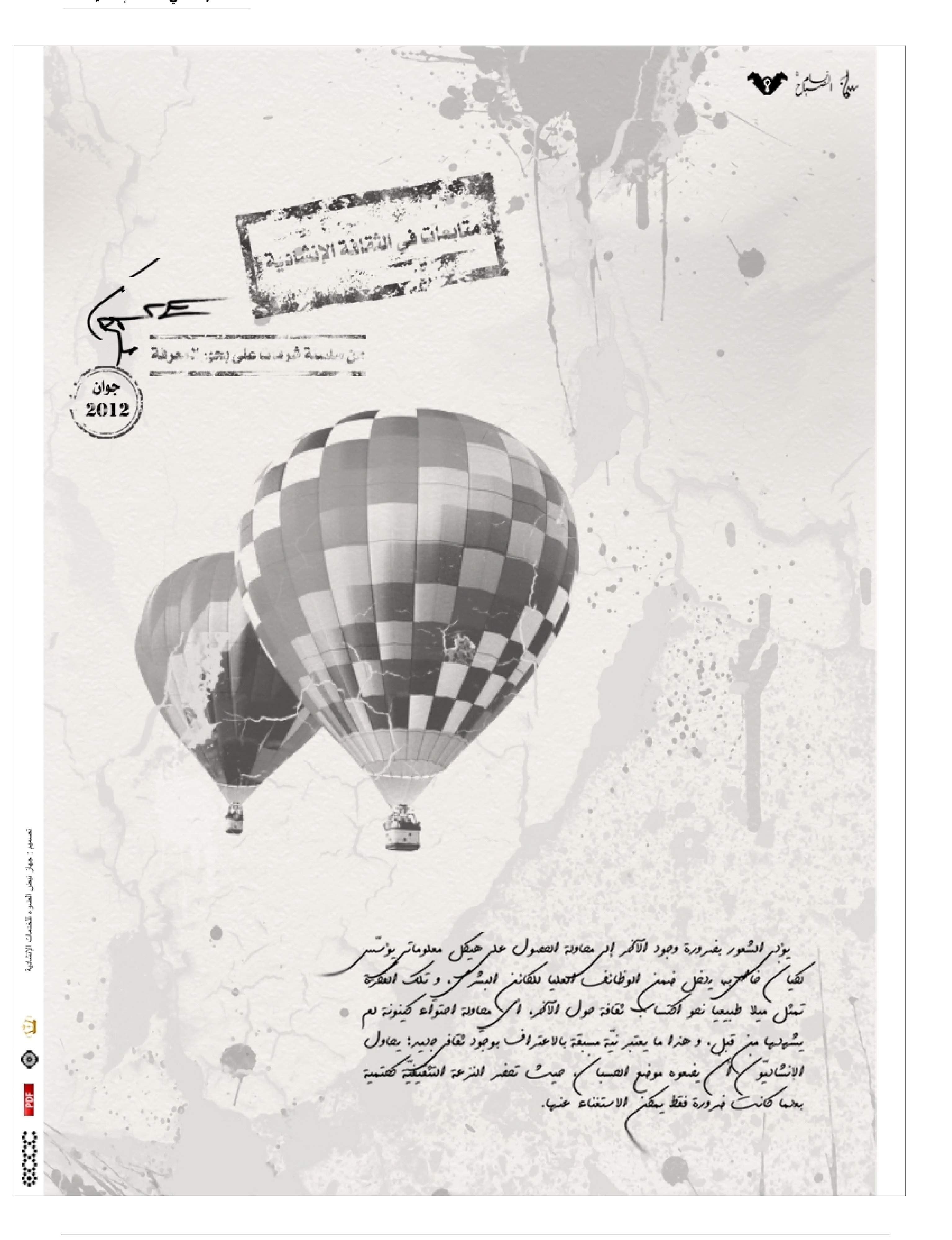
إنّك أحسن مخلوق خلقه الله سبحانه و تعالى، بلا جدال في هذا، فأنت و إدراكاتك و قيمك و اعتقاداتك، و ليست الثقافة حكراً على المثقفين.

جهاز أنسام الصباح للتربية الفنية
بالاشتراك مع شبكة المجرة الإخبارية
الإقليد جوان 2012

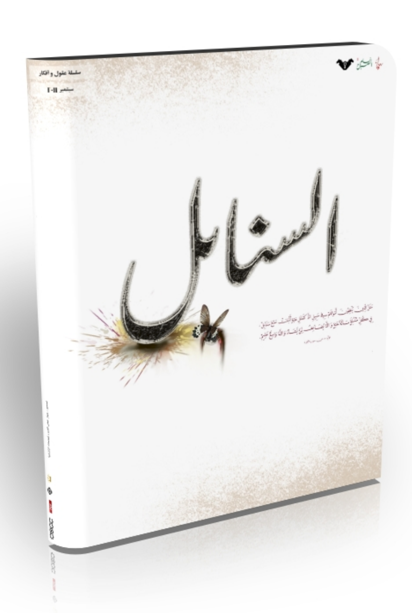

سلسلة شرفات على بحور المعرفة ... جوان 2012
متابعات في الثقافة الإنشادية
دراسة في إشكالية الثقافة والتناقض عند الإنشاديين


سلسلة شرفات على بحور المعرفة ... جوان 2012
مُتابَعاتُ في الثَّقافَةِ الإِنْشادِيَّة
دِراسَةٌ في إشكالِيَّةِ الثَّقافَةِ والتَّثاقُفِ عِنْدَ الإِنْشادِيِّين
تصميم : جهاز نبض الضوء للخدمات الإنشادية
PDF


شبكة البيارق الإنشادية | شبكة المسلول الإنشادية | شبكة أناشيدي
منتديات نسمات الفن
متابعات في الثقافة الإنشادية
من سلسلة شرفات على بحور المعرفة
جوان 2012
شبكة إنشادكم العالمية | منتديات نجوم سيرتا | شبكة بسملة الإنشادية | شبكة فلسطين ميديا | شبكة سما العالمية | منتديات الرفيع للإنشاد و المديح | منتديات المالكية | شبكة طيف الإنشادية
تصميم : جهاز نبض الضوء للخدمات الإنشادية
PDF


متابعات في الثقافة الإنشادية
جوان
2012
يؤدي الشعور بضرورة وجود الآخر إلى محاولة الحصول على هيكل معلوماتي يؤسس
لكيان خاص به يدخل ضمن الوظائف العليا للكائن البشري. و تلك الفكرة
تمثل ميلا طبيعيا نحو اكتساب ثقافة حول الآخر، أي محاولة احتواء كينونة لم
يشهدها من قبل، و هذا ما يعتبر نيّة مسبقة بالاعتراف بوجود ثقافي جديد؛ يحاول
الإنشائيون أن يضعوه موضع الحسبان، حيث تحضر النزعة التشكيكية كحتمية
بعدما كانت ضرورة فقط يمكن الاستغناء عنها.
تصميم : جهاز نبض الضوء للخدمات الإنشادية

من إصداراتنا



- السنابل -

● أكثر من 100 مقالة دفعة واحدة بمواضيع مختلفة، كتاب يشبه أجزاء مرايا إنشادية العشرة، و لكن هذه المرة في جزء واحد وحيد، قد يحسبها البعض مغامرة كونها ألقت بكل الحمولة دفقة واحدة، إلا أن الفترة الراهنة تختلف قليلا عن الفترة السابقة.



- الرسالة ... بصمات في الإعلام الإنشادي الجزء 1 -

● من المفروض أن يكـون العنوان خيـر دليل على المضمـون، فإذا شئنا أن نوضح أكثر قلنا أنه مساحة حقيقـة تعــرف المهتميـن بمـا يدور في مجــال الإعــلام الإنشــادي، و خاصة أمام تطور العالم و نظرة الأهمية التي بدأ يوليها للاتصال و التواصل من أجل إنشاء الدولة العالمية الواحدة.



- المنظار في النقد الإنشادي -

● رؤية موضوعية إلى النقد الإنشادي، موجهة إلى الجمهور و إلى الذين يجب أن يبرزوا كنقاد من أصحاب الاختصاص، كل ما قد يجول في الأذهان من تساؤلات حول هذا الميدان الذي لا تكفي كلمة مهم للتعبير عنه كاملا، هو مدخل يفتح الباب فقط لتكون أنت و أنتِ بالداخل.